

تأمـلات

في

الدين والحيـــاة

بقلم راجي عفو ربه

ياسر محمد مصطفى جابر

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم إني أعوذ بك من قلم يكتب بمداد الشيطان، ومن ضلال عقل يزل في وضوح حق، ومن حماقة جدل في عين باطل، ومن حسن ظن يؤمّن مكرك، ومن طول خوف يقنط من رحمتك، ومن نفاق بنا في التوكل عليك، ومن كل نية لغير وجهك، ومن كل عملٍ يصرف إلا لك، ومن وقوف بغير بابك، ومن شغل برزق عن شغل بعاقبة، ومن شغل بأهل وولد عن شغلٍ بحبك وحب نبيك، ومن شغلي بنفس عن شغلي بجلال قدرك.

رب أسألك نجاحا لا غرور فيه، وأعوذ بك من فشل لا أمل فيه، إن ابتليتني فقربني بالبلاء منك، وإن أنعمت عليّ فلا تبعدني بالنعمة عنك. من وجدك فماذا فقد ؟ ومن فقدك فماذا وجد ؟ ربّ لا تجعلني أسير نفسي، ولا الدنيا أميرةً علي قلبي، ولا مالي وولدي أولي منك عندي. ربّ كما وسع علمك كل شيء، فليسع عفوك كل شيء، وأنا شيء، فليسعني عفوك، وليشملني كرمك.

رب من سواك لعبد يأكل نعمتك، ويقع في معصيتك، ثم يرجو رحمتك. خلقت الدنيا لأجلي، وخلقتني لأجلك فلا تشغلني بما خلقته لأجلي عما خلقتني لأجله، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

إهداء

لكل مسلم أبى أن يركن عقله إلى الخمول

مقدمة

هي كلمات

مرت بالعقل او الفكر في لحظة اصطفائية

وكانت النفس مهيأة لاغتنامها

قبل ان تمر مرور العابرين

وتسلم سلام المسافرين

فأحببت أن أكتبها في قرطاس، قبل ان تغادر الراس.

ولأفيد بها نفسي، ويستفيد بها الناس.

ولتكون خبرة السابق للاحق.

فتوفر عليه عناء التعلم بالأخطاء، ليتعلم بالمنح والعطاء.

وما أكتبه، لا أهدف به التأثير في كل نفس، بل أريد به صلاح نفسي، وصلاح ولو نفس أخرى، فتكون الأخرى خير لي من حمر النعم بإذن ربي.

فيا قارئ تلك الكلمات، لا تبخل عليّ بدعوة صادقة الى رب البريات.

والسلام.

في أول ليلة من العشر الاواخر ليلة ٢١ رمضان ١٤٤٠هجرية

عساها ليلة وترية، عساها ليلة القدر.

- **مدرسة الحياة**



الدراسة نظري وعملي (تطبيقي)

المقررات المطلوب مذاكرتها والاختبار فيها:

الايمان (قلب وجوارح)

القرآن: حفظ وتلاوة وتدبر

والأذكار: على أحوال اليوم

الأخلاق: مع الخلق

والآداب: في الدين والدنيا

العبادات: التي تثمر التقوى والصلاح

المعاملات: مع وازع ديني ونية صحيحة

النوافل والتطوع: للتقرب والترقي

النتيجة يوم القيامة:

تُحسب النتيجة بشكل تراكمي من مجموع درجات جميع المقررات طوال فترة الدراسة في مدرسة الحياة، وذلك على ثلاثة مستويات:

١ .امتياز، وهم السابقون الأوائل الذين ذاكروا، وسهروا، واجتهدوا، وصبروا، وصابروا، وسارعوا، وسابقوا.

التكريم: الفردوس الأعلى، وحور عين، ورؤية رب كريم.

٢ .جيد، وهم أصحاب اليمين، في المرتبة التالية.

التكريم: جنات وحور ومقام كريم.

3 .راسب، وهم أصحاب الشمال، في المرتبة الأخيرة دون المستوى المطلوب.

الجزاء: في نار وسعر، نعوذ الله تعالى.

تبقى فئة حصلت على نصف الدرجة تبقى على الأعراف حتى يقضي الله لهم.

اللهم اجعلنا من السابقين المقربين، أو من أصحاب اليمين.

• (الله): النور الأول



في حياة كل منا أحداث يكتظ بها وقته ويضيق بها فراغه، تزدحم مكونة كتلةً ضخمةً داخل ذاكرته، ينفعل الانسان معها وبها، وذلك كل يوم حياتيًا، وحركيًا، وربما في منامه وأحلامه، وعندما يأتي الليل، ويُطوّقُ الكون بسكونه المعهود، يرتمي الإنسان في أحضانه، ويعيد النظر في أفكاره، ومن ثم يعيد انتاج تأملاته

وخواطره، فيغوص به الليل في فكرة، أو حدث، أو معنى، ويصيغ للإنسان معالجات جديدة، وبدائل أكثر منطقية وتناسبًا، وتعديلًا أكثر لياقة ولباقة لعبارات وأقوال ومعاملات.

ومع سكون الليل تسكن الجوارح، وينشط الفكر في هدوء، وتترنم دقات القلب في إيقاعات متناغمة، وتتتابع نبضات الصدر، تعزف على أوتار النفس فتخلصها مما علق بها من خُمول وإعياء، ويَسبح الإنسان بعمق في امواج الليل الدافئ، يسبح في كيانه وذاته، ومع غوصه واندماجه، وسكون جوارحه واستسلامها، واختلاط نبضات القلب مع صوت العقل مع همس الليل العجيب وصوته الخافت، يسمع صوتًا ينادي بأعماقه، يجد فيه المتعة الروحية، والسعادة النفسية، وكأنما يكلم الليلَ بهدوء واطمئنان:

أيها الليل! ماذا لو حدثتك، كلمتك، حاورتك، هل بمقدورك أن تحدثني عن السر الأعظم؟ عن الوجود الأول؟! عن الدنيا وأسرارها؟ عن نفسي، كيف لي سبر أغوارها؟ عن الإنسان، كيف ارتبط بالحياة وكيف ارتبطت به الحياة؟ عن الجمال والجلال؟ عن النقص والكمال؟ عن النفس والروح؟ عن الإرادة والضمير؟ عن الابتداء والانتهاء، عن هذا المسير؟ وكيف المصير؟!

أتراك تمد لي يد العون بهدوئك المعهود، تريحني بيدين حانيتين كالأم الرؤوم، وتزيح عن قلبي هذه الكتلة الضخمة من أحداث الحياة كالهَمِّ الغَشوم؟

صوت الليل!

أيها الصوت القابع في أعماق الظلمات، لا تُناجي ذاتك منفردًا، هيا ننسج صداقة فيما بيننا، نعبر بها حواجز الذات، وموانع العاطفة، لنغزل لقاء الحب والتأمل والمعرفة.

****

أغمضت عيناي، وسَكَنتْ جوارحي، وهدأتْ دقات قلبي، ونامت نبضات صدري، وبدأتُ في رحلة غوصٍ في أعماق نفسي، لأرتقي منها إلى أعماق الوجود، ومع غوصي وارتقائي، تلاشى لدي الإحساس بالذات، وسافر الخيال عبر الماضي البعيد، حيث لا وجود غير وجود، ولا شيء غير شيء: لا سماء، ولا أرض، ولا

إنسان، ولا جان، لا نبات، ولا حيوان، ولا جماد، ولا جبال، ولا شمس، ولا قمر، ولا بحار، ولا أنهار، ولا ليل ولا نهار...



هناك في الماضي البعيد، وقف الخيال مُحلِّقًا بين شيء ولا شيء. شعور رهيب، وعظيم أن تتخيل وجودك في عالم ليس به مخلوقات، ليس به صراع وحروب ودماء، ليس به حقد وكراهية صباح مساء، أن تتخيل وجودك في عالم هو عين النقاء والصفاء، هو النور والسرور، لم يُدنسه غباء الإنسان، وحقد الإنسان، وصراع الإنسان مع الإنسان، هناك حيث لا شر ولا أشرار، ولا فساد ولا إفساد، حيث النور الأول، المتجه في الأنحاء، والمنتشر في الأرجاء، لا ابتداء له ولا انتهاء، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الرحيم الرحمن، القدوس السلام، الجبار القهار، من ليس لغيره الكمال، إنه الخير الأعظم، الكريم الأكرم...

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.



- **وُلِدَ الهدى (مقامة أدبية)**

الأرض تشكو جهل الجاهلين، وغفلة الغافلين، وعبادة الأصنام، جُرح بلا التئام، وقتل البنات، وملاعبة الفاتنات، وشرب المسكرات، والمتاجرة بالنساء، والتكسب من البِغاء، ومخالفة رب السماء، وقلة العهد والوفاء، وأكل الربا في الأموال، والحروب بينهم أهوال، والمفاخرة بالأنساب، كذا شق الثياب، عند كل مصاب، والتربح من القمار، بالليل والنهار، والفرس والروم، كالليث الظلوم، والبلاد بغير نور، إلا من زاهد مهجور، أو خائف محصور، أو عابد ملوم، قلبه مكلوم، والجزيرة العربية، في متاهاتها البربرية، وداحس والغبراء، عنوان الخواء، وحادثة الفيل، خير دليل. فيارب السماء، يا واهب العطاء، أرسل على الأرض نورًا مبينًا، وسراجًا كريمًا، يبدد الظلام، بطيب الكلام، ونور السلام، بمنهج الإسلام.



- وُلد الحبيب المصطفى، والكون إلى الهدى هفا، فكان مولده ربيعًا، تجلى للحياة بديعًا، أشد من البدر تمامًا، أضاء بمولده الشامَ، وجاءت الإرهاصات تترى، وأُطفئت نيران كسرى، ولم تجد أمُه ألمِا، فكان للرحمة علمًا، فقال جده عبد المطلب، قولةً من ماسٍ وذهبْ، سيكون لابني هذا شان، لكل زمان ومكان، فكان يُجلسه في مكانه، دون ولده وعياله، وسماه جده محمدًا، عسى في الكون يُحمَدا.

- **لغة الملحدين**

الله هو الواحد، هو الواجد، هو الخالق.

ايماني بذلك عميق، وفطري، وعقلي، نعم! فطرتي دلتني عليه، وعقلي قادني إليه، وقلبي اطمئن إليه، لا يثنيني عن الإيمان به إنكار المنكرين، ولا إلحاد الملحدين، ممن يعمل ضد الفطرة، وضد الضمير، لا يجلسون

الى حوار، ولا يستمعون لنصح، ولا ينصاعون لحقيقة، دليلهم الهوى، وسلاحهم العناد، وسندهم الشيطان وبئس النصير. ولا يعنيني من أمر هؤلاء سوى الفضول في معرفة مبررات إنكارهم، ودوافع إلحادهم، وحقيقة فكرهم: أمذهبي؟! أم وصولي؟!!

أترى مثل هؤلاء ينعمون حقًا بإنكارهم وجود خالق مدبر لهذا الكون الواسع، وأَنَّى لعاقل أن ينعم بسعادة في ظل كون لا يحكمه حاكم، ولا يَنظمه ناظم، ولا يقوده قائد، بل هي الفوضى والغوغائية إذن، **(وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) النساء**. أي خسارة تقع عليهم من جراء هذا الايمان؟! أي ضرر؟! أي عيب؟! أو مسبة؟!، ولماذا يتركون الأدلة الناطقة الصارخة المعبرة، ويُنقِّبون عن أدلة لا تقوى أمام حجة، ولا تصمد أمام برهان.



هؤلاء لا يفهمون من لغات الحوار إلا لغة العقل، والمكسب والخسارة، ولست أرى من مَثلٍ لنا ولهم إلا كمثل سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مع هذا الرجل؛ إذ يستمع له وهو ينكر البعثُ والحشرُ والحسابُ والجنةُ والنار، فخاطبه بما يفهم، بلغة العقل، لا لغة النقل، إذ قال له لو اننا متنا ولم نُبعث فهل كسبنا شيئًا أو خسرنا شيئًا؟!، قال لا.

قال: فإن كان بعث، فمن منا يكسب؟ ومن منا يخسر؟

عندئذ فهم الرجل الرسالة، إذا كان يبني اعتقاده على الاحتمال، فعليه أن يفتح الباب على الاحتمالات الممكنة، ويقلبها ويفندها، ويَعرف أين يكسب وأين يخسر.



هكذا الحال مع الملحدين والمنكرين، علينا أن نوصل لهم الرسالة بمثل هذا المنطق، فإن كانوا قد بنوا اعتقاداتهم على مسلمات يقينية فهَلُمَّ بها، وما ذلك لهم، بل ما في جعبتهم من العبث أدعى للنكات، والضحك، والسخرية، كما سَخَرَ الإمام أبو حنيفة من أحد الملحدين، فقال له: رأيت اليوم سفينة بلا ربان ولا قائد، لكنها تعرف طريقها في البحر، لا تميل بها ريح، ولا تنحرف بها جهة. فقال الملحد: هذا مستحيل. فكان مقتله من لسانه، وهزيمته من قياسه.

- **قراءة في حجج العلمانيين والملحدين**

هناك من يحاول إسقاط الدين من الداخل، وهناك من يحاول فعل ذلك من الخارج، وقد يتكالب الفريقان ويتكاتفا إذا وجدا إلى ذلك سبيلا، وهناك من يضطر للدخول في قضية الإيمان عن تردد وخذلان، بعد سقوط حجج الإلحاد والإنكار بين يديه، وهناك من يرفض الاستسلام وهو خاوٍ من البرهان، فيتولى كبره بالهذيان، ومن دخل منهم مضطرًا في قضية الإيمان، يلجأ للتحايل على النصوص، وإسقاطها على غير مقاصدها ومعانيها، فيقولون: إننا آمنا بالله وبأنه خالق كل شيء، ولا يكون شيء إلا بإذنه وإرادته، وأمورنا كلها بيده، وأفعالنا محض ما يشاء، وعين ما يريد، وكل أفعالنا مقدرة منذ الأزل، فلماذا اللوم على أفعالنا طالما أنها تقع بإرادة خالقنا ومدبر أمورنا؟! وبهذا يطوفون بك حول شبهة القدر، والإرادة، والحرية، والاختيار، أو التسيير والتيسير...الخ. فإذا ما استطعت أن تقيم عليهم الحجة في ذلك، من حيث أن الله تعالى يعلم مسبقا بالأفعال، لكنه تعالى منحهم الحرية في الاختيار، ليرتب على ذلك مسؤولية الحساب والجزاء، والعلم المسبق لا يستلزم الجبر المطلق، ولا القهر المطبق، وأن الإنسان حمل باختياره في عالم الذر

أمانة التكليف في القدرة على الاختيار بين الكفر والإيمان، بين الطاعة والمعصية، بين الفضيلة والرذيلة، وبين الخير والشر.



أقول: إذا ما أقمت عليهم الحجة في ذلك سلكوا بك طريقًا آخر، طريق التشكيك في الفرعيات لا الأصول، فسألوك: ما الفائدة من خلق كذا وكذا؟ وما الفائدة من تعذيب البشر؟ ولماذا خلق الله الخنزير والبعوض والذباب؟ ولماذا الغسل من المني وهو غير نجس؟ ولماذا يتناول القران الحشرات والحيوانات؟ ولماذا يُلام الشيطان وقد رفض السجود لغير خالقه؟ ولماذا لا نكتفي بالقرآن؟ ولماذا المذاهب الفقهية؟ وينكرون الحدود؟ ويتحدثون عن القسوة في التشريع...الخ، وكلها أسئلة تعبر عن جهل جهول، وضيق أفق معرفي، وجعبة خاوية إلا من حب الجدال، بلا فن ولا دراية بأصول النزال، فإن أقمت الحجة عليهم، وأن الفرع لا يوجب الشك في الأصل، وأنهم يمنطقون الباطل، ويضِلُّون في القياس؛ فيقيسون على غير أصل، مع الاختلاف والفارق. وإذ تسقط في أيديهم كل شطحة من شطحاتهم؛ يقفون بك في مسألة جديدة، فيقولون إن الاحتكام يكون للواقع، وليس للنص القرآني أو السُنّي، ولأن الواقع يختلف في قواعده الفقهية عن قواعد النص، وعليه فليبق النص داخل دور العبادة، ولندع الواقع يُحلق في حرية غير محكومة، إلا بما يتفاوت فيه البشر من قوانين وضعية بحتة ومجردة؛ فإذا ما خذلتهم القوانين الوضعية، وتبين لهم أن قصورها نابع من قصور العقل البشري، وأن كمال القوانين السماوية نابع من كمال المشرع لها وهو الله تعالى، انحرفوا بك إلى قضية التناقض بين النصوص، بعضها البعض، على جهل منهم أو تجاهل للناسخ والمنسوخ، وفقه الدلالات النصية، وأسباب النزول، وفقه السياق، وما يستلزمه من دلالات، وفقه الجمع بين النصوص عند علماء الأصول. فإذا وقفوا كالسكارى أمام حجج الدين وحصونه المنيعة، قالوا إن الدين من التراث، وإنما

كان لحقبة زمانية بعينها، ولموقع مكاني أو جغرافي بذاته، وأنه لم يعد يُساير الحضارة، والرقي، والتقدم، والمدنية ...الخ، فإن سألتهم: ألا تُقرون بالقرآن كلامًا ووحيا لله تعالى؟! فالله تعالى ذكر أن هذا الدين للناس كافة، ومنهج الله إلى قيام الساعة، ورحمته للعالمين، وهداية للإنس والجن أجمعين.

هذا إن كان هؤلاء قد دخلوا في قضية الإيمان عن اضطرار كالعلمانيين والليبراليين، ومن يصفونهم بالمفكرين المعاصرين التقدميين، ممن يحاولون زعزعة الدين من الداخل، وهم في الحقيقة يعانون من زعزعة الضمير، وزيغ الأفئدة، وخواء النفوس. فماذا عن الآخرين الذين يحاولون هدم الدين من الخارج، كالملاحدة، والمستشرقين، والماسونيين، والماركسيين، وغيرهم ممن ضلوا سواء السبيل؟!!

يبدأ معك هؤلاء بحل وسطي يرضي الجميع ــ بزعمهم ــ فيقولون إنّ اللهَ غير موجود، لكن لا نقول بأن الحياة بلا خالق، فنتساءل عن خالقهم المزعوم، فيقولون: الطبيعة.

- الطبيعة؟!!!



- نعم!

ذلك الكل المكون من أجزاءه: سماوات، أرض، ليل، نهار، بحار، انهار، ماء، نار، إنسان، حيوان، نبات، وجماد...الخ. نعم! الطبيعة في رأيهم هي المسؤولة عن الخلق، والتدبير، والنظام، والمنح، والمنع ...الخ، فإذا خرجت من هذه بأن الطبيعة قابلة للفساد، والانتهاء، وأنها ليست أزلية بل حادثة، وكل حادث فهو مخلوق وليس خالق، وأن كل شيء في الطبيعة ينتهي إلى مقبرة، إلى فناء، ولا يكون الخالق حادثًا ولا فانيًا. أقول: إذا خرجت من هذه؛ قالوا إن الكون بلا خالق مطلقًا، وأنه وجد صدفة نتيجة انشطار في صخرة عظيمة

نتج عنها التهاب فتفتت الصخرة مكونة أجزاء العالم، أو أن الكون خلق نفسه بنفسه، أو أن الإنسان هو الخالق الأعظم، أو لا نؤمن بإله لا نراه.

وكما ترون؛ كلها دعاوى لا تثبت، وهي من الهوان بوضوحٍ وضوحَ الشمس في كبد السماء، ووضوح البدر في قلب المساء، فلم يشاهدوا انشطار الصخرة، ولا يعرفون مَن شطرها، ولا أسباب تفتتها، ولا توجد تجربة شاهدة على خلق الأشياء لذواتها، ولا الإنسان الضعيف الذي يسكن باطن الأرض بأكثر من ظهرها بصالحٍ أن يكون إلهاً، ولا هم شاهدوا عقولهم، ولا شاهدوا الهواء حولهم، مع إيمانهم بوجود هذا وذاك، فلا حجة لهم إذن ولا برهان، ولا دليل لهم ولا إثبات.



والحق أننا نُخطِئُ أيَّما خطأٍ، حينما نُساير هؤلاء في جدالات واسعة تستهلك الوقت، والعقل، والفكر، بينما كثير منهم يصنف في الفئة الوصولية، غير المذهبية، والتي تتخذ من هذه المجادلات سلمًا للوصول إلى الشهرة والمال، عملا بالقاعدة النشاز: خالف تُعرف. إنما يكفينا أن نُعلم بعض صبيان العلم في بلادنا ليفندوا شبهات هؤلاء، ويعروهم أمام عامة الناس ممن ينخدعون بكلامهم المنطق بالباطل، والمتلبس بالزيغ، والممزوج بالهوى. فقط؛ أن نضع صغار طلاب العلم على الطريق ونعلمهم أن يهبطوا بهؤلاء من قضية الإيمان الواضحة اليقينية إلى فروع الدين التي تتسع للاختلاف بالضوابط المتفق عليها في علوم الأصول، ولا يسمحوا لهؤلاء الوصوليين – في أغلبهم – أن يصعدوا بهم من التشكيك في فروع الشريعة إلى التشكيك في كليات الدين اليقينية، ثم ما علينا بعدها إلا أن نتفرغ للإنجاز واستثمار فريضة الوقت، ونُنحِّي هؤلاء جانبًا، ولا نُشغل بهم أهل العلم من حراس العقيدة وفقهاء الشريعة.

5. بين الإسلام والعقل

يعترض البعض على مقولة الإسلام هو الحل، ويرى أن الاحتكام إلى العقل والتعاون البشري هما الحل. وبصرف النظر عن الشعارات الحركية والحزبية، وما المقصود منها، وماذا يراد بها، وبمناقشة مجردة وموضوعية نتساءل: هل دعوى أن العقل والتعاون هما الحل دعوى علمانية أم دعوى إلحادية؟



الدعوى العلمانية لا تعترف بدخول الدين في الدنيا، والدعوى الإلحادية لا تعترف بالدين أصلا، ولهؤلاء وهؤلاء نتساءل: من قال إن العقل والتعاون مختلفان عن الإسلام؟

القرآن الكريم حافل بالدعوة إلى العقل والتعاون. والسنة النبوية حافلة بالدعوة الى العقل والتعاون. قال تعالى في كتابه العزيز:

(أفلا يعقلون) (لآيات لقوم يعقلون) (وما يعقلها إلا العالمون) (لآيات للعالمين)

(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (أليس منكم رجل رشيد) اي عاقل.

(وتعاونوا على البر والتقوى)

ومن السُنَّة:

(اعقلها وتوكل) وهو من العقل والتفكير السليم.

(المؤمن كَيِّس فَطِن): اي زكي عاقل عنده فراسة.

(أحبُ الناس الى الله أنفعهم للناس) (كان الله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه)، فإذا كان الإسلام يشمل العقل والتعاون، وإذا كان العقل والتعاون هما الحل،

إذن الإسلام هو الحل، وهذا تركيب منطقي، ولكي يفهمه الآخر عليه بدراسة المنطق والمقدمات والنتائج، ولو درس المنطق فقد درس علمًا عقليًا.

ألا يكفي أنَّ أول كلمة في الإسلام هي اقرأ؟



لماذا القراءة؟

لاستنارة العقل.

فأين المشكلة اذن؟

المشكلة ليست في الإسلام، ولكن في فهمه وتطبيقه بشكل صحيح. فالسكين تصلح للطبخ وتقطيع الفاكهة وتساعدك في أمور حياتية نافعة، فإن استخدمها انسان في القتل؛ فهل المشكلة في ذات السكين؟! وأنها لم تعد حلًا صالحًا لكثير من أمور الحياة؟ أم أن المشكلة في القاتل الذي أساء فهم وظيفة السكين وطبقها بشكل مناقض وفاسد؟ السكين لا تُتهم بدلا من القاتل، والسكين لا تسجن ولا يقتص منها، بل القاتل هو الذي يتهم ويسجن ويقتل، فمن أساء الفهم والتطبيق يتحمل سوء فهمه وعقوبة تطبيقه الفاسد. وإن كان سوء الفهم شيء قبيح من أبناء الدين، فإن عدم الفهم المطلق سيكون أشد قبحًا ممن لا ينتسب لدين، ومصيبته أعظم وجهله جهل مركب لا بسيط، لكونه لا ديني، ولكونه لا يفهم مطلقًا، فيا رثائي لحاله، على سوء خياله.

والعلاقة بين الإسلام والعقل علاقة الكل بالجزء والعام بالخاص، فالعقل آلة من آلات الدين الإسلامي.

لكن يبقى سؤالٌ يُوجه لكل ملحد: أنتم ترفضون الاحتكام للدين في الحياة، وتقبلون الاحتكام للعقل، أليس كذلك؟!!

فهل العقل واحد مطلق؟ أم عقول متعددة؟!!

وهل العقول المتعددة عقول متفقة؟ أم عقول مختلفة ومتفاوتة؟!!

وهل على تفاوتها تسير في اتجاه واحد؟ ام تسير أحيانًا أو غالبًا في اتجاهات متناقضة؟

وإذا كانت متناقضة فمن منها يستحق الإيمان به ومن منها يستحق الكفر به؟

وإذا كان بعضها على صواب فيؤمن به وبعضها على خطأ فيكفر به فهل آمنتم بالعقل الصحيح وكفرتم بالعقل الخطأ أم آمنتم بالجميع أم كفرتم بالخطأ؟ وما مقياس الخطأ والصواب وإلى من يحتكم في التمييز بينهما؟

وإذا كان الله واحد والعقول متعددة والله مطلق والعقول متفاوتة وأحيانا متناقضة فأيهما أحق بالإيمان الله أم العقل؟!!

أجيبونا عن هذه الأسئلة ان كان لديكم جوابًا.



ثم إن دعواكم العقلانية في ميدان الإلحاد حجة عليكم في إثبات الوجود الالهي، من حيث أنكم تنكرون وجود الله بحجة عدم الرؤية، فهل رأيتم العقل؟

فيكون جوابكم: نؤمن بالعقل لوجود أثره وهو الفكر، فيكون جوابنا: نؤمن بالله لوجود أثره وهو الخلق.

فتقبلون بجوابكم وتردُّون جوابنا؛ فدل ذلك على وجود هوى في النفس.

فسقطت حجتكم وأنتم لا تشعرون.

- **الغَيب**

من المتاح لي أن أسمع صوت إنسان لكن لا أعرف رسمه، ولا شكله من وراء حجاب، لكنني أيقنت أن الصوت صوت إنسان، فأخذت من الصوت دليلاً على وجود صاحبه، ولم آخذ دليلاً على الرسم والشكل، فالإنسان هنا غيب، لكنه بالأثر لم يعد غيبا في الوجود؛ بل غيب في الشكل والرسم، ومعنى ذلك أن الصوت أثرٌ لكنه ليس عين المصدر، وليس ثمة تشابه بين الأثر والوجود.



سبحانك ربي، ما أعظمك، لك المثل الأعلى، يا من لا حدود لك، وجعلتني محدودًا، فكيف بالمحدود أن يحيط علما باللامحدود، خلقت لي آثارًا أستدل بها عليك، وأهتدي بها إليك، وليست هي عين ذاتك، ولا هي عين صفاتك، لأنك سبحانك القائل: (ليس كمثله شيء)، فكل صفاتك على ما أخبرت به، وأنزلت

في كتبك، وأوحيت إلى أنبياءك، دون تحريف أو تعطيل، أو تأويل أو تشبيه، ودون زيادة أو نقصان، وكيف لي أن أخوض في ذلك، وكل الخلق على غير مثالك؟!! لكني أستدل بالأثر على وجودك، وكل الخلق آثارك، ولا أستدل بالأثر على الرسم، لأنه لا علم لي فيه بكيفك ولا بمثالك، لكنني أعلم بأن لك الكمال المطلق في الذات والصفات، كما جاء في الآيات والبينات، ولا نخرج عنها في الإقرار والإثبات.

- **الله الخالق**

سألني أحدهم: الله الذي خلق الخلق، والعقل يقول بأن وراء كل صنعة صانع، فمن خلق الله؟! ثم أخذ يستغفر ويقول: سامحني أنا أعلم أن السؤال خطأ بهذا الطرح، ولكن أريد راحة عقلي بجواب عقلي.

قلت له هذا سؤال، جوابه بسيط، سهل، وليس بالصعوبة التي تتخيلها، وبداية تعالى بنا نفترض أشياء ليست حقيقية، وليست مقبولة، لكن كوسيلة نصل من خلالها الى الحقيقة. قال: لا بأس أنا معك. قلت له: الله سبحانه وتعالى في المقدمة، ثم نفترض افتراضًا جدليًا بأن هناك إله آخر رقم 2 هو الذي خلق الإله الأول، ونفترض أن هذه حقيقة مؤكدة بالأدلة، والشواهد اليقينية؛ هل استراح عقلك الآن؟ قال: لا؛ فمن خلق الإله رقم 2؟!! قلت: من أجل أن تستريح؛ سأخبرك بان الإله رقم 3 هو الذي خلق مَن قبله من الآلهة، هل استرحت؟! قال: لا؛ فمن خلق الإله 3؟!! قلت: إذن ستسأل في كل مرة من خلق كذا، ولن تستريح، فإذا وصلنا بعد جهد ووقت وتعب إلى الرقم مليار؛ فستسأل: من خلق الإله رقم مليار؟! أليس كذلك؟

قال: بلى، لن ننتهي. قلت: فأخبرني أنت كيف الخلاص؟!قال: يجب أن نتوقف عن العد. قلت: وكيف نقف عن العد وانت لا تقف عن السؤال من خلق من خلق ...الخلق قال: فماذا نفعل حتى نخرج من هذه المشكلة؟!قلت: لا يوجد إلا مخرج واحد؛ أن نسلم بوجود إله خلق ولم يُخلق، وصنع ولم يُصنع.

قال: نعم، هذا صحيح. قلت: فالسؤال: من هو الإله الذي خلق ولم يُخلق، وهو وحده من أخبرنا عن ذاته، وصفاته، وأرسل الأنبياء، وأنزل الكتب، وأيد بالمعجزات؟



قال باكيًا: لا إله الا الله سبحانه، لا إله الا الله محمد رسول الله، آمنت بالله.

- **تخويف الكاذب والملحد من الله الواحد الأوحد**

أولاً: الله واجد الوجود

ثانيًا: لغة الملحدين

ثالثا: حجج الملحدين

رابعا: تخويف الله للملحدين والمكذبين والمشركين والمفترين عليه

خامسا: الإسلام والعقل

....

أولاً: الله واجد الوجود

في حياة كل منا أحداث يكتظ بها وقته، ويضيق بها فراغه، تزدحم مكونة كتلةً ضخمةً داخل ذاكرته، ينفعل الإنسان معها وبها، وذلك كل يوم حياتيًا، وحركيًا، وربما في منامه، وأحلامه، وعندما يأتي الليل،

ويُطَوّقُ الكون بسكونه المعهود، يرتمي الإنسان في أحضانه، ويعيد النظر في أفكاره، ومن ثم يعيد انتاج تأملاته وخواطره، فيغوص به الليل في فكرة، أو حدث، أو معنى، ويصيغ للإنسان معالجات جديدة، وبدائل أكثر منطقية وتناسبًا، وتعديلًا أكثر لياقة، ولباقة لعبارات، وأقوال، ومعاملات.

ومع سكون الليل تسكن الجوارح، وينشط الفكر في هدوء، وتترنم دقات القلب في إيقاعات متناغمة، وتتتابع نبضات الصدر، تعزف على أوتار النفس فتخلصها مما علق بها من خُمول، وإعياء، ويَسبح الإنسان بعمق في أمواج الليل الدافئ، يسبح في كيانه، وذاته، ومع غوصه، واندماجه، وسكون جوارحه، واستسلامها، واختلاط نبضات القلب مع صوت العقل مع همس الليل العجيب، وصوته الخافت، يسمع صوتًا ينادي بأعماقه، يجد فيه المتعة الروحية، والسعادة النفسية، وكأنما يكلم الليلَ بهدوء واطمئنان:

أيها الليل! ماذا لو حدثتك، كلمتك، حاورتك، هل بمقدورك أن تحدثني عن السر الأعظم؟ عن الوجود الأول؟! عن الدنيا وأسرارها؟ عن نفسي، كيف لي سبر أغوارها؟ عن الإنسان، كيف ارتبط بالحياة وكيف ارتبطت به الحياة؟ عن الجمال والجلال؟ عن النقص والكمال؟ عن النفس والروح؟ عن الدين، والحياة، والناس؟!عن الإرادة والضمير؟ عن الابتداء والانتهاء؟ عن هذا المسير؟ وكيف المصير؟!

أتراك تمد لي يد العون بهدوئك المعهود، تريحني بيدين حانيتين كالأم الرؤوم، وتزيح عن قلبي هذه الكتلة الضخمة من أحداث الحياة كالهَمّ الغَشوم؟

صوت الليل!

أيها الصوت القابع في أعماق الظلمات، لا تُناجي ذاتك منفردًا، هيا ننسج صداقةً فيما بيننا، نعبر بها حواجز الذات، وموانع العاطفة، لنغزل لقاء الحب، والتأمل، والمعرفة.

أغمضت عيناي، وسَكَنتْ جوارحي، وهدأتْ دقات قلبي، ونامت نبضات صدري، وبدأتُ في رحلة غوصٍ في أعماق نفسي، لأرتقي منها إلى أعماق الوجود، ومع غوصي وارتقائي، تلاشى لدي الإحساس بالذات، وسافر الخيال عبر الماضي البعيد، حيث لا وجود غير وجود، ولا شيء غير شيء: لا سماء، ولا أرض، ولا

إنسان، ولا جانّ، لا نبات، ولا حيوان، ولا جماد، ولا جبال، ولا شمس، ولا قمر، ولا بحار، ولا أنهار، ولا ليل ولا نهار...

هناك في الماضي البعيد، وقف الخيال مُحلِّقًا بين شيء ولا شيء. شعور رهيب، وعظيم أن تتخيل وجودك في عالم ليس به مخلوقات، ليس به صراع، وحروب، ودماء، ليس به حقد، وكراهية، صباح مساء، أن تتخيل وجودك في عالم هو عين النقاء، والصفاء، هو النور، والسرور، لم يُدنسه غباء الإنسان، وحقد الإنسان، وصراع الإنسان مع الإنسان، هناك حيث لا شر ولا أشرار، ولا فساد ولا إفساد، حيث النور الأول، المتجه في الأنحاء، والمنتشر في الأرجاء، لا ابتداء له ولا انتهاء، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الرحيم الرحمن، القدوس السلام، الجبار القهار، من ليس لغيره الكمال، إنه الخير الأعظم، الكريم الأكرم، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

ثانيًا: لغة الملحدين

الله هو الواحد، هو الواجد، هو الخالق...

إيماني بذلك عميق، وفطري، وعقلي، نعم! فطرتي دلتني عليه، وعقلي قادني إليه، وقلبي اطمئن إليه، لا يثنيني عن الإيمان به، بإذنه تعالى، إنكار المنكرين، ولا إلحاد الملحدين، ممن يعملون ضد الفطرة، وضد الضمير، لا يجلسون إلى حوار، ولا يستمعون لنصح، ولا ينصاعون لحقيقة، دليلهم الهوى، وسلاحهم العناد، وسندهم الشيطان وبئس النصير. ولا يعنيني من أمر هؤلاء سوى الفضول في معرفة مبررات إنكارهم، ودوافع إلحادهم، وحقيقة فكرهم: أمذهبي؟! أم وصولي؟!

أترى مثل هؤلاء ينعمون حقًا بإنكارهم وجود خالق مدبر لهذا الكون الواسع، وأَنَّى لعاقل أن ينعم بسعادة في ظل كون لا يحكمه حاكم، ولا ينظمه ناظم، ولا يقوده قائد، بل هي الفوضى والغوغائية إذن، (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) النساء 39. أي خسارة تقع

عليهم من جراء هذا الايمان؟! أي ضرر؟! أي عيب؟! أي مسبة؟!، ولماذا يتركون الأدلة الناطقة الصارخة المعبرة، ويُنقِّبون عن أدلة لا تقوى أمام حجة، ولا تصمد أمام برهان.

هؤلاء لا يفهمون من لغات الحوار إلا لغة العقل، والمكسب، والخسارة، ولست أرى من مَثَلٍ لنا ولهم إلا كمثل سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مع هذا الرجل؛ إذ يستمع له وهو ينكر البعثُ، والحشرُ، والحسابُ، والجنةُ، والنار، فخاطَبه بما يفهم، بلغة العقل، لا لغة النقل، إذ قال له: لو أننا متنا ولم نُبعث فهل كسبنا شيئًا أو خسرنا شيئًا؟!، قال لا.

قال: فإن كان ثمة بعث، فمن منا يكسب؟ ومن منا يخسر؟

عندئذ فهم الرجل الرسالة: إذا كان يبني اعتقاده على الاحتمال، فعليه أن يفتح الباب على الاحتمالات الممكنة، ويقلبها، ويفندها، ويَعرف أين المكسب، وأين الخسارة.

هكذا الحال مع الملحدين، والمنكرين، علينا أن نوصل لهم الرسالة بمثل هذا المنطق، فإن كانوا قد بنوا اعتقاداتهم على مسلمات يقينية فهَلُمَّ بها، وما ذلك لهم، بل ما في جعبتهم من العبث أدعى للضحك، والسخرية، كما سَخَرَ الإمام أبو حنيفة من أحد الملحدين، فقال له: رأيت اليوم سفينة بلا ربان، ولا قائد، لكنها تعرف طريقها في البحر، لا تميل بها ريح، ولا تنحرف بها جهة. فقال الملحد: هذا مستحيل. فكان مقتله من لسانه، وهزيمته من قياسه.

ثالثًا: قراءة في حجج العلمانيين والملحدين

هناك من يحاول إسقاط الدين من الداخل، وهناك من يحاول فعل ذلك من الخارج، وقد يتكالب الفريقان ويتكاتفا إذا وجدا إلى ذلك سبيلًا، وهناك من يضطر للدخول في قضية الإيمان عن تردد، وخذلان، بعد سقوط حجج الإلحاد، والإنكار بين يديه، وهناك من يرفض الاستسلام وهو خاوٍ من البرهان، فيتولى كبره بالهذيان، ومن دخل منهم مضطرًا في قضية الإيمان، يلجأ للتحايل على النصوص، وإسقاطها على غير مقاصدها ومعانيها، فيقولون مثلًا: إننا آمنا بالله، وبأنه خالق كل شيء، ولا يكون شيء إلا بإذنه، وإرادته،

وأمورنا كلها بيده، وأفعالنا محض ما يشاء، وعين ما يريد، وكل أفعالنا مقدرة منذ الأزل، فلماذا اللوم على أفعالنا طالما أنها تقع بإرادة خالقنا ومدبر أمورنا؟! وبهذا يطوفون بك حول شبهة القدر، والإرادة، والحرية، والاختيار، أو التسيير والتيسير...الخ. فإذا ما استطعت أن تقيم عليهم الحجة في ذلك، من حيث أن الله تعالى يعلم مسبقًا بالأفعال، لكنه تعالى منحهم الحرية في الاختيار، ليرتب على ذلك مسؤولية الحساب والجزاء، والعلم المسبق لا يستلزم الجبر المطلق، ولا القهر المطبق، وأن الإنسان حمل باختياره في عالم الذر أمانة التكليف في القدرة على الاختيار بين الكفر والإيمان، بين الطاعة والمعصية، بين الفضيلة والرذيلة، وبين الخير والشر.

أقول: إذا ما أقمت عليهم الحجة في ذلك سلكوا بك طريقًا آخر، طريق التشكيك في الفرعيات لا الأصول، فسألوك: ما الفائدة من خلْق كذا وكذا؟ وما الفائدة من تعذيب البشر؟ ولماذا خَلَق الله الخنزير، والبعوض، والذباب؟ ولماذا الغسل من المني وهو غير نجس؟ ولماذا يتناول القرآن الحشرات، والحيوانات؟ ولماذا يُلام الشيطان وقد رفض السجود لغير خالقه؟ ولماذا لا نكتفي بالقرآن ونترك السنة؟ ولماذا المذاهب الفقهية؟ ولماذا الحدود؟ ويتحدثون عن القسوة في التشريع...الخ، وكلها أسئلة تعبر عن جهل جهول، وضيق أفق معرفي، وجعبة خاوية إلا من حب الجدال، بلا فن، ولا دراية بأصول النزال، فإن أقمت الحجة عليهم، وأن الفرع لا يوجب الشك في الأصل، وأنهم يمنطقون الباطل، ويضِلُّون في القياس؛ فيقيسون على غير أصل، مع الاختلاف والفارق. وإذ تسقط في أيديهم كل شطحة من شطحاتهم؛ يقفون بك في مسألة جديدة، فيقولون إن الاحتكام يكون للواقع، وليس للنص القرآني أو السُنّي، ولأن الواقع يختلف في قواعده الفقهية عن قواعد النص؛ فليبقَ النص داخل دور العبادة، ولندع الواقع يُحلق في حرية غير محكومة، إلا بما يتفاوت فيه البشر من قوانين وضعية بحتة، ومجردة؛ فإذا ما خذلتهم القوانين الوضعية، وتبين لهم أن قصورها نابع من قصور العقل البشري، وأن كمال القوانين السماوية نابع من كمال المشرع لها وهو الله تعالى؛ انحرفوا بك إلى قضية التناقض بين النصوص، بعضها البعض، على جهل منهم أو تجاهل للناسخ والمنسوخ، وفقه الدلالات النصية، وأسباب النزول، وفقه السياق، وما يستلزمه من دلالات، وفقه الجمع بين النصوص عند علماء الأصول. فإذا وقفوا كالسكارى أمام حجج الدين وحصونه المنيعة، قالوا إن الدين من التراث، وإنما

كان لحقبةٍ زمنيةٍ بعينها، ولموقع مكاني، أو جغرافي بذاته، وأنه لم يعد يُساير الحضارة، والرقي، والتقدم، والمدنية ...الخ، فإن سألتهم: ألا تُقرون بالقرآن كلامًا ووحيا لله تعالى؟! فالله تعالى ذكر أن هذا الدين للناس كافة، ومنهج الله إلى قيام الساعة، ورحمته للعالمين، وهداية للإنس والجن أجمعين.

هذا إن كان هؤلاء قد دخلوا في قضية الإيمان عن اضطرار كالعلمانيين، والليبراليين، ومن يصفونهم بالمفكرين المعاصرين التقدميين، ممن يحاولون زعزعة الدين من الداخل، وهم في الحقيقة يعانون من زعزعة الضمير، وزيغ الأفئدة، وخواء النفوس. فماذا عن الآخرين الذين يحاولون هدم الدين من الخارج، كالملاحدة، والمستشرقين، والماسونيين، والماركسيين، وغيرهم ممن ضلوا سواء السبيل؟!!

يبدأ معك هؤلاء بحل وسطي يرضي الجميع ــ بزعمهم ــ فيقولون إنّ اللهَ غير موجود، لكن لا نقول بأن الحياة بلا خالق، فنتساءل عن خالقهم المزعوم، فيقولون: الطبيعة.

- الطبيعة؟!!!
- نعم!

ذلك الكل المكون من أجزاءه: سماوات، أرض، ليل، نهار، بحار، انهار، ماء، نار، إنسان، حيوان، نبات، وجماد...الخ. نعم! الطبيعة في رأيهم هي المسؤولة عن الخلق، والتدبير، والنظام، والمنح، والمنع ...الخ، فإذا خرجت من هذه بأن الطبيعة قابلة للفساد، والانتهاء، وأنها ليست أزلية بل حادثة، وكل حادث فهو مخلوق وليس خالق، وأن كل شيء في الطبيعة ينتهي إلى مقبرة، ولا يكون الخالق حادثًا ولا فانيًا. أقول: إذا خرجت من هذه؛ قالوا إن الكون بلا خالق مطلقًا، وأنه وجد صدفة نتيجة انشطار في صخرة عظيمة نتج عنها التهاب فتفتت الصخرة مكونة أجزاء العالم، أو أن الكون خلق نفسه بنفسه، أو أن الإنسان هو الخالق الأعظم، أو لا نؤمن بإله لا نراه.

وكما ترون؛ كلها دعاوى لا تثبت، وهي من الهوان بوضوحٍ وضوحَ الشمس في كبد السماء، ووضوح البدر في قلب المساء، فلم يشاهدوا انشطار الصخرة، ولا يعرفون مَن شطرها، ولا أسباب تفتتها، ولا توجد تجربة

شاهدة على خلق الأشياء لذواتها، ولا الإنسان الضعيف الذي يسكن باطن الأرض بأكثر من ظهرها بصالحٍ أن يكون إلهاً، ولا هم شاهدوا عقولهم، ولا شاهدوا الهواء حولهم، مع إيمانهم بوجود هذا وذاك، فلا حجة لهم إذن ولا برهان، ولا دليل لهم ولا إثبات.

والحق أننا نُخطِئُ أيَّما خطأٍ، حينما نُساير هؤلاء في جدالات واسعة تستهلك الوقت، والعقل، والفكر، بينما كثير منهم يُصنف في الفئة الوصولية، غير المذهبية، والتي تتخذ من هذه المجادلات سلمًا للوصول إلى الشهرة، والمال، عملا بالقاعدة النشاز: خالف تُعرف. إنما يكفينا أن نُعلم بعض صبيان العلم في بلادنا ليفندوا شبهات هؤلاء، ويعروهم أمام عامة الناس ممن ينخدعون بكلامهم المغلف بالباطل، والمتلبس بالزيغ، والممزوج بالهوى. فقط؛ أن نضع صغار طلاب العلم على الطريق، ونعلمهم أن يهبطوا بهؤلاء من قضية الإيمان الواضحة اليقينية إلى فروع الدين التي تتسع للاختلاف بالضوابط المتفق عليها في علوم الأصول، ولا يسمحوا لهؤلاء الوصوليين –في أغلبهم –أن يصعدوا بهم من التشكيك في فروع الشريعة إلى التشكيك في كليات الدين اليقينية، ثم ما علينا بعدها إلا أن نتفرغ للإنجاز واستثمار فريضة الوقت، ونُنحِّي هؤلاء جانبًا، ولا نُشغِل بهم أهل العلم من حراس العقيدة، وفقهاء الشريعة.

رابعًا: تخويف الله للملحدين والمكذبين والمشركين والمفترين عليه

١– قال الحق تعالى: ﴿يُريدونَ لِيُطفِئوا نورَ اللَّهِ بِأَفواهِهِم وَاللَّهُ مُتِمُّ نورِهِ وَلَو كَرِهَ الكافِرونَ﴾ [الصف: ٨]

يريد هؤلاء المكذبون أن يطفئوا نور الله بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ومن التشويه للحق، والله مكمل نوره على رغم أنوفهم بإظهار دينه في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمته.

٢ – ﴿وَيَومَ القِيامَةِ تَرَى الَّذينَ كَذَبوا عَلَى اللَّهِ وُجوهُهُم مُسوَدَّةٌ أَلَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى لِلمُتَكَبِّرينَ﴾ [الزمر: ٦٠] ويوم القيامة تشاهد الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه وجوههم مسودة؛ علامة على شقائهم، أليس في جهنم مقرٌّ للمتكبرين على الإيمان بالله ورسله؟! بلى، إن فيها لمقرًّا لهم.

٣ – ﴿إِنَّ الَّذينَ يُلحِدونَ في آياتِنا لا يَخفَونَ عَلَينا أَفَمَن يُلقى فِي النّارِ خَيرٌ أَم مَن يَأتي آمِنًا يَومَ القِيامَةِ اعمَلوا ما شِئتُم إِنَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]

إن الذين يميلون في آيات الله عن الصواب بإنكارها والتكذيب بها وتحريفها لا يخفى حالهم علينا، فنحن نعلمهم، أفمن يُلْقَى في النار أفضل أم من يأتي يوم القيامة آمنًا من العذاب؟ اعملوا – أيها الناس – ما شئتم من خير وشرّ، فقد بيَّنا لكم الخير والشر، إن الله بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

٤ – ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَو كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمونَ﴾ [الأنعام: ٢١]

لا أحد أعظم ظلمًا ممن نسب لله شريكًا، فعبده معه، أو كَذَّبَ بآياته التي أنزلها على رسوله، إن الظالمين بنسبة الشريك إلى الله وتكذيب آياته لا يفوزون أبدًا إن لم يتوبوا.

٥ – ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولئِكَ يُعرَضونَ عَلى رَبِّهِم وَيَقولُ الأَشهادُ هؤُلاءِ الَّذينَ كَذَبوا عَلى رَبِّهِم أَلا لَعنَةُ اللَّهِ عَلَى الظّالِمينَ﴾ [هود: ١٨]

ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبًا بنسبة الشريك أو الولد إليه، أولئك الذين يختلقون الكذب على الله يُعْرَضون على ربهم يوم القيامة ليسألهم عن أعمالهم، ويقول الشهود عليهم من الملائكة والمرسلين: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله بما نسبوه إليه من الشريك ومن الولد، ألا طرد الله من رحمته الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله.

٦ – ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعدُ بِحَمدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِن خيفَتِهِ وَيُرسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصيبُ بِها مَن يَشاءُ وَهُم يُجادِلونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَديدُ المِحالِ﴾ [الرعد: ١٣]

ويسبح الرعدُ ربَّه تسبيحًا مقرونًا بحمده سبحانه، وتسبح الملائكةُ ربَّها خوفًا منه وإجلالاً وتعظيمًا له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه، والكفار يخاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، لمن عصاه.

٧ - ﴿وَلا تَلبِسُوا الحَقَّ بِالباطِلِ وَتَكتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٤٢]

ولا تخلطوا الحق - الذي أنزلته على رسلي - بما تفترون من أكاذيب، ولا تكتموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد صلّى الله عليه وسلّم، مع علمكم به ويقينكم منه.

٨ - ﴿وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنى فَادعوهُ بِها وَذَرُوا الَّذينَ يُلحِدونَ في أَسمائِهِ سَيُجزَونَ ما كانوا يَعمَلونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

ولله - سبحانه - الأسماء الحسنى التي تدل على جلاله وكماله، فتوسَّلوا بها إلى الله في طلب ما تريدون وأثنوا عليه بها، واتركوا الذين يميلون عن الحق في هذه الأسماء بجعلها لغير الله، أو نفيها عنه، أو تحريف معناها أو تشبيه غيره بها، سنجزي هؤلاء الذين يميلون بها عن الحقِّ: العذاب المؤلم بما كانوا يعملون.

٩ - ﴿قَد نَعلَمُ إِنَّهُ لَيَحزُنُكَ الَّذي يَقولونَ فَإِنَّهُم لا يُكَذِّبونَكَ وَلكِنَّ الظّالِمينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجحَدونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

نحن نعلم أنك - أيها الرسول - يحزنك تكذيبهم لك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم؛ لعلمهم بصدقك وأمانتك، ولكنهم قوم ظالمون ينكرون أمرك ظاهرًا وهم يوقنون به في أنفسهم.

١٠ - ﴿وَمِنهُم مَن يَستَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهوهُ وَفي آذانِهِم وَقرًا وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنوا بِها حَتّى إِذا جاءوكَ يُجادِلونَكَ يَقولُ الَّذينَ كَفَروا إِن هذا إِلّا أَساطيرُ الأَوَّلينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]

ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن، لكنهم لا ينتفعون بما يستمعون إليه؛ لأنا جعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا القرآن، بسبب عنادهم وإعراضهم، وجعلنا في آذانهم صَمَمًا

عن السماع النافع، ومهما يروا من الدلالات الواضحة والحجج الجلية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يخاصمونك في الحق بالباطل يقولون: ليس الذي جئت به إلا مأخوذًا عن كتب الأوائل.

١١ -﴿ انظُر كَيفَ يَفتَرونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَكَفى بِهِ إِثمًا مُبينًا ﴾[النساء: ٥٠]

انظر أيها الرسول كيف يختلقون على الله الكذب بثنائهم على أنفسهم! وكفى بذلك ذنبًا مبينًا عن ضلالهم.

١٢ -﴿ وَكَذلِكَ جَعَلنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يوحي بَعضُهُم إِلى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُرورًا وَلَو شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلوهُ فَذَرهُم وَما يَفتَرونَ ﴾[الأنعام: ١١٢]

وكما ابتليناك بمعاداة هؤلاء المشركين لك ابتلينا كل نبي من قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم أعداءً من مَرَدَة الإنس، وأعداءً من مَرَدَة الجن، يوسوس بعضهم لبعض فيزينون لهم الباطل ليخدعوهم، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء لهم ذلك ابتلاء، فاتركهم وما يفترون من الكفر والباطل، ولا تعبأ بهم.

١٣ -﴿ وَلِتَصغى إِلَيهِ أَفئِدَةُ الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرضَوهُ وَلِيَقتَرِفوا ما هُم مُقتَرِفونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]

ولِتَميل إلى ما يوسوس به بعضهم لبعض، قلوبُ الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليقبلوه لأنفسهم، ويرتضوه لها، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي.

١٤ - ﴿ هَل يَنظُرونَ إِلّا تَأويلَهُ يَومَ يَأتي تَأويلُهُ يَقولُ الَّذينَ نَسوهُ مِن قَبلُ قَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ فَهَل لَنا مِن شُفَعاءَ فَيَشفَعوا لَنا أَو نُرَدُّ فَنَعمَلَ غَيرَ الَّذي كُنّا نَعمَلُ قَد خَسِروا أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم ما كانوا يَفتَرونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]

ما ينتظر الكفار إلا وقوع ما أُخبروا بوقوعه من العذاب الأليم الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يوم يأتي ما أخبروا به من ذلك، وما أخبر به المؤمنون من الثواب، يقول الذين نسوا القرآن في الدنيا، ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، فليت لنا وسطاء يشفعون لنا عند الله ليعفينا من العذاب، أو ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا لنعمل عملاً صالحًا ننجو به بدل

ما كنا نعمل من السيئات، قد خسر هؤلاء الكافرون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وغاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم.

١٥ – ﴿وَما ظَنُّ الَّذينَ يَفتَرونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ يَومَ القِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذو فَضلٍ عَلَى النّاسِ وَلكِنَّ أَكثَرَهُم لا يَشكُرونَ﴾ [يونس: ٦٠]

وأي شيء يظنه مختلقو الكذب عليه واقعًا بهم يوم القيامة؟! أيظنون أن يغفر لهم؟! هيهات، إن الله لذو إفضال على الناس بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولكن أكثرهم جاحدون نعم الله عليهم فلا يشكرونها.

١٦ – ﴿وَلَيَحمِلُنَّ أَثقالَهُم وَأَثقالًا مَعَ أَثقالِهِم وَلَيُسأَلُنَّ يَومَ القِيامَةِ عَمّا كانوا يَفتَرونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]

ولما كان نفي حملهم لخطايا غيرهم قد يفهم منه أن الكفار الداعين إلى ضلالتهم لا يأثمون إثمًا زائدًا بسبب ذلك رفع ذلك الإيهام بقوله: وليحملنّ هؤلاء المشركون الداعون إلى باطلهم ذنوبهم التي اقترفوها، وليحملنّ ذنوب من اتبع دعوتهم دون أن ينقص من ذنوب التابعين لهم شيء، وليسألنّ يوم القيامة عما كانوا يختلقونه في الدنيا من الأباطيل.

١٧ – ﴿مِنَ الَّذينَ هادوا يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عَن مَواضِعِهِ وَيَقولونَ سَمِعنا وَعَصَينا وَاسمَع غَيرَ مُسمَعٍ وَراعِنا لَيًّا بِأَلسِنَتِهِم وَطَعنًا فِي الدّينِ وَلَو أَنَّهُم قالوا سَمِعنا وَأَطَعنا وَاسمَع وَانظُرنا لَكانَ خَيرًا لَهُم وَأَقوَمَ وَلكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفرِهِم فَلا يُؤمِنونَ إِلّا قَليلًا﴾ [النساء: ٤٦]

من اليهود قوم سوء يغيرون الكلام الذي أنزله الله، فيُؤوِّلونه على غير ما أنزل الله، ويقولون للرسول صلّى الله عليه وسلّم حين يأمرهم بأمر: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، ويقولون مستهزئين: اسمع ما نقول لا سَمِعْتَ؛ ويوهمون بقولهم: "راعنا" أنهم يريدون: راعنا سمعك، وإنما يريدون الرعونة؛ يلوون بها ألسنتهم، يريدون الدعاء عليه صلّى الله عليه وسلّم، ويقصدون القدح في الدين، ولو أنهم قالوا: سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، بدلاً من قولهم: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وقالوا: اسمع، بدل قولهم: اسمع لا سمعت، وقالوا: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، بدل قولهم: راعنا؛ لكان ذلك خيرًا لهم مما قالوه أولاً، وأعدل منه؛ لما فيه من حسن الأدب اللائق

بجناب النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولكن لعنهم الله، فطردهم من رحمته بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إيمانًا ينفعهم.

١٨ - ﴿فَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَو كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُم نَصيبُهُم مِنَ الكِتابِ حَتّى إِذا جاءَتهُم رُسُلُنا يَتَوَفَّونَهُم قالوا أَينَ ما كُنتُم تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ قالوا ضَلّوا عَنّا وَشَهِدوا عَلى أَنفُسِهِم أَنَّهُم كانوا كافِرينَ﴾ [الأعراف: ٣٧]

لا أحد أظلم من الذي يفتري على الله الكذب بنسبة الشريك إليه أو النقص أو القول عليه بما لم يقله، أو كذَّب بآياته الجلية الهادية إلى صراطه المستقيم، أولئك المتصفون بذلك ينالهم حظهم المكتوب لهم في اللوح المحفوظ من ملذات الدنيا، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم قالوا لهم توبيخًا لهم: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟! ادعوها لتنفعكم، قال المشركون للملائكة: لقد ذهبت عنا الآلهة التي كنا نعبد وغابت، فلا ندري أين هي، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، لكن إقرارهم في ذلك الحين حجة عليهم، ولن ينفعهم.

١٩ - ﴿ أَمَّن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَمَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُل هاتوا بُرهانَكُم إِن كُنتُم صادِقينَ﴾ [النمل: ٦٤]

أم من يبدأ الخلق في الأرحام مرحلة بعد مرحلة، ثم يحييه بعدما يميته، ومن يرزقكم من السماء بالمطر المنزل من جهته، ويرزقكم من الأرض بالنبات الذي ينبته فيها! أمعبود يفعل ذلك مع الله؟! قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججكم على ما أنتم عليه من الشرك، إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنكم على حق.

٢٠ - ﴿قُل سيروا فِي الأَرضِ فَانظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلُ كانَ أَكثَرُهُم مُشرِكينَ﴾ [الروم: ٤٢]

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشراكهم بالله.

٢١ - ﴿أَوَلَم يَتَفَكَّروا في أَنفُسِهِم ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما إِلّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثيرًا مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِم لَكافِرونَ﴾ [الروم: ٨]

أَوَلم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها. ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلاً محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم.

٢٢ - ﴿ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذينَ أَساءُوا السّوأى أَن كَذَّبوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانوا بِها يَستَهزِئونَ﴾ [الروم: ١٠]

ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

٢٣ - ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَو كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمّا جاءَهُ أَلَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى لِلكافِرينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]

لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبًا بأن نسب إليه شريكًا، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك أن في جهنم مسكنًا للكافرين ولأمثالهم.

٢٤ - ﴿وَالَّذينَ كَفَروا بِآياتِ اللَّهِ وَلِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسوا مِن رَحمَتي وَأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَليمٌ﴾ [العنكبوت:٢٣]

والذين كفروا بآيات الله سبحانه وبلقائه يوم القيامة، أولئك قنطوا من رحمتي، فلن يدخلوا الجنة أبدًا لكفرهم، وأولئك لهم عذاب موجع ينتظرهم في الآخرة.

٢٥ - ﴿أَلَم تَرَوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ وَأَسبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً وَمِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]

ألم تروا وتشاهدوا – أيها الناس – أن الله يَسَّرَ لكم الانتفاع بما في السماوات؛ من شمس وقمر وكواكب، ويَسَّرَ لكم أيضًا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان؛ كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، ومع وجود هذه النعم فمن الناس من يجادل في توحيد الله بغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستنير، ولا كتاب واضح منزل من الله.

٢٦ – ﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيطانٍ مَريدٍ﴾ [الحج: ٣]

ولما ذكر الله ما يصاحب قيام الساعة من أهوال ردّ على الذين ينكرون القيامة والبعث، فقال: ومن الناس من يخاصم في قدرة الله على بعث الأموات دون علم يستند إليه، ويتّبع في اعتقاده وقوله كل متمرّد على ربه من الشياطين، ومن أئمة الضلال.

٢٧ – ﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾ [الحج: ٨]

ولما ذكر الله سبحانه حال الضلال بسبب التقليد في الآية الثالثة ذكر حال ضلال رؤوس الكفر في هذه الآية فقال: ومن الكفار من يجادل في توحيد الله، بغير علم منهم يصلون به إلى الحق، ولا اتباع هادٍ يدلهم عليه، ولا كتاب مضيءٍ منزل من عند الله يهديهم إليه.

﴿ثانِيَ عِطفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنيا خِزيٌ وَنُذيقُهُ يَومَ القِيامَةِ عَذابَ الحَريقِ﴾ [الحج: ٩]

لاويًا عنقه تكبُّرًا ليصرف الناس عن الإيمان والدخول في دين الله، لمن هذا وَصْفُه ذُلٌّ في الدنيا بما يلحقه من عقاب، ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة.

٢٨ – ﴿إِنَّ الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ بِغَيرِ سُلطانٍ أَتاهُم إِن في صُدورِهِم إِلّا كِبرٌ ما هُم بِبالِغيهِ فَاستَعِذ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ [غافر: ٥٦]

إن الذين يخاصمون في آيات الله سعيًا لإبطالها بغير حجة ولا برهان، لا يحملهم على ذلك إلا إرادة الاستعلاء والتكبر على الحق، ولن يصلوا إلى ما يريدونه من الاستعلاء عليه، فاعتصم – أيها الرسول – بالله، إنه هو السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

٢٩ – ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ أَنّى يُصرَفونَ﴾ [غافر: ٦٩]

ألم تر – أيها الرسول – الذين يخاصمون في آيات الله مكذبين بها مع وضوحها؛ لتعجب من حالهم وهم يعرضون عن الحق مع وضوحه.

٣٠– ﴿الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ بِغَيرِ سُلطانٍ أَتاهُم كَبُرَ مَقتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذينَ آمَنوا كَذلِكَ يَطبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]

الذين يخاصمون في آيات الله ليبطلوها بغير حجة ولا برهان أتاهم، كَبُر جدالُهم مَقْتًا عند الله وعند الذين آمنوا به وبرسله. كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا لإبطالها يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق مُتَجَبِّر، فلا يهتدي إلى صواب، ولا يرشد إلى خير.

خامسا: بين الإسلام والعقل

يرى البعض أن الاحتكام إلى العقل، والتفكير العلمي، والتعاون البشري؛ كل ذلك يمثل الحلَ لكل مشكلات المسلمين بعيدًا عن الدين، وتحكيمه، وعن القيم واعتبارها، وعن العرف وسلطته، وبمناقشة مجردة، وموضوعية، نتساءل: ما مصدر هذه الدعوى؟! هل هي دعوى علمانية، أم دعوى إلحادية، أم غير ذلك؟!

الدعوى العلمانية لا تعترف بدخول الدين في الدنيا، والدعوى الإلحادية لا تعترف بالدين أصلًا، ولهؤلاء، وأولئك نتساءَل: من قال إن العقل، والتعاون مختلفان عن الإسلام؟

القرآن الكريم حافل بالدعوة إلى العقل، والتعاون، والسنة النبوية حافلة بالدعوة إلى العقل، والتعاون كذلك. قال تعالى في كتابه العزيز:

(أفلا يعقلون) (لآيات لقوم يعقلون) (وما يعقلها إلا العالمون) (لآيات للعالمين)

(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (أليس منكم رجل رشيد) اي عاقل.

(وتعاونوا على البر والتقوى)

ومن السُنَّة:

(اعقلها وتوكل) وهو من العقل والتفكير السليم.

(المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ): أي زكي، عاقل، عنده فراسة.

(أَحَبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس) (كان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)، فإذا كان الإسلام يشمل العقل، والتعاون، وإذا كان العقل، والتعاون هما الحل؛ إذن الإسلام هو الحل بالفهم والتطبيق الصحيحين، وهذا تركيب منطقي، ولكي يفهمه الآخر عليه بدراسة المنطق، والمقدمات والنتائج، ولو درس المنطق فقد درس علمًا عقليًا.

ألا يكفي أنَّ أول كلمة في الإسلام هي اقرأ؟

لماذا القراءة؟

لاستنارة العقل.

فأين المشكلة إذن؟

المشكلة ليست في الإسلام، ولكن في فهمه، وتطبيقه بشكل صحيح. فالسِّكِّين تصلح للطبخ، وتقطيع الفاكهة، وتساعدك في أمور حياتية نافعة، فإن استخدمها إنسان في القتل؛ فهل المشكلة في ذات السكين؟! وأنها لم تعد حلًا صالحًا لكثير من أمور الحياة؟! أم أن المشكلة في القاتل الذي أساء فهم وظيفة السكين وطبقها بشكل مناقض، وفاسد؟ السكين لا تُتهم بدلا من القاتل، والسكين لا تسجن، ولا يقتص منها، بل القاتل هو الذي يتهم، ويسجن، ويقتل؛ فمن أساء الفهم، والتطبيق؛ يتحمل سوء فهمه، وعقوبة تطبيقه الفاسد. وإن كان سوء الفهم شيء قبيح من أبناء الدين؛ فإن عدم الفهم المطلق سيكون أشد قبحًا ممن لا ينتسب لدين، ومصيبته أعظم، وجهله جهل مركب لا بسيط، لكونه لا ديني، ولكونه لا يفهم مطلقًا، فيا رثائي لحاله، على سوء خياله.

والعلاقة بين الإسلام والعقل علاقة الكل بالجزء، والعام بالخاص، فالعقل آلة من آلات الدين الإسلامي، لكن يبقى سؤالٌ يُوجه لكل ملحد: أنتم ترفضون الاحتكام للدين في الحياة، وتقبلون الاحتكام للعقل، أليس كذلك؟!!

فهل العقل البشري واحد مطلق؟ أم عقول متعددة؟!!

وهل العقول المتعددة عقول متفقة؟ أم عقول مختلفة، ومتفاوتة؟!!

وهل على تفاوتها تسير في اتجاهٍ واحد؟ أم تسير أحيانًا، أو غالبًا في اتجاهات متناقضة؟

أجيبونا عن هذه الأسئلة ان كان لديكم جوابًا.

ثم إن دعواكم العقلانية في ميدان الإلحاد حجة عليكم في إثبات الوجود الالهي، من حيث أنكم تنكرون وجود الله بحجة عدم الرؤية، فهل رأيتم العقل؟

فيكون جوابكم: نؤمن بالعقل لوجود أثره وهو الفكر؛ فيكون جوابنا: نؤمن بالله لوجود أثره وهو الخَلق.

فتقبلون بجوابكم وتردُّون جوابنا؛ فدل ذلك على وجود هوى في النفس.

فسقطت حجتُكم وأنتم لا تشعرون.

- **لماذا لا نرى الله تعالى؟**

سؤال ربما سأله كل منا لنفسه وربما عجز عن الاجابة وربما فضل الصمت وربما أدرك الحكمة، ويحق للإنسان أن يبحث عن سبب الغيب والحكمة منه؛ فهذا مما يباح ويتاح ومناسب لفهمه وفكره ويتسع له ادراكه وعقله، لا أن يسأل عن سبب الغيب معترضا عليه ومؤخرا للإيمان حتى يظهر له، كقول بني اسرائيل لموسى عليه السلام (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) البقرة 55.

إذن يحق للمؤمن أن يسأل لماذا لا نرى الله باحثا عن السبب والحكمة، ولا يحق له أن يطلب رؤية الله شرطًا وحكمًا؛ فالله تعالى أعز وأجل من أن يشترط عليه الخلق؛ كيف وهو الخالق؟

وسؤال لماذا لا نرى الله وهو موجود او واجد الوجود؛ سأله رجل لعالم من علماء السلف تعددت الروايات باسمه فقيل الشافعي وقيل الغزالي وقيل آخرون؛ فأجابه العالم اجابة عملية فريدة من نوعها إذ قذفه بحجر في رأسه؛ فقال له: لقد آلمتني. فقال: وهل رأيت الألم؟! قال لا. قال فلماذا لا نرى الألم وهو موجود؟!!

على تصريف يسير مني في القصة مع اختصارها.

وهذا يذكرني بسؤال أحدهم لي: أيهما تراه أفضل الايمان ثم العقل أم العقل ثم الايمان؟ وفكرت مليا واجتهدت فوجدت ان المسألة نسبية من إنسان لآخر فهناك من يرفض الايمان بقلبه حتى يستجيب العقل لهذا الايمان اولا، ولكن هذا ينطوي على مخاطرة كبيرة فما هي؟ نحتاج الى تركيز شديد في السطور القادمة لأنها مسألة تتعلق بمصير العقول والقلوب في هذه الشأن وفي غيره.

العقل يمنطق الاشياء ويضعها في سياق المعقول، وكذلك يضعها في سياق اللامعقول، ويضعها في سياق البراهين المنظمة والمرتبة من مقدمات ونتائج، ولكن قد يكون البناء المنطقي سليما في تكوينه لكنه خاطئ في جوهره كيف ذلك؟!

أن تجعل المقدمات حقائق مفترضة وتأتي بنتيجة حقيقية بينما إحدى المقدمات أو المقدمتين معا تخالفان الحقيقة والصواب والسلامة المعرفية، وخذ مثالا توضيحيا على ذلك:

كل ما لا نراه لا نؤمن به م١

لا نرى الهواء م٢

....

لا نؤمن بوجود الهواء نتيجة

فهذا بناء منطقي سليم التكوين لكنه خطأ في الجوهر والمضمون المعرفي من حيث أن المقدمة الأولى خطأ معرفي؛ لأننا في الواقع نؤمن بأشياء لا نراها ومنها الهواء الذي نتنفسه والعقل الذي نفكر به والضمير الذي

نشعر بوخزه وإيلامه لنفوسنا عند الذنب أو التقصير، والبكتيريا والجراثيم والفيروسات التي لا نراها ونسلم بها. اذن المقدمة الاولى خالفت المعتقدات العملية لدى عامة الناس وليس خاصتهم؛ فكيف نأتي بها ونجعلها مقدمة منطقية ونصور للناس أنها حقيقة لنولد منها نتيجة منطقية ونصور للناس أنها الحق الطبيعي الصحيح والسليم؟!!

هنا تكمن المشكلة؛ أن العقلانيين يقدمون لك بناءات منطقية ظاهرها السلامة لكن باطنها فيه العطب والزور والتدليس والسفسطة والتلاعب بالعقول البسيطة التي تتلقى ذلك بارتياح عقلي؛ لأن النتيجة جاءت بولادة طبيعية غير قيصرية للمقدمات ولم تتدخل فيها المشارط الجراحية؛ هكذا يبدو للعامة والبسطاء، والسم كل السم من ذاك العسل.

ويدخل في هذا التلاعب المعرفي والمنطقي بالعقول والقلوب ما يسمى بالسؤال الحتمي الذي يستلزم جوابا حتميا بعينه بحيث يضيق عليك الخناق في الاختيارات فلا تجد امامك الا جوابا واحدا هو قد رتبه مسبقا وبنى عليه دواع معرفية جديدة، فيها مزيد من السفسطة والتدليس. انه سؤال يقيدك ويحيزك وهنا يكون المذنب مَن كوَّن سؤالا مستلزما لإجابة سقيمة معرفيا؛ لأن السؤال ساق الإجابة مسبقا.

ومثال ذلك: هذا السؤال: أتشهد على شيء لا تراه؟

فإن قلت لا قال لك: فكيف تشهد بوجود الله؟

وإن قلت نعم قال: شهادتك باطلة.

وهذا هو التلاعب الاستفهامي بالأسئلة ولا ينتبه له الكثير، ويجيده العقلانيون المتبعون للأهواء الذين ضلوا ويريدون إضلال الناس عن قصد وعمد. والحق أن السؤال هو الخطأ ولا ينبغي على من سئل مثل هذه الأسئلة المقيدة والمحيزة والمستفزة أن يجيب أصلا؛ بل الصواب أن يرفض الجواب ويقول بملء فمه: السؤال خطأ، وطالما أنه خطأ فسوف تتولد عنه إجابة خاطئة في الحالتين: حالة الجواب بالنفي أو حالة الجواب بالإثبات.

وهكذا يظهر لنا صور من التلاعب المنطقي والاستفهامي الاول يقوم على سلامة التكوين، وخطأ المضمون، والثاني يقوم على سلامة التكوين وخطأ الطرح من الأساس.

القارئ العزيز! أردنا أن نقول أن تقديم العقل على الايمان قد ينطوي على مخاطرة البناء المنطقي المفرز لنتائج معرفية خاطئة أو على أطروحات استفهامية تستلزم إجابات خاطئة، وفي الحالتين يحدث التلبيس والتعمية والوقوع في شرك الجهل والإنكار والكفر أو التكذيب أو حتى الإيمان أو التصديق بما هو غير حقيقي، فالضحية لكل ذلك هي الحقيقة والحق والخير والجمال والاطمئنان والاستقرار.

ويبقى السؤال: لماذا لا نرى الله تعالى؟

ما السر ما السبب الحكمة الغاية؟

ولله المثل الأعلى

أذكر أنني قرأت عن التعذيب بقوة الضوء في بعض السجون وذلك بتسليط أضواء قوية مفاجئة لا تتحملها حاسة الإبصار البشرية وهذا ضوء من صنع الانسان لا يتحمله الانسان، كذلك قوة الضوء في البرق لا يتحملها الانسان بقدراته البصرية المحدودة، وكذلك قوة الضوء من الشمس البعيدة عنا ملايين السنين الضوئية، والشمس والبرق مخلوقان من مخلوقات الله تعالى فكيف بالنور على النور؟! بنور السموات والأرض بالنور الأول الذي يضيء للعالمين يوم القيامة (وأشرقت الأرض بنور ربها) كيف للإنسان أن يطالع نور الله تعالى والتاريخ يشهد بأن موسى عليه السلام صعق لما تجلى ربه للجبل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وكذلك صعقة بني إسرائيل (فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون)

وعليه فرؤية الله تعالى فوق إدراك الحواس البشرية (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) لكن هذا التعليل قد يجر البعض إلى تساؤل: أليس الله تعالى قادر أن يهبنا من القدرة البصرية ما يجعلنا نراه؟

وهذا السؤال ليس من الأسئلة المستفزة بقدر ما هو من الأسئلة الساذجة، لماذا؟

الإنسان يحيا في طمع مع كل شيء في الحياة؛ مع نفسه؛ مع حياته مع من حوله؛ بل مع الله تعالى، يستزيده دوما ولو ملك واديا او واديين من ذهب لطمع في الثالث والعاشر، وإذا كان الطمع صفة بدرجة السمة في الطبع البشري، وربما يكون الانسان هو الكائن الوحيد الذي يشبع ويقول هل من مزيد، بخلاف الكائنات الأخرى حتى المفترس؛ منها لا تهب للافتراس الا اذا أحست بالجوع، وإذا كان ذلك كذلك فربما طمع الانسان اذا تجلى العظيم له أن يُحدِّث الله ويكلمه ويتقرب منه مكانا وزمانا؛ بل ان هذا كان مطلوب قوم دون أن يروا الله عز وجل (وقالوا لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) وكان هذا قول أقوام آخرين من قبل (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم).

ولو افترضنا جدلا تجلي الله للعباد فإن ذلك يقودنا لقضية جديدة وهي قضية التكليف وحمل الأمانة والإرادة والايمان والكفر والطاعة والمعصية والجزاء والحساب، كيف تتوافق قضية الإرادة الحرة في الايمان والكفر والطاعة والمعصية مع رؤية الخالق العظيم؟! من يجرؤ على الكفر أو المعصية أو المخالفة؟! سيصبح الناس كلهم مؤمنين مخبتين مطيعين خائفين راهبين راغبين، وسيتبع ذلك فساد قضية الحساب من ثواب وعقاب، ويسقط التكليف وحمل امانة الاختيار، ومن ثم فلا جنة ولا نار.

فالله تعالى اختبر ايماننا وخوفنا وخشيتنا له بالغيب لا بالتجلي (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب)

وهكذا بمقدور الانسان ان يعلم الحكمة من كون الله تعالى غيب عن إدراك الخليقة لأن هذا هو الاختبار الحقيقي والمقياس الأساس للإيمان؛ فمن يسلم بوجود الله مع غيبه عن إدراكه فهذا مؤمن صحيح، ومن يجعل الغيب سببا للإنكار فهذا كافر صريح؛ لأن الحجة قامت عليه بإيمانه بالغيب الأرضي الأدنى فكيف يكفر بالغيب الفوقي الأعلى؟! والمؤمن له الثواب والجنة والنعيم، والكافر له العقاب والنار والجحيم، وليس بمقدوره أن يقيم الحجة على الله يوم القيامة بقضية الغيب؛ بل يقيم الله تعالى الحجة عليه بإرسال الرسل والآيات الكونية والآثار الربانية في الخلق (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء

رزقكم وما توعدون) (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ﴿قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ﴾ [يونس: ٣١]

﴿ أَمَّن هذَا الَّذي هُوَ جُندٌ لَكُم يَنصُرُكُم مِن دونِ الرَّحمنِ إِنِ الكافِرونَ إِلّا في غُرورٍ﴾ [الملك: ٢٠]

فالمؤمن يؤمن ويتعقل ايمانه، ويستدل بالخلق على الخالق، وبالصَنعة على الصانع، والكافر يعطل الايمان حتى يتعقل وقد تتوقف لديه آلات التعقل، ويوكل القضية الايمانية للإدراكات الحسية المتعلقة بالمادة وبالمحسوس؛ فلا يؤمن الا بما يراه ويسمعه ويشمه ويتذوقه ويلمسه، ويظل على ذلك ربما حتى يُختم على قلبه فلا يجد عن الكفر، والعناد فكاكا، أو يحول الله بينه وبين قلبه فيصبح من الخاسرين.

نسأل الله حسن الخاتمة.

- **نظرية التخيير في الاختيار بين الجبر والاختيار**

في مرحلة مبكرة من عمري وتماما في سن الثامنة عشر في مقتبل الشباب كنت أرى معظم ما قيل في الحرية والارادة والاختيار والتكليف والتسيير والتيسير مخالفا للصواب وللحق الا ما كان من عقيدة اهل السنة في ذلك، وسطرت بقلمي في هذه السن نقدا لآراء المعتزلة والجهمية والاشعرية وابن رشد، ورفعته لأحد مشايخي الذي سُرَّ به كثيرا وعرضه على مشايخ اخرين وصارحني برغبته في مناقشته معي مع جمع من الحضور من طلبة العلم، ولا اخفيكم سرا انني شعرت بسعادة غامرة ان شيئا كتبته ذاك الوقت يستحق ذلك التقدير، وخلصت من نقدي لهذه المذاهب الى ان الانسان ليس مجبرا مطلقا كما يقول الجهمية، وليس حرا مطلقا كما يقول المعتزلة، وليس الامر كذلك كما هو عند الاشاعرة وابن رشد، ولكن الانسان مجبر على الاختيار، وتعجب البعض من جمعي بين الجبر والاختيار في نظرية واحدة وبهذه التسمية الصريحة التي لم يصطلح عليها علماء المسلمين ومفكريهم.

والحق انني قصدت من هذه النظرية أن الانسان –كل انسان – مجبر على عملية الاختيار ذاتها بين البدائل المتاحة له من قبل خالقه وهي الايمان او الكفر والطاعة او المعصية والفضيلة او الرذيلة والخير أو الشر والحق او الباطل...الخ لكنه في نفس الوقت مخير في اعتماد بديل بذاته فإن اختار الايمان فبحريته لا بقهر ولا جبر، وان اختار الكفر فبحريته لا بقهر ولا جبر، ولله المثل الاعلى؛ كمثل طالب الثانوية العامة بقسمها العلمي والادبي فهو مجبر على الاختيار بين العلمي والادبي لكنه مخير في اعتماد او اختيار بديل بعينه؛ فإن اختار العلمي فبحريته دون قهر او جبر، وان اختار الادبي فبحريته دون جبر او قهر.

ولم يكن في جعبتي العلمية ولا الفكرية أكثر من هذا القول وشرعت في شرحه والتمثيل له حتى اخذ مني ما يقرب من عشرين صفحة متوسطة.

لكنني في مرحلة متأخرة من عمري اكتشفت أن هذه النظرية ليست إلا مرحلة ثانية من مراحل قصة التكليف وأن هناك مرحلة اولى اسميها بالأصل بينما المرحلة الثانية أسميها بالتابع او اللاحق، فما هي المرحلة الاولى أو الاصل في قصة التكليف، والتي إن جمعناها مع التابع كان الأجدر بنا أن ننتقل من تسمية النظرية بالجبر على الاختيار الى التخيير في الاختيار بين الجبر والاختيار.

الحقيقة انني لم اكتشف المرحلة الاولى من قصة التكليف من خيال محض او جهد فكري ذاتي او تأمل فردي او حدس عبقري، لا مطلقا؛ بل اكتشفت ذلك وأنا أقرأ القران الكريم وأتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرضِ وَالجِبالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَها وَأَشفَقنَ مِنها وَحَمَلَهَا الإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلومًا جَهولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]

والامانة هنا هي التكليف، تكليف المكلف بأن يكون حرا لا مجبرا، يعطيه الله تعالى الحرية في عبادته وامتثال امره والانتهاء عن نهيه دون جبر ولا قهر، وأن يترتب على ذلك مالا يترتب للمخلوقات المقهورة المسيره، كالملائكة وغيرهم؛ فتكون له الجنة والنعيم والخلود والمتاع الأخروي إن هو آمن وأطاع وامتثل، وتكون له النار والعذاب والجحيم ان هو كفر وعصى وطغى؛ فقبل الانسان ان يكون حرا في عبوديته لله تعالى مقابل هذا العرض الجنة او النار، وكأنه اعتقد ان عبادة الله عن حرية سيكون شيئا سهلا ميسورا وسيحوز الجنان

والنعيم فيتميز بذلك عن المخلوقات المقهورة التي ستبقى على حالها دون تغيير وليس لها مثل هذا الحظ من النعيم، أو يكون مصيرها الفناء، وقبل الانسان بالعرض وقبل التكليف وما يترتب عليه؛ فكان ذلك منه ظلما لنفسه وغبنا لها في حقيقة الامر، وسمى الله تعالى فعله هذا ظلما وجهلا (إنه كان ظلوما جهولا) لأن اجتماع البشرية على عبادة الله تعالى بالقهر، مع ما في هذا القهر من نعيم رضا الله تعالى والتلذذ بعبادته ومناجاته وطاعته، بلا شقاء ولا عداوة ولا حروب ولا فساد ولا افساد ولا قتل ولا خراب ولا امراض ولا ابتلاء وبلاء ووباء كان خيرا للبشرية من أن تأتي يوم القيامة منقسمة فريق في الجنة وفريق في السعير، ومن في السعير منقسم بين الخلود والخروج؛ فأي ظلم وأي جهل أشد من أن يكون الانسان مخلدا في النار بفعل نفسه واختيارها وحريتها وترفها ومتاعها؟!!

ثم انني عجبت لاختلاف النظريات والفلسفات في مسألة الارادة والحرية والقدر عند الفرق الاسلامية وتساءلت: أنى لهم أن يختلفوا وقد حسم القرآن مسألة التكليف وهي أصل مسألة الارادة والفعل والحرية؛ فالله تعالى لم يجبرنا على حمل التكليف بل خيرنا كما خير المخلوقات الاخرى بين حمل التكليف من عدمه، ولم يعدو الامر ان يكون عرضا فقط من الله تعالى على الانسان ولعل الانسان لو أبى ان يحمل التكليف كما ابت السموات والارض والجبال لأنقذ نفسه، وربما نقل الحق سبحانه وتعالى قضية العرض هذه الى مخلوق اخر من مخلوقاته، لكن الانسان قبل العرض ووافق عليه دون قهر ولا جبر، وهذه هي المرحلة الاصل في التكليف ان الله خيرنا في حمل التكليف، والتكليف هو حرية الاختيار في العبادة، وبعد ان وافق الانسان على ذلك صار مجبرا ان يختار بحريته بين بدائل التكليف وتفاصيله: الايمان او الكفر ...الخ، وعليه فالله خيرنا في الاختيار بين الجبر والاختيار، بين أن نعبده عن قهر كالملائكة او نعبده عن حرية في الارادة، وهذه هي النظرية التي أردت أن أستكملها اليوم، وليست بدعًا من القول إلا في العنوان ولا مشاحة في العناوين ولا في الاصطلاحات، والعبرة بالمعاني لا بالألفاظ والمباني، وهي مستمدة ومؤصلة كليًا من القرآن الكريم، وتقول إن الانسان كان مخيرا في حمل التكليف من عدمه فلما اختار ان يتحمله صار مجبرا على أداءه وهو الذي الزم نفسه بذلك مع الله وكان عهد الله مسؤولا.

لكن السؤال الهام هنا هل ارادتنا الحرة في اداء التكليف تنفي ارادة الله تعالى؟

هذا السؤال مبناه على قول الحق تعالى: ﴿وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾ [التكوير: ٢٩] اي ان ما من مشيئة للعبد الا وسبقتها مشيئة للرب فهل هذا يتعارض مع ما سبق توضيحه وتفصيله؟

الجواب على هذا السؤال بسؤال مقابل: من الذي عرض الامانة على الانسان وقبلها؟ ومن الذي عرض عليه تفاصيل التكليف بإرادته الحرة وقبلها؟ انه الله تعالى، شاء ان يعرض الامانة ثم شاء ان يعرض تفاصيلها ثم شاء أن يجعل في الارض كفرا وايمانا وخيرا وشرا، ثم شاء ان يختبر بذلك العباد، ويبلوهم ايهم احسن عملا، وهم منعمون بحرية الارادة، فالعبد له مشيئة في الفعل، والله تعالى له مشيئة في ترك مشيئة العبد تكون فعلا يحاسبه عليه، او يمنع مشيئة العبد فلا تصل لدرجة الفعل لطفا به او بغيره، فلو شاء العبد ان يقتل او يسرق او ينتحر؛ فليست هذه الارادة رغما عن ارادة الله سبحانه لأن الله تعالى قادر أن يمنعه لحكمة ورحمة، وقادر ان يتركه يفعل ويحاسبه ويعاقبه، ولله المثل الاعلى اذا علم المدير ان موظفا سيتقاضى رشوة في وقت ما وزمان ما؛ فقد يراقبه ويتركه يفعل ليحاسبه متهما ويعاقبه بالسجن او بإنهاء خدماته ولم يظلمه ولم يجبره ان يفعل، وكان قادرا ان يمنعه بالتدخل قبل الفعل لطفا به، لكن علم المدير المسبق لم يكن له دخل في فعل العبد، ولن يقبل عاقل ان يقول الموظف: إن المدير هو من اجبرني على اخذ الرشوة لأنه كان يعلم وسكت.

فالله تعالى لا تعجزه ارادة الانسان ﴿لا تَحسَبَنَّ الَّذينَ كَفَروا مُعجِزينَ فِي الأَرضِ وَمَأواهُمُ النّارُ وَلَبِئسَ المَصيرُ﴾ [النور: ٥٧] فكل مشيئة للعبد لا تقع رغما عن مشيئة الرب؛ فإما أن يشاء الله لمشيئة العبد ان تكون فعلا واقعا ملموسا يحاسب عليه بالثواب او العقاب وإما أن يشاء الله أن يمنع مشيئة العبد أن تكون فعلا وواقعا وتبقى في دائرة الهم او العزم فيحاسبه او يعفو عنه ويلطف به، وقد يثبط الله تعالى همة العبد عن المعصية لطفا به وقد يثبط همته عن العبادة اعراضا عنه، لكن العبد اذا تركه الله يفعل فإنما يفعل الفعل ذاته بحريته وارادته، وتتجلى ارادة الله في الترك او المنع.

ونخلص من هذا السرد الذي لا يخلو من تكرار بغرض التأكيد الى القول:

عندما تنفذ ارادتك ايها العبد بحريتك فقد أراد الله تعالى لإرادتك ان تكون.

وعندما تفشل ارادتك فقد اراد الله لإرادتك انت أيها العبد ان تفشل.

وما من ارادة تُعجز ارادة الله؛ فمن ذكر الله واطاعه واتخذ اليه سبيلا بإرادة حرة فلأن الله تعالى شاء التوفيق لإرادة عبده في ذلك.

ومن كفر بالله وعصاه بإرادته الحرة فلأن الله تعالى شاء ألا يمنع عبده من ذلك وحرمه نعمة التوفيق

والتوفيق فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء.

والاحتجاج بأن الله تعالى خلق في الانسان الطبيعة التي تستميله الى الشر كالنفس الامارة بالسوء والهوى وحب الدنيا وخلق له عدوا كالشيطان يزين له المعاصي والشهوات هو احتجاج منقوض بأن الله تعالى خلق ايضا قوى الخير الآمرة بالمعروف والطاعة والزهد مثل الرسالات والرسل والهدايات والعقل والروح والملائكة والترغيب في الجنة والترهيب من النار والوعد بالمغفرة وجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ بل وتفضل على التائبين بتبديل سيئاتهم حسنات، ووعد بعدم العذاب على الاستغفار، ووعد بزيادة النعم والهداية على الشكر ووعد برضاه على من خشيه بالغيب ووعد بالنعيم والمقام الكريم لمن اتقاه، وخلق المصلحين والدعاة الى الحق والناشرين للهدايات، لكن الانسان يريد ان يُرجح سلطان الطبيعة الشريرة على الطبيعة الخيرة لأنها توافق امتاعا له بالباطل وإيناسًا له بالشهوات، وتسلية له بالمعاصي، وليس هذا الكذب على النفس بشافع له في الدنيا ولا في الاخرة لأن العقل حجة عليه والرسالات حجة عليه، فالعقل اما ان يرتقي فيسمو به فيكون افضل من الملائكة، واما ان يسقط فينزل به الى مرتبة الحيوانات، واما ان يفقد العقل والشهوة فيكون كالجمادات فيعبد الجمادات من اصنام واموال وديار ومراكب، واثر المعبود يظهر على عابده، ومن يعبد الله يظهر عليه اثر النور والإشراق والبهاء والجمال لأن الله تعالى نور على نور وجميل يحب الجمال.

ومن عبد الشهوات ظهر ذلك عليه بانطفاء الوجه وذهاب القوة وسقوط الهمة.

ومن عبد الجمادات ظهر عليه جمود الوجه وقسوة القلب وتحجر المشاعر.

وكذلك الاحتجاج بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) على ان الله تعالى خلقنا وخلق اعمالنا هو احتجاج منقوض لأن الإرادة هي الرابط الذي يربط بين الفاعل والفعل والعامل والعمل، فالله تعالى خلق العبد وخلق العمل من ايمان وكفر وطاعة ومعصية وخير وشر، وجعل بين العبد وبين العمل رابطة هي رابطة الارادة، وجعل هذه الارادة حرة، وهي حرة باختيار العبد لما اختار ان يحمل امانة التكليف؛ فكيف يحتج المحتجون بهذه الآية على ان الاعمال من خلق الله فتكون خارجة عن ارادة العباد؟!

وهذه الارادة التي هي مسافة بين العمل والعامل او الفعل والفاعل ليست قالبا واحدا عند كل البشر بل تخضع لقوى الطبيعة البشرية الاخرى من روح وعقل ونفس وضمير، وبعد استشارة هذه القوى او بعضها يتخذ الانسان قراره بالفعل من عدمه.

أما ما كان خارجا عن حرية العباد فهو القدر المقدر عليهم من الله تعالى، ولا يحاسبون عليه يوم القيامة لأنه خارج عن ارادتهم؛ فلا يحاسب المجنون ولا النائم، ولا الناسي ولا المقهور، لأنه لا ارادة حرة لديهم، ولا يحاسبون على الاقدار الكونية التي تقع بهم خارجة عن ارادتهم كالزلازل والفيضانات والأعاصير والسيول والبراكين...الخ

ونُجمل كلامنا حول قضية الارادة الحرة والجبر والاختيار؛ تلك القضية التي شغلت حيزا كبيرا من اهتمام العلماء والمفكرين والفلاسفة المسلمين، سواء عند اهل السنة او المعتزلة والجهمية والأشعرية والماتريدية وابن رشد وغيرهم بالقول:

الانسان مخير ابتداء في حمل التكليف.

الانسان قبل باختياره حمل التكليف.

الانسان صار مجبرا على اداء التكليف.

الانسان مجبر على الاختيار بين الايمان والكفر أو الطاعة والمعصية ولا يملك التوقف عن ذلك وليس له أن يقول: لست بمؤمن ولا كافر.

الانسان مخير في اختيار بديل بعينه فإن اختار الايمان فبحريته وان اختار الكفر فبحريته

الانسان محاسب على البدائل التي يختارها بحريته.

الانسان يثاب بالجنة إذا اختار بدائل الخير والحق والجمال.

الانسان يعاقب بالنار إذا اختار بدائل الشر والكفر والطغيان.

ارادة العبد لا تقع رغما عن ارادة الله ولا اعجازا لمشيئته سبحانه.

الله تعالى قد يشاء أن يترك مشيئة العبد تتحقق ويحاسبه عليها.

الله تعالى قد يشاء ان يمنع مشيئة العبد من التحقق لحكمة منه سبحانه

بين العبد والعمل مسافة اسمها الارادة الحرة هي ايضا مخلوقة من الله تعالى لكنها تحت تصرف العب ليُسأل عنها، وبها تقع افعال العباد.

ما كان خارجا عن الارادة الحرة للعباد فلا يحاسبون عليه، كالمجنون والنائم والمقهور ونحو ذلك، عدلا وفضلا من الله تعالى؛ فلا يحاسب مثلا النائم الذي يقع على آلة فيموت، ولا يقع طلاق المكره لأنه مقهور ومكره على ذلك، بل لا يقع طلاق المغلق الذي خرج به الغضب عن وعيه وقصده ونيته فلا طلاق في اغلاق. وفي الأمر تفصيل أكثر من هذا لا يتسع المقام لذكره.

والله تعالى اعلى واعلم.

- **العلم الإلهي والتكليف**

سألني أحدهم: لماذا يحاسبنا الله تعالى على افعالنا وقد كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلق الكون بخمسين ألف سنة؟

ج: الإنسان اختار في عالم الذر أن يكون حرًا في الاختيار بين عدة بدائل أتاحها الله أمامه ابتلاءً، وامتحانًا، والإنسان يختار أحد البدائل بحريته، والله تعالى كتب من الأزل علمه بالخيار، والبديل الذي

سيختاره عبده فلا يعنى ذلك أن الله قهر العبد على اختيار بديل بعينه، ومن ثَمَّ يتحمل الانسان المسؤولية عن اختياراته المحددة، ويحاسب عليها.

ولما كان كل شيء مكتوبًا في اللوح المحفوظ؛ فليس معناه القهر، والجبر، ولكن الله تعالى كتب علمه بالبدائل التي ستختارها لنفسك في حياتك، وتختارها بحريتك، لكنه لم يجبرك على اختيارها حيث أنه عرض عليك بدائل ضدها، وجعلك مخيرًا بين هذه البدائل، وتلك.

- **إلى بابا الفاتيكان: تساؤلات مسيحي حائر**

هذه خلاصة بعض الأسئلة والاستفهامات التي تصول وتجول بأذهان كثير من المسيحيين غير التقليديين ويحاولون الخروج من صندوق التبعية والتقليد؛ أقدمها لكم في هيئة تساؤلات حائرة على لسان أحدهم.

يقول: أنا رجل مسيحي يبحث عن الحقيقة المجردة من الخوف والتبعية والأهواء والأيديولوجيات؛ لأن الأمر لا يتعلق بأمر دنيوي تسعني المداهنة فيه بل يتعلق بالدنيا والاخرة معا، والمداهنة فيهما خسارة لهما، او لأهمهما شأنا، وقيمة وبقاء وخلودا، وأريد اجابات واضحة من بابا الفاتيكان أو آباء المسيحية وقساوستهم، وأساقفتهم في كل بلاد الكوكب، والاجابات على قدر ما تكون حقيقية وموضوعية وخالصة هي أنفع للجميع، وليس لي وحدي، فلا مهرب من الله بتزييف الحقائق، ولا عوض عن الله في النهايات والمصائر، ولا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عول من الله إلا عليه.

ولهذا أرجو كل رجالات الدين المسيحي مناشدا اياهم: أنقذوا أنفسكم بالدين الحق الصحيح أيًا كان هذا الدين؛ ان كان هو المسيحية فاثبتوا عليها، وإن كان اليهودية فارجعوا اليها، وان كان هو الاسلام فلا يفوتنكم قطاره، وكونوا حيث دار مداره، وهذه الأسئلة فضلا عن انها موجهة للمتخصصين في المسيحية، فهي موجهة لكل مسيحي عاقل، لديه ملكة التفكير، يأبى أن يظل مسيحيا بالوراثة؛ لأن العقل حجة عليه، والفكر أمانة لديه، ولا تقديس للخلق، وإنما التقديس للخالق، ولست أنفي عن البابوات والقساوسة والأساقفة علو المنزلة وارتفاع الشأن لكن لا عصمة لكلامهم، ولا قداسة لأفعالهم، ولا كمال لأقوالهم،

والكل ينبغي أن ينهل من المصدر الحق عن الحق، بعدما يتحرى الحق، ويعرف يقينا أنه الحق، فاسمحوا لي أن أسأل:

كيف يكون الرب واحدا والاديان متعددة؟ وكيف اعرف انني اتبع الدين الصحيح؟ وهل الاديان تورث من الاباء الى الابناء ام تؤخذ بالدليل والبرهان والتصديق؟ وهل يعقل ان يكون الخالق واحدا والاديان المتعددة هذه كلها صحيحة معا ومقبولة معا وفي الجنة معا؟ أم أنه يلزم كون أحدها صحيحا والأخرى على خطأ وباطل؟

وما هذا الدين الجديد بعد المسيحية وهو الاسلام؟ سمعت عنه فقط وعرفت انه متهم، لكن أدلة الاتهام واهية فهل قال المسيح او ذكر او نوه بالتصريح او التلميح أنه آخر الرسل الى الارض؟ او قال انه الله او ابن الله؟ ولن يبعث رسلا الى العالمين؟ فإن كان لم يصرح ولم يلمح بذاته البشرية او بذاته الإلهية على ذلك فما الذي يمنع من كون الاسلام حقا ورسوله أرسل صدقا، وأن محمد رسول خاتم أيدته المعجزات؟

وإذا كان الامر كذلك وكان الاسلام حقا، ومحمد حق فهل هو حجة علينا امام الله يوم القيامة ام لا؟ وهل الإسلام دين إلزام للعالمين ونحن منهم أم ليس ملزما؟ وهل يقول العقل والعدل والانصاف بأن يؤمن المسلمون بعيسى عليه السلام ولا نؤمن نحن بمحمد عليه السلام؟ لماذا امنوا هم وامتنعنا نحن؟ وما الذي يمنعنا وما الذي يضيرنا أن نؤمن بنبيهم كما امنوا هم بالمسيح؟

ثم...ثم...

إذا كان البابا وكثير من زعماءنا في الغرب صرحوا بأن الاسلام دين سماوي فكيف نكون على باطل اذا اتبعنا ديننا سماويا من عند الله؟! أليس حري بنا ان نكون من اتباع اخر الاديان التي وصلتنا من السماء؟ ألن يعاقبنا الله على أن رفضنا هذا الدين وقد ارتضاه لنا؟

ثم...

إذا كنا يوم القيامة

واكتشفت أنني أذنبت برفضي لهذا الدين

فمن يحمل عني ذنبي ووزري؟

هل يحمله البابا؟ أم يحمله أبي او أمي اللذان ورثت عنها رفضي للإسلام؟

أيها البابا! صرحت بأن الاسلام دين سماوي فإما أن تكون على حق في التصريح فتكون على باطل في اعتقادك في المسيح؟ وأما أن تكون على اعتقاد صحيح فتكون على باطل في التصريح؟

فأيّهما أحب إليك؟

ألم يأمرك الرب باتباع هذا الدين السماوي الذي ارسله رحمة للعالمين ام انت لست من العالمين؟ وهل انت الان في رضى الرب ام في غضبه وانت معرض عن دينه السماوي كما ذكرت؟

وماذا افعل انا الان؟

هل ادخل في هذا الدين ام لا؟

هل أطيعه في دينه السماوي ام أكفر به؟

ام أطيع البابا مصدر التعاليم المقدسة الذي يمنحنا صكوك الغفران، ومفاتيح الجنان؟!!!!

تعلمنا ان الرب يغضب إذا غضب البابا

فكيف يغضب البابا على دين يرضاه الرب؟!

لماذا تهربون من حقيقة أن بولس اليهودي هو الذي أدخل الفرقة على دين المسيح القائل بالتوحيد وبكونه رسول لا إله؟

لماذا نهرب من أن آريوس كان موحدًا ثابتا على دين عيسى عليه السلام لم يبدل ولم يحرف؟

لماذا تهربون أن الملك قسطنطين في مجمع نيقيه الروماني انحاز ضد اريوس وأقر التثليث لتبدأ قصة التحريف التي لا إسناد ولا سند لها؟

لماذا نهرب من هذه الحقائق؟

لماذا نهرب من الأناجيل التي ذكرت محمدا عليه السلام وبشرت به؟

ولأجل ماذا ننكر؟

ولأجل ماذا نداهن؟

ومن الذي يملك حق الغفران سوى الرب الذي اختص ذاته باسم الغفور والعفو؟

يارجالات ديننا المسيحي: كم ضاع من الوقت وكم ضاعت اجيال وكم ضاعت قرون ونحن نسير قطعانا بلا فكر، وجمادا بلا عقل، دون أن نسأل انفسنا: أي الفرق الثلاث أكمل ايمانا، واحسن جزاء، وأحمد عاقبة يوم القيامة:

الذين امنوا بموسى عليه السلام وكفروا بعيسى ومحمد عيهما السلام؟

أم الذين امنوا بموسى وعيسى عليهما السلام وكفروا بمحمد عليه السلام؟

أم الذين امنو بموسى وعيسى ومحمد وكل الأنبياء قبلهم عليهم جميعا الصلاة والسلام؟

من أحسن عاقبة؟

من أحسن مصيرا؟

من أحسن جزاء؟

من أحسن دارا؟

من أكرم لقاء مع الله؟

من آمن بأنبيائه كلهم؟

أم من امن ببعضهم وكفر ببعضهم؟

من امن برسالات السماء جميعا؟

أم من امن ببعضها ورد على الله بعضها وكفر بها؟!!

من أكرمنا على الله؟

من أرضانا لله؟

من منا كان أكمل؟

من منا كان أشمل؟

من منا كان أعم وأفضل؟

من؟ ....من؟.....

هل من مجيب؟!!

- **أولويات الإيمان بين الشك واليقين**

الإسراء والمعراج نموذجًا

سؤال يلح على خاطري لماذا يشك الانسان وعنده دليل قطعي على اليقين؟! قد يكون لوجود هوى في النفس او ضيق في الفهم او تعطيل للعقل المنوط به تعقل الحقائق واليقينيات، وهذه الاسباب هي نفسها التي تمنع انسانا ما من تقبل دلائل اليقين فضلا عن ضيقه ذرعا بها وإن خلت جعبته من مسوغات للشك والريب، وثمة فارق بين انتصار الانسان للباطل عن طبع وجبلة وانتصاره عن عقيدة ومذهب يعز عليه ان يصدم ببطلانهما، فينتصر الاول لطبعه وللباطل فيه وينتصر الثاني لعقيدته وللباطل فيها.

وأعجب انه حتى هذه اللحظة التي أسطر فيها هذه الكلمات يوجد من يشكك في معجزة الاسراء والمعراج للرسول صلى الله عليه وسلم، وليس لهم من علم الا اتباع الظن؛ بينما قضية الفهم الديني عند اهل السنة تقوم في المقام الاول على النصوص القطعية لا على التأويلات التعسفية والمعارف الوهمية؛ ومن ثم فهم يقفون في فهمهم الديني على قوة السند المعرفي والمنطلق الإيماني الواضح واليقين الاستدلالي الراسخ تحت مظلة الاخلاص وطلب الرضا من الله تعالى، فضلا على انهم يتمتعون بالحوار العقلي الهادئ، والحجج العقلية القوية المفحمة في ميدان المناظرات العقلية مع الثقة والاطمئنان، وهما سمتان في أهل العقيدة الراسخة الصحيحة.

لكن أهل السنة في مناظراتهم حول القضايا الجدالية مع الاخر المسلم يواجهون سؤالا صعبا: كيف يمكن تحييد الشعور الذاتي المتميز الذي ينشط داخل الاخر فيحوله الى تربة خصبة تتلقى عن حب بذور الباطل والغوغائية الفكرية والسذاجة العقائدية وتنبذ عن بغض بذور الحق والخير والجمال واليقين؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي ان نقف قليلا لنناقش الخط الاتجاهي في المناقشات الجدالية وهذا الخط قد يتجه من الأصول الى الفروع وقد يتجه من الفروع الى الاصول، اي انه اما ان يكون خطا تنازليا او خطا تصاعديا وغالبا ما يكون الخط الاتجاهي في اليقينيات خطا تنازليا يستدل بيقينية الاصل على يقينية الفرع؛ بينما الخط الاتجاهي لدى الشك المذهبي يتجه من الشك في الفرع مستدلا به على الشك في الاصل، وهنا في قضية الاسراء والمعراج نجد من يحاول جاهدا أن ينقلنا من الشك في الفرع الى وضع الاصل في زاوية ضيقة ومحيرة من زوايا الاتهام، وذلك بأسلوب قياسي او استنباطي مبني على مغالطات عقلية او منطقية مع تملك دفة الحوار وتضييق الخناق بالأسئلة المستفزة والمنتجة لإجابات حتمية بعينها.

ومما يوفر علينا في ذلك ان ننتقل بالآخر الى الخط التنازلي المبني على أمهات القضايا اليقينية العقيدية التي لا تقبل جدالا البتة، وهي في رأيي ثلاث قضايا كبرى:

قضية الوجود الالهي

قضية الصدق الالهي المطلق

قضية كون القران كلام الله حقا وصدقا

هذه القضايا الثلاث لا تقبل جدالا بين عامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتبقى لنا قضايا أخرى عليها اختلاف يسير هنا او هناك وهي قابلة للحسم في رأيي لولا وجود الهوى في النفوس، والزيغ في القلوب، ومن هذه القضايا:

قضية حفظ النص القرآني من التحريف

قضية حجية النص القرآني المحكم الصريح

قضية حجية السنة النبوية بسندها الصحيح

أما القضية الأولى فنقول أن الله تعالى تعهد بحفظ النص القرآني كما أنزل إلى يوم القيامة بحروفه السبع في القراءة (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر ٩. وعليه فالقول بالتحريف أو الزيادة او النقصان يتعارض مع الإيمان بتعهد الحق سبحانه وتعالى بحفظ القران، وما علينا وقد تبين لنا قدرة الله المطلقة، وأن الله لا يخلف وعدا قطعه على ذاته إلا أن نؤمن بنزاهة النص القرآني عن التحريف أو الزيادة أو النقصان.

وأما القضية الثانية المتعلقة بحجية النص القرآني المحكم والصريح وهل يقبل التأويل أو التصريف بوجوه استدلالية مختلفة، وإسقاط ذلك على قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله إنه هو السميع البصير) الاسراء ١. فنقول: إن الله تعالى يستشهد على عظم الخبر وإعجازه بقوله: سبحان. وهو استشهاد يبطل كون الإسراء نوما لأن حوادث النوم تفتقد للعظمة المفيدة للإعجاز إذ أنه من الممكن أن تحلق أنت شخصيا في سماء القارات الست وأنت نائم أو ترى نفسك كطائر له جناحان يطير بهما فوق البحار والمحيطات وغير ذلك مما لا يراه أي منا اعجازا، فقط نصفه بأنه حلم أو أضغاث أحلام، وعلى أعلى تقدير أنه رؤية منامية؛ فما الإعجاز في ذهاب النائم الى المسجد الاقصى وعودته إلى مكة ليضيفه الله تعالى الى فعله وينزه ذاته المقدسة بالسبحانية إن كان هذا من الممكن أن يرد في منامات كل الناس وليسوا بأنبياء؟!!

إذن لابد أن هذا الاسراء كان حقيقة ليكون إعجازا، وكان اعجازا ليضاف الى الله تعالى، ويضاف الى الله تتقدمه كلمة سبحان لأنها لا تقال إلا لله تعالى عامة، وعلى وجه الاعجاز في هذه الآية خاصة.

أما كلمة العبد فهي مجموع الروح والجسد ولا تحتمل واحدا منهما بعينه لأنه لا تأويل بدون قرينة، والصريح مقدم على التلميح عند الاحتدام.

وأما قوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) النجم ١٧. فمعلوم أن البصر من آلات الجسد لا الروح فالنائم لا يرى ببصره ولكن بعقله الباطن كما يقول علماء النفس بينما عيناه مغلقتان في نومه.

ثم إذا استحال صعود النبي صلى الله عليه وسلم بقدرة الله إلى السماء فيستحيل نزول جبريل بقدرة الله الى الارض فيبطل الوحي وتبطل النبوة.

ثم الصلاة التي هي الركن الثاني في الإسلام وعماد الدين وقد تلقى النبي صلى الله عليه وسلم تشريعها في المعراج؛ أتشرع للعباد بمنامات ليلية هذا مما لا يقول به عاقل.

اننا ومن خلال هذا الاطار النظري الاستدلالي يمكننا أن نفهم الكثير من تداعيات العقل البشري في استجابته لهذا الحدث التاريخي الإيماني التشريعي المعجز؛ بل في امكاننا ان ننظر الى هذه المنهجية في النقاش على انها خطوة على طريق محاكمة العقل الانساني في تعاملاته مع النص الديني افراطا وتفريطا؛ ففور بوح النبي صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج تم تشكيل محاكمة سريعة كان المتهم فيها الصدق النبوي والوحي وقضية الدين بأكملها، والمدعي هو أبو جهل ومن تبعه من كفار مكة، واول قاض أصدر فيها حكما كان هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه الذي أصدر حكما بالبراءة النبوية في خبر الوحي السماوي؛ فيكون من باب أولى تحقق هذه البراءة في خبر بيت المقدس، وتبقى الحاجة في نفس القاضي للاطمئنان القلبي فيطلب من حبيبه صلى الله عليه وسلم أن يصف له بيت المقدس لينتصر للحكم الصادر بينما يصر الكفار بعد تقوية الخبر بالمصادر فينتصروا للشك المذهبي الذي جعلهم صما وبكما وعميانا.

والصديق رضي الله تعالى عنه أعطانا منهجية واضحة في ترتيب أولويات الايمان بقوله انا اصدقه في خبر السماء افلا اصدقه في خبر بيت المقدس. وهذه المنهجية هي ما أسلفنا لها اعلاه بتبني خطا اتجاهيا تنازليا في بناء اليقين بالاستدلال بالأعلى على الادنى وبالأصل على الفرع.

بينما كفار مكة أعطونا منهجيتهم الواضحة في بناء الشك المذهبي في تبني خطا اتجاهيا تصاعديا من الشك في الفرع الى الرغبة في محو الاصل وإبطاله.

واليوم أحفاد هذا الفكر لا يكتفون بالشك المذهبي فحسب بل توسعوا في ذلك وتبنوا مذهبا أكثر إضلالا وتضليلا برغبتهم في نقل الشك للآخرين عن قصد وعمد ومنهج وتخطيط، وهذا ما أريد من الجميع أن يصطلحوا عليه بالتشكيك المذهبي القائم على تشكيك الناس في خالقهم ونبيهم ودينهم ورأس مال حياتهم في دنياهم وآخرتهم كفانا الله إياهم بما شاء وكيف شاء.

تبقى قضية الاحتجاج بالسنة الصحيحة وقد تعرض لها أهل الأهواء وزلفوا إليها من باب المتن لما عجزوا عن هدم الاسانيد وخيلوا للناس التعارض بين المتون وبعضها او بينها وبين القران، دون أن يحدثوا الناس وربما انفسهم عن الناسخ والمنسوخ وفقه الجمع بين النصوص وقواعده العبقرية وغير ذلك، وإذا لم يجدوا سبيلا الى الاسناد او المتن تدخلوا بالنقد العقلي المريض الخالي من بديهيات السلامة المعرفية ليقولوا بعدم الامكان او عدم الورود في القران او نكتفي بالقران عن السنة أو..أو...الخ.

والاسراء والمعراج وردا في السنة الصحيحة سندا ومتنا وفقها في صحيح البخاري ومسلم، وهما اصح الكتب في السلامة المعرفية والقوة المصدرية بعد كتاب الله تعالى؛ فهل بقي لناعق من صوت وهل لا يزال لنافخ من كير؟!!!

- **لا نجاة إلا بالله**

القرب من الله مصدر كل خير.

والبعد عن الله مصدر كل شر.

﴿ وَمَا النَّصرُ إِلّا مِن عِندِ اللَّهِ ﴾

﴿ وَما تَوفيقي إِلّا بِاللَّهِ ﴾

﴿ وَما صَبرُكَ إِلّا بِاللَّهِ﴾

﴿ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللَّهِ﴾

ولا تعتقد أن الشر الصادر عن الإنسان مصدره التفكير الحاصل في العقل، وأنه كان بإمكانه أن يغيره، لأنك تسأل: ما مصدر التفكير؟

قد يكون الشيطان.

فما الذي جعل الشيطان يتسلط ويكون مصدرًا؟!

الجواب: البعد عن الله والخروج من ولايته ومعيته وإهمال ذكره وإيثار الشهوات، والانجراف وراء النفس والهوى والدنيا؛ فيورث كل ذلك الغفلة عن الله؛ فيأتي الشيطان ليستحوذ بسهولة على العقل مخزن التفكير وعلى القلب مخزن العزم والإرادة؛ فيملأ هذين المخزنين بالتفكير في الشر، والمعاصي، والذنوب، والرذيلة على قدر ما استطاع وعلى قدر ضعف الإنسان في ذلك.

فمن أنكر تفكيره وعدم القدرة على التحكم فيه وأنه كالمغلوب على أمره؛ نقول له علاجك في العودة إلى الله تعالى، والإقبال عليه من جديد يخلصك من أسر الجن والشياطين، وهذه العودة ليست بالسهلة لكنها حتمية لك، وليس خلافها إلا عبادة الشيطان والهلاك، لكنك متى قررت العودة إلى الله والإقبال عليه، عاد الله لك بالرحمة وأقبل عليك بالمؤازرة، والعون، والخلاص، والنجاة وكلما كان إقبالك أسرع كان إقبال الله عليك أسرع وأسرع كما في الحديث القدسي، ولا يفرح الله بشيء كفرحه بتوبة عبده، وإذا أقبلت عليه سبحانه شبرًا أقبل عليك ذراعًا وإذا أقبلت ذراعا أقبل باعا، وإذا أتيته تمشي أتاك هرولة، ولا زلت تتقرب إليه بالطاعات والقربات والنوافل من قيام وصدقة وصلة حتى تصل إلى الحب الإلهي الذي يحوطك بالمعية والولاية والنصرة والتمكين.

وكل ذلك جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرينَ﴾

﴿ وَاعلَموا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المتَّقينَ﴾

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ المؤمِنينَ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقَوا وَالَّذينَ هُم مُحسِنونَ﴾

وإهمال الفروض والنوافل والطاعات يعيدك إلى الغفلة، والغفلة تعيدك إلى الشيطان، والشيطان يحوطك بولاية الشر لترث معه جهنم، فماذا أنت فاعل؟!!

قال تعالى:

﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المتَّقونَ فيها أَنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ آسِنٍ وَأَنهارٌ مِن لَبَنٍ لَم يَتَغَيَّر طَعمُهُ وَأَنهارٌ مِن خَمرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ وَأَنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُم فيها مِن كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغفِرَةٌ مِن رَبِّهِم كَمَن هُوَ خالِدٌ فِي النّارِ وَسُقوا ماءً حَميمًا فَقَطَّعَ أَمعاءَهُم﴾ [محمد: ١٥]

صفة الجنة التي وعد الله المتقين له – بامتثال أوامره واجتناب نواهيه – أن يدخلهم فيها: فيها أنهار من ماء غير متغير ريحًا ولا طعمًا لطول مُكْث، وفيها أنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وفيها أنهار من خمر لذيذة للشاربين، وأنهار من عسل قد صُفِّي من الشوائب، ولهم فيها من كل أنواع الثمرات ما يشاؤون، ولهم فوق ذلك كله محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزاءه مع من هو ماكث في النار لا يخرج منها أبدًا، وسُقوا ماءً شديد الحرارة، فقطّع أمعاء بطونهم من شدّة حرّه؟!

ولا يكفيك الفهم والعلم والاعتقاد بل لابد من العمل والجهد والتعب والنصب ومعه الحب والخوف والرجاء ومعهم الإخلاص والصدق والوفاء والشكر.

والخلاصة: معك عدو متربص بك مدى الحياة يغفلك ليستعبدك ويملأ عقلك بالفكر الهامشي ثم الفكر الشرير ثم الفكر المهلك، وله في ذلك خطوات ولا ينصرك عليه إلا الله وحده، بأن تطيعه وتتودد إليه وتتحبب له وتقف على بابه راجيا داعيا مستجيرا تائبا منيبا، فاختر لنفسك أي الحزبين تحب معيته وولايته: حزب الله أم حزب الشيطان؟!

- **الدين يتجدد**

يزعم البعض أننا نعيش عالةً على القرن الثاني الهجري في العلم والفقه والقواعد والأصول، وهذا زيغ عن الحق؛ لأن الفقهاء جددوا في الفقه فكان علم النوازل والمستجدات، وجددوا في أصول الفقه، ويوجد علم النقد والتجريح، وعلم نقد المتون. ومن أعظم العلوم المستجدة في القرنين الماضيين علم مقاصد الشريعة، وتميز علماء الإسلام عن غيرهم بعلمي الإسناد أو الرواية، وعلم أصول الفقه.

والشيخ الشعراوي جدد في التفسير، والقرضاوي جدد في الفقه، ومن قبلهم محمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم، ومعظم رسائل الماجستير والدكتوراه تتناول القضايا الفقهية المعاصرة بالتأصيل والتكييف، والاجتهاد الجماعي من خلال المجامع الفقهية لم يتوفر في أمة أخرى، وكما في الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للأمة دينها، فكيف نعيش عالة على الشافعي رحمه الله، والقرن الثاني الهجري، والدين يتجدد كل مائة عام؟!

- **قاعدة المعاملة بالمثل**

ينادي بعض المنتسبين للفكر أو للفقه بقاعدة مخترعة تقول بالمعاملة بالمثل مع أهل الكتاب وغيرهم، فلا يمانعون في بناء المعابد والكنائس في بلاد المسلمين، رغم وجود نصوص قاطعة في النهي عن بناء الكنائس الجديدة في بلاد المسلمين فلا اجتهاد مع قطعية النص، وتوجد نصوص قطعية في طرد اليهود والنصارى من جزيرة العرب، لئلا يكون فيها دينان أو ملتان.



وهذا ممن يريدون تنحية النص القطعي، وتحكيم العقل، والعرف، والذوق، وقاعدة المعاملة بالمثل؛ وهي قاعدة غير فقهية، فالباطل الواضح البين لا يعامل بالمثل، لأن فيه تكثير للباطل وتقوية وإعانة له، وهم في الحقيقة لا يتعاملون بالمثل فنحن نؤمن بأنبيائهم، فهل عاملونا بالمثل وآمنوا بأنبيائنا؟!

- **الشيطان والسيطرة على التفكير**

يسعى الشيطان بالتدريج ليكون له سلطان عليك بالكلية؛ بحيث يجعلك مسخرًا له، لا تخرج عن أمره وفعله، حتى لو أمرك أن تقتل، أو تكفر، أو تنتحر، فعلت ذلك بدون مقاومة:

أولًا: يسعى لتحطيم الحصون من حولك.

ثانيًا: يسعى لامتلاك تفكيرك والسيطرة عليه.

ثالثًا: يسعى لتوجيهك قولا وفعلا ويملي عليك الأوامر والنواهي بلا مشقة.

رابعًا: يسعى لتخريب دنياك في كل شيء؛ في العمل، ومع الناس، ومع النفس.

خامسًا: يسعى لتخريب آخرتك تماما، ليجعلك من أهل النار، ومخلدًا فيها.

ومتى أطاع العبد شيطانه في الخطوة الأولى؛ أطاعه فيما تبقى، ومتى عصاه نجا، ونجت نفسه. فالله المستعان.



والشيطان له أحجام متدرجة فمتى كان مسلوب القوة، والإرادة؛ بسبب إخلاص العبد مع ربه؛ كان عديم التأثير. ومتى كان صغيرًا متواضعًا؛ وسوس بالأماني، والشهوات، والمفضول عن الأفضل. ومتى كان معادلًا للإنسان في القوة؛ كانت الحرب كر، وفر بين الإنسان، والشيطان. ومتى كان عملاقا ضخمًا، وسوس بالخوف، والرعب، والخلافات، واليأس، والقتل، والانتحار، والكفر. وكما يسيطر الشيطان على الإنسان بالتدريج، كذلك يكون خلاص الإنسان من صراع الشيطان، وسطوته بالتدريج، فيبدأ بترك الذنوب، والتزود من الطاعات، والإكثار من الأذكار، والقرآن، والصدقات، وصلة الأرحام.

لكن عملية الخلاص من سطوة الشيطان بعد تمكنه ليست بالسهلة، تحتاج إلى صبر، ومثابرة، وتحمل، وتيقظ، ومقاومة؛ لأن الهدم أسرع من البناء. والشيطان في هدمه لحصون الإنسان قد يكون أسرع من إعادة بناء الإنسان لحصونه، والإنسان بتخليه عن حراسة حصونه، وصيانتها من الأعداء هو من تسبب في جُرأتهم عليه، وهو من صنع هذه المواجهة المرة والصعبة؛ فهم لا يرحمون ضعيفًا متخاذلًا. ولا خيار أمام العبد في صراعه مع الشيطان سوى أن يعيد بناء حصونه من جديد بتوفيق الله، وعونه؛ فإن رأى ذلك متعبًا وشاقًا، فما بعده تعب الأبد، ومشاق الدارين.

- **مسافات الشيطان من الناس**

يقف الشيطان على مسافات مختلفة من الناس:

1 - فيقف من أحدهم بعيدًا لا يتجرأ على الاقتراب منه خوفًا ورعبًا، لانشغاله بالله: طاعة، وعبادةً، وذكرًا، وكلما كان أحدهم قريبًا من الله تعالى؛ كلما كان الشيطان أبعد، وأبعد عنه.
2- ويقف من أحدهم قريبًا من حصنه، لكن لا يستطيع أن يقتحم الحصن عليه، لكنه يؤذيه بصراخه، وعويله، ويناديه بأصوات عالية ليسمع، والأول يضحك منه ويسخر، ولا يلتفت له ولا ينشغل به.

3- ويقف من أحدهم طالًا برأسه من فوق أسوار الحصن، يناديه بصوت هادئ، ويزين له، ويلح عليه ليدخله الحصن، والأول لا يسمح له بذلك البتة، لكنه منشغل به بعض الوقت، والمعركة بينهما معركة تكسير إرادات وعزائم.

4- ويقف من أحدهم داخل الحصن، لكنه يبقى في رحابه الواسع يتحرك، ويتجول، ويزين لصاحبه السوء، ويشغله، لكنه لا يستطيع أن يدخل قلب البيت، ولا يجد طعامًا ولا شرابًا معه.

5- ويقف من أحدهم في قلب البيت، فيأكل معه، ويشاربه، ويجالسه، ويشاركه فراشه، وأهله.
6- ويقف من أحدهم حيث لا مسافة تذكر؛ لأنه يتلبس به؛ فيصير الإنسان في ذاته مثوى الشيطان، وبيته، يأكل ، ويشرب من الطعام والشراب الذي ينزل جوفه، ويتعاظم، ويتصاغر داخل الإنسان على قدر سهوه، ويقظته، وجهاده، فيتعاظم حتى يصل إلى مركز العقل، والأعصاب؛ فيتحكم فيها جميعًا، ويصبح الإنسان مسخرًا، مطيعًا، منفذًا لأوامر الشيطان ونواهيه، فإن أمره أن يقتل قتل، أو يكفر كفر، أو ينتحر انتحر، وقد يتصاغر حتى يكون داخل الجسد كالذر، وان كان تصاغره شيئًا طيبًا إلا أنه يتعاظم من أقل معصية، ويتوحش من أقل ذنب، ويبقى الأمر كذلك، مع فترات راحة متقطعة للإنسان كلما رجع الى الله وتاب، ونوبات تعب، وهيجان بسبب تعاظم الشيطان كلما سها، وغفل عن ذكر الله، ولا راحة البتة إلا بإخراجه من الجسد، ثم إخراجه من البيت، ثم اخراجه خارج الحصن، ثم ابعاده عن الحصن حتى لا يقدر على إيصال صوته، وصراخه، وعويله لمن بداخله، ثم الجهاد، والمجاهدة للإبقاء على هذا الوضع مستمرًا، فلا يتجرأ الشيطان على مجرد الاقتراب، ولو خطوات.



والمعركة تبدأ ولا تنتهي إلا بموت العبد، فهي معركة العمر، وحرب الدنيا لخراب الآخرة، كر وفر، لا ييأس الشيطان، يخمد ثم يصحو، ويخنس ثم يوسوس، ينتظر ثغرة جديدة ليتجرأ، أو يتقدم، أو يعبر، أو يتلبس. وبعض الناس قد استصعب هذه الحرب، واستطالها، فآثر الاستسلام، وبعضهم لا يمل من المجاهدة رغم المشقة، والعنت، وبعضهم يخوضها طبعًا، وجبلةً، وعادةً وألفةً، فلم يعد يشعر معها بتعب يذكر، لأنه ألف العبادة، والذكر، والطاعات، والقربات، والقرآن، والأخلاق الحميدة، فهنيئا لمثل هؤلاء.

ها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يقف منه بعيدًا، وإذا رآه في طريق، فر هاربًا، وسلك طريقا مختلفًا، فحقق عمر رضي الله عنه جميع مراحل إبعاد الشيطان، فهنيئا لمن يسير على درب الجهاد في الحرب على الشيطان. وقانا الله وإياكم من همزات الشياطين، وأن يحضرون.

- **الهجوم خير وسيلة للدفاع**

إذا أوجعك عدوك فمن المهم أن تعرف ما يوجعه، وترد به عليه، وإلا تضاعف وجعك، وألمك مرتين، مرة لأنه أوجعك، ومرة لعجزك عن الرد، وهو في ذاته ألم، ووجع يُضاف إلى إيلام عدوك لك، ومع إظهار عجزك؛ يزداد إقدامًا، وصلفًا، وغرورًا، وتوحشًا، وتكبرًا وإيذاءً، وتزداد إحجاما وخوفا وانكماشا وتقوقعا وتصاغرا. والمخرج بأن تأخذ خطوة شجاعة بالرد، والكر بعد الفر، واختيار أضعف مواضعه لتوجيه اللكمات، والشيطان لا يكف عن محاولات الإيذاء، ولو بتوافه الأمور عن طريق الوسوسة المستمرة، ويزداد

إقدامًا إذا وجدك مستسلمًا، مطيعًا تدور في دائرته المغلقة من الوساوس المتدرجة، والمتشعبة، والمتكاثرة مع مرور الوقت حتى يقتل فيك القدرة على الصمود، أو المقاومة؛ لترفع الراية البيضاء؛ لينقض عليك بأهوال الوساوس؛ وجبال الأفكار المحطمة؛ والمهلكة. وأكثر ما يؤذي الشيطان، ويؤلمه، ويوجعه أن تستعيذ بالله من شره، وكيده؛ لأنه يعلم أنك تلوذ منه بالجبار، القهار، ذو القوة المتين، ثم القرآن، وخاصة سورة البقرة، وسورة الناس، والرقية الشرعية، والماء البارد المقري شربًا، واغتسالًا، ووضوءً، والأذكار الوقتية صباحًا، ومسًاء، وقبل النوم، وبعده ودخولًا وخروجًا، حتى تتبدل التصورات الذهنية في عقلك إلى تصورات إيجابية، مبهجة، وهو ما يسمى في علم الطب النفسي بعلاج الأمراض (الذُهانية)، أي الذهنية.



الشيطان يخوض معك حربًا فكرية ذهنية عقلية لا هَوادة فيها يستهدف عقلك بالوَساوس، وقلبك بالإشغال والإضعاف، ويسوق لك تصورات ذهنية مخربة قاتلة. ولا خروج لك منها إلا بأن تنقل نفسك خارج دائرة التصورات الذهنية الشيطانية، ولا حيلة لك في هذا، ولا قدرة لك عليه إلا بذكر الله تعالى، فهو حصنك الحصين، الذي كلما زدت منه، كلما ارتفعت حصونك، وكنت بمأمن من تسلق الأعداء عليك حرمة نفسك، وفكرك وقلبك ودينك ووقتك.

ولا ينفعك في حربك على الشيطان أو دفاعك عن نفسك، مجرد انتباهك لمداخله، وطريقة عمله، فهي معرفة نظرية، ما لم تشفعها بالتطبيق، ولن يجدي الاكتفاء بالدفاع، مالم تتخذ خطوات نحو الهجوم؛ لأن الدفاع على طول الوقت سيجعل الشيطان متمسكًا بأمل الفوز وإحراز الأهداف، لكن هجومك سيضطره إلى التراجع، والخوف، وربما الصراخ، والهرب طلبًا للنجاة، لأن دوام ذكرك لله يجعله يتصاغر، وربما يحترق.

إذن الذكاء والفطنة في أن نجعل الشيطان يقف بعيدًا جدًا، حتى من حصوننا الخارجية، ويفكر ألف مرة لو حاول أن يقترب، أو يتجرأ، ومن الغباء الشديد أن نتركه يدخل ثم نخوض معه المعارك الطاحنة. قال تعالى: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) سورة فاطر.

- **إبليس مخير لا مسير**

إبليس كان يملك حرية الاختيار بإذن الله تعالى؛ لأن إبليس من الجنّ، والجنُّ مكلفون بعبادة الله تعالى عن اختيار وليس عن قهر وإجبار، ويمكن وضع ذلك في مسألة منطقية تقول:

الجن خلقوا للعبادة بالاختيار

إبليس من الجن

إبليس مخير

- **من علاجات التعب النفسي**



من علاجات التعب النفسي وتعب البال:

1- تلاوة القرآن الكريم وحفظه باستمرار والاستماع له بحضور القلب، سيما قراءة سورة البقرة، أو الاستماع لها يوميا. ومحاولة استرجاع القرآن من العقل، والترنم والتغني به لإدخال السعادة على النفس، ورفع نسبة هرمون (السيترين) المسئول عن السعادة في الدماغ.

2- صلاة النوافل، وقيام الليل، سيما بالبقرة، ويس كل ليلة، ونوافل الصيام، فقيام الليل فيه عافية للجسد، وذهاب للمرض، كما ورد في السُنَّة.

3- الصدقات باستمرار كل يوم ولو بالقليل، ومن باب أولى إخراج الزكاة المفروضة، وإدخال السعادة على الآخرين سيما الوالدين، والأقارب، والأرحام، وكفالة اليتامى؛ فيجزيك الله بإدخال السعادة على نفسك، ويخفف عنك، أو يريحك من تسلط الأفكار السلبية على ذهنك.

٤- أذكار الصباح، والمساء، والتعوذ من الشيطان مع كل فكرة سلبية، وعدم الاسترسال معها، وتكرار سورة الناس باستمرار مع هجوم الأفكار السلبية عليك.

٥- الرقية الشرعية، سيما قراءتها على ماء، والاغتسال به، والشرب منه.

٦- الاغتسال بماء بارد ما أمكن، وغسيل الرأس بماء بارد كلما هجمت عليك الوساوس، أو الأفكار السلبية، وكلما كان الماء باردًا جدًا كان أفضل.

٧- الفطور على تمر، أو عسل نحل طبيعي كل صباح، أو حليب دافئ، ووضع زيت الزيتون في الطعام والإدهان به، سيما لو قرأت عليه الرقية الشرعية قبل الاستخدام.

٨- عدم الاستسلام للوحدة والفراغ والعزلة والانطواء بحجة الابتعاد عن الناس وشرهم، فمخالطة الناس، والصبر عليهم، أفضل من مخالطة الشياطين، ومدافعة مكرهم، وكيدهم، وتكالبهم، واجتماعهم. ومن لم يجد أناسًا يُخالط الكتب، والقصص المفيد مثل السيرة النبوية، قصص الأنبياء، الصحابة، والتابعين، وكتب التفسير، الفقه، الحكمة، والشعر الطيب. ولو أن يشغل نفسه بتلخيص كتاب تلو كتاب ليستغرق فكره في النافع المفيد.

٩- كتابة خواطر، وتأملات عقلية خاصة بك، وغير تقليدية لإشغال العقل بشيء مفيد بعيدًا عن مسببات الأرق والاكتئاب، ومخالفة الوساوس عكسًا، ولو بدت أنها علمية، أو منطقية، أو حقيقية.
١٠ . التوبة من الذنوب، لجعل الروح أكثر حرية، وراحة داخل الجسد، فالذنوب كالدخان داخل غرفة، يمنع من التنفس، ويسبب الاختناق، والتوبة مثل أن تفتح نوافذ الغرفة وتجدد هواءها، وحركة الروح في الجسد الخالي من دنس المعاصي، مثل أن تتنفس براحة، وحرية، وحيوية، داخل الغرفة بعد تجديد هواءها، وطرد الدخان منها.

كل ما سبق يأتي فضلا عن الدعاء، أن تدعو الله أن يرزقك التوبة النصوح، وثبات القلب على الإيمان، وأن يحبب إليك الإيمان، ويزينه في قلبك، وأن يرزقك الرضوان وراحة البال، وأن يصلح حالك. وتدعو لغيرك بظهر الغيب، وللمسلمين، فهو أرجى أن يعود عليك في نفسك، وخاصة أمرك. والله أعلم.

- **فلسفة الابتلاء بالوباء: كورونا نموذجًا**

أذكر عندما كنت طفلًا صغيرًا كنت أمني النفس بسرعة التقدم في العمر كي أقف امام ميكروفون المسجد، وأرفع الأذان، ولم أطق صبرًا والعمر يمضي ببطء، والأمنية لا تطرق بابي بالفعل ولا بالقول، فشرعت في التطفل على إدارة المسجد وعمري ١٣ عامًا حتى سمح لي أحدهم برفع الآذان، ومتى؟ يوم الجمعة، فهمس به أحدهم (هيرتعش) لكنه وضعني في هذا الموقف الصعب، وما أن بدأت في رفع الاذان حتى اهتزت أقدامي، وتسارعت دقات قلبي، وخِفتُ أن لا أستكمل، لكن الله تعالى وفقني، وأصبحت بعدها مؤذنًا صغيرًا يسمح له بين الفينة، والأخرى، وكم كانت سعادتي، وشوقي، وحبي لذلك، وشعوري بالتميز عن سائر أطفال القرية، ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ٢٠٢٠م وقد بلغت الخامسة والاربعين من عمري وقد منَّ الله علي بالإمامة؛ لم أنادي على الناس: صلوا في رحالكم او بيوتكم، ولم أر المساجد تغلق تمامًا، أو يمنع فيها الصلاة، وأصبح هذا الحدث مؤلما كثيرًا لأني جديد عهد به؛ تألمت له كما تألم له الناس، وأبكاني كما أبكى آخرين، ولأن الله تعالى استعملني في خدمة بيوته منذ مقتبل الشباب كان الحرمان من هذه النعمة غصة عظيمة، ووجع كبير.

وتساءلت ما الحكمة من هذا الوباء؟! ومعظم الأوبئة لا تأتي إلا على تباعد الأعمار، والأجيال فليست بالشهرية، ولا السنوية؛ بل ربما قرنية: أي كل قرن من الزمان، وقلت في نفسي: هل هي سنة كونية أن يحلم الله تعالى على البشرية في مجموعها ولا يعمها بالبلاء إلا بعد أن يأسف الله تعالى منهم، ويعذرهم من نفسه بالحلم، والصبر، والإمهال، وخلال ذلك يرسل إليهم نُذُر العقاب فيما هو اقل من الوباء لعلهم يرجعون من قريب؟

ما السر في تباعد المسافة الزمنية بين الوباء والوباء؟ بينما نرى الابتلاء متقارب في البلدان بالأعاصير، والسيول، والبراكين، والزلازل، والفيضانات وغيرها؟

وقلت إن الوباء إذا عمَّ البشرية فغالبًا – في رأيي – أن السبب أن عموم هذه البشرية في غالبها قد آسفت ربها، وخالقها، ومعبودها؛ حتى بلغت من غضبه عليها إلى انتقامه منها انتقامًا يشمل أرجاءها، وأنحاءها بلا تمييز إلا من شاء، وكيف شاء، قال تعالى: ﴿فَلَمّا آسَفونا انتَقَمنا مِنهُم فَأَغرَقناهُم أَجمَعينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقد سبق هذا الانتقام الإلهي حلمٌ عظيمٌ ولطفٌ واسعٌ وصبرٌ طويلٌ يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ثم عدت القهقري وقلت في نفسي: وما أدراني أن تكون هذه حرب بيولوجية مصطنعة من البشر أنفسهم؟! لماذا كل شيء نحاول أن نتبرأ من مسؤوليته، ونلقي به على القضاء، والقدر والابتلاء، والبلاء؟ وحتى لو كان خطأً مخبريًا علميًا فهو من خطأ البشر؟ أليس هذا واردًا؟!

ثم أجبت نفسي: وهل يكون هذا رغما عن ارادة الله تعالى؟ لا يكون في الكون إلا ما أراد الله تعالى له أن يكون؛ فإن كان منه فهو قدر كوني، وإن كان من البشر فلأن الله أراد لإرادة البشر أن تكون واقعًا وفعلًا، ولم يشأ أن يمنع ذلك، وكون الله لم يشأ أن يمنع ذلك فهو يجمع بين تحميل البشر المسؤولية عن الفعل بتسببهم فيه، وبين أن لله فيه حكمة وتقدير، ومن أوجه الحكمة الربانية أن يعاقب الله البشر بالبشر كما قال تعالى: ﴿قُل هُوَ القادِرُ عَلى أَن يَبعَثَ عَلَيكُم عَذابًا مِن فَوقِكُم أَو مِن تَحتِ أَرجُلِكُم أَو يَلبِسَكُم شِيَعًا وَيُذيقَ بَعضَكُم بَأسَ بَعضٍ انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُم يَفقَهونَ﴾، فمن ألوان العقوبات الربانية أن

يذيق الله بعضَنا بأسَ بعض بأن يعاقبنا بنا، نعم! يعاقب البشر بالبشر، وقال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعضَ الظّالِمينَ بَعضًا بِما كانوا يَكسِبونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] فيسلط الله تعالى الظالمين على الظالمين ليعاقبهم وينتقم منهم.

وأيا كان الأمر عقوبة كونية وقدرًا محضًا، أو بسبب من البشر؛ قصدًا أو خطأً؛ فلا يكون ذلك كذلك إلا بإذن من الله تعالى: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله): أي وما هم بضارين به من أحد حتى وإن قصدوا الإضرار به؛ إلا بإذن الله تعالى، فيعاقب بقهره، وجبروته، وقوته، وقدرته، أو أن يترك للمفسدين في الأرض يدمرون ويخربون فيها: ﴿وَإِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفيها فَفَسَقوا فيها فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمَّرناها تَدميرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

والخلاصة لما سبق أن العقاب العام للبشرية كلها لا يكون – غالبًا – إلا إذا تمالأت على محاداة الله تعالى، ودينه الحق، وبارزت الله بالمعاصي، والفجور، والعدوان، واستحلت ذلك جهارًا نهارًا، وقل الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، وعُودِي أهل الصلاح، ونُكل بهم، ورُحب بأهل الفجور، والفساد، وأُفسح لهم كل وادٍ، وناد، بالجرس والحرس؛ حتى إذا بلغت البشرية ذروتها في العناد مع الله، وبلغ التضييق على الدين وأهله منتهاه؛ يكون الأسف، وما أدراكم أن يأسف الله تعالى من الخلق؟! وما أهون الخلق على الله تعالى إذا اجتمعوا على معاندته، ومبارزته بالمعاصي، والفساد، والإفساد، فيَدٌ قُطعت ظلمًا تكون ديتها خمسون من الإبل؛ هي نفسها التي تَرْخُص، ويُحكم عليها بالقطع إن سرقت ربع دينار فما فوق، يد كرمها الله فأغلى ثمنها، ويد أرخصها الله فأبخسها، فكرامة البشرية على الله تعالى إنما تكون بالتقوى، ويدفع عن البشرية في فساد بعضها صلاح البعض الآخر، وكثرة المصلحين فيها، ويزري بالبشرية إعراضها جميعًا أو غالبًا عن أمر الله تعالى، وهل خُلقوا للإعراض عن ربهم؟!: (وما خَلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون).

وهنا نفهم كيف أن الوباء هو من أعظم جنود الله تعالى في الإنذار، وكلما توسع الفساد في الأرض، كانت الأرض في حاجة إلى نذير بحجم مصابها الجلل الذي عمَّ، حتى يعود بها إلى جادة الصواب، ولا يصلح للجواد إلا فارسٌ بقدره، يقوده، ويروضه؛ ومن ثمَّ كانت البشرية على موعد مع وباء لا يتكرر إلا عبر

عشرات السنين، أو القرون؛ لينذر – في رأيي – الناسَ بأنكم قد آسفتم ربكم، وبلغتم بفسادكم مبلغًا لا تحتمله الأرضُ التي استخلفكم الله فيها بالعمران، فاستبدلتموه بالخراب، والطغيان، فآن لذلك أن ينتهي، وآن لمجموعكم أن يستفيق، وآن للظالم أن يرتدع، وآن للمظلوم أن تُستجاب دعوته، وذلك لقلة شكركم، وطول إعراضكم، والله غني عن طاعتكم، كما كان غنيًا عن عذابكم: ﴿ما يَفعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُم إِن شَكَرتُم وَآمَنتُم وَكانَ اللَّهُ شاكِرًا عَليمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

إن الناس في طاعتهم لله تعالى منقسمين أطيافًا:

منهم من أطاع الله بفطرته فهو في معية الله سعيدًا بعبادته دون مشقة بل بألفة، ورحابة صدر، ورقة قلب، وهو مع الله تعالى في السراء، والضراء لا يتزحزح: (عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له).

ومنهم من لا يعبد الله تعالى إلا بالألم، والوجع، لا يتعلم حتى يتألم بالبلاء والابتلاء، لا يرجع إلى الله إلا بالشدة، والتضييق: ﴿وَإِذا مَسَّ الإِنسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنيبًا إِلَيهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعمَةً مِنهُ نَسِيَ ما كانَ يَدعو إِلَيهِ مِن قَبلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندادًا لِيُضِلَّ عَن سَبيلِهِ قُل تَمَتَّع بِكُفرِكَ قَليلًا إِنَّكَ مِن أَصحابِ النّارِ﴾ [الزمر: ٨].

ومنهم من لا يتعلم ولو تألم، بل يعاند ويقسو، ولا يرجع إلى الله حتى تدركه سنة ربانية لا يجد عنها موئلًا، ولا منها فكاكًا، وهو لاقيها مهما أمهله الله تعالى جزاء نسيانه، وعناده، وطغيانه: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (45)}.

فيكون الابتلاء بالوباء رحمة على المؤمن لمضاعفة أجوره، وثوابه لرضاه عن ربه، وخالقه في كل أحواله، ونذيرًا للعصاة ليعودوا إلى خالقهم، وربهم، ويتوبوا، ويكون عذابًا على المعرضين، والمفسدين، والمعاندين، الذين طال إعراضهم، واتسع فسادهم، وانتشر ظلمهم؛ فيأخذهم دون إفلات، ويهلكهم بلا فوات، ويجعلهم

في إبلاس، ويقطع شرهم عن الناس، فتكون نعمة نحمد رب العالمين عليها أن قطع دابر الظالمين، وأنصف منهم المظلومين، وأثاب الصابرين، واصطفى شهداءً مرابطين.

قارئي الكريم: ثم تجلت لي حكمة أخرى من حِكَم الابتلاء بالوباء، وهي أن الله تعالى قدر الحق، والباطل، وجعل للحق أهلًا، وللباطل اهلًا، بقانون الاختيار، والحرية المسؤولة، التي أودعها عقول، وقلوب، ونفوس، وضمائر العباد، والمعركة بين الحق والباطل محسومة للحق؛ لكن المعركة بين أهل الحق، وأهل الباطل سجال؛ ينتصر هؤلاء، وينتصر أولئك، وعندما يتخاذل أهل الحق في نصرة حقهم، ويشتد أهل الباطل في نصرة باطلهم، تكون الكرة لأهل الباطل، والنصرة لهم لأخذهم بأسباب النصر، وإذلالًا لأهل الحق المتخاذلين، فإن طال تخاذل أهل الحق، وتفريطهم، وتراجعهم، وإلافهم للذل، والاستكانة، وتركهم الجهاد، وركونهم للدنيا، وشهواتها، وفي المقابل امتلأت قلوب أهل الباطل بإذلال أهل الحق، وطال غرورهم، وظنهم بالتمكن، والتجبر، والتكبر، حتى استخفوا بالحق ذاته، وبالدين القيم، وبالصالحين المغلوبين لا حيلة لهم ولا يهتدون سبيلًا غير الدعاء المرفوع للسماء، وحوصر المصلحون، وظن الجميع أن الباطل صار حقًا، والحق أصبح باطلًا، وأن المعركة قد حسمت، والميدان قد خُلِي، والأرض بالباطل تزينت، والبحار بالباطل قد رُكُبت، والآفاق بالباطل قد أغلقت، جاء القاهر سبحانه فقلب أسس المعركة، وقواعدها: (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)؛ فيستبدل أهل الحق المتخاذلين عن شرف الجندية السامي بجنود لا قبل لأحد بهم، وربما كان من أضعف خلق الله تعالى؛ لكن الله منحه شرف الجندية في الدفاع عن الحق؛ فاستمد الجندي الضعيف قوته من تشريف الله له، واستعماله إياه؛ فأحدث في الكون العجائب، وأذهل العقول، وروع القلوب، وخطف الأبصار، وأدهش الأسماع، ودانت له البشرية بالذل، والاستكانة، والخضوع، والعجز، وحينها يلوم المتخاذل نفسه أن جرده الله من نصرة الحق، واستبدله بجندي آخر أقل منه شأنًا، وتكريمًا وخَلْقًا، وربما كان هذا الجندي الضعيف في قوته، المستبسل في مهمته، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والداعي إلى الحق، والرافع لكلمة الله في بقاع الأرض، ميكروب لا يرى بالعين المجردة، ولا يسمع بالأُذن المحتدة، ولا يُلمس باليد، ولا رسم له ولا حد، ولا طول له ولا عرض، ليقيم الحجة على الخائفين من الملحدين، والهاربين من الطاغين، ويعلن بأن الله تعالى هو واجد الوجود، وهو الحق، والخير، والجمال،

والنور، وهو خالق كل موجود، ربما كان هذا الجندي الذي يتحرك بيننا من وراء حجب الأستار ولا تراه عين الإبصار، هو: الكورونا.

- **السنة النبوية**

موضوع السنة النبوية، وكونها المصدر الأساسي الثاني للتشريع الإسلامي من حيث الاحتجاج والعمل؛ له فهم عند علماء السلف متوسط بين الغلو والمجافاة.

الغلو: الذي يجعل طائفة تثبت الحلال والحرام بسنن لم تصح عن النبي ﷺ، وأخرى تمنع مجاوزة ظاهر الحديث وإن خالف إجماع المسلمين وعملهم.

والمجافاة: التي تجعل طائفة يطلق عليهم القرآنيون يقولون: إن القرآن الكريم ذكر كل شيء ولا حاجة معه إلى السنة.

وأما جمهور علماء السلف فسودت أحبار أقلامهم ألوف الأوراق؛ يوقرون السنة، ويعظمونها ويدافعون عنها، ويحتجون بها. فكان لهم معها التوثيق، والتحقيق، وجعلوا لها أقسامًا؛ متواترةً وآحادا، صحيحة، أو ضعيفة، وميزوا بين السنن التي دلالاتها قطعية، والتي دلالاتها ظنية، كما ذكروا القرائن التي تصرف العمل عن ظاهر السنن. وذكروا كذلك الأسباب التي تمنع من الاحتجاج ببعض السنن، كما جمعوا بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض، فأعملوها ولم يهملوها.

ولقد أجمع علماء السلف على قضية تبيين السنة للأحكام المجملة التي وردت في القرآن الكريم، وأن السنن الصحيحة تُخصص الآيات العامة، وتقيد بعض الآيات المطلقة.

ولقد اختلف العلماء في استقلال السنة بأحكام لم تذكر في القرآن الكريم، والحقُ أنها اندرجت تحت قواعد كلية وأصول عامة، ومن أمثلة الأحكام التي استقلت بها السنة: السواك، والآذان، والنجش، والشغار، والجمع بين المرأة وعمتها، والتعزير، والردة، وغير ذلك كثير، لذا أوصي في هذا المقام بما يلي:

1. تشجيع الأبحاث والرسائل العلمية التي توضح ضعف منهج الغلاة في الاحتجاج على الأحكام الشرعية بسنن ضعيفة، وكيف أنها أوجدت في الفقه الإسلامي أحكام شاذة لا ينبغي الاعتداد بها.
2. تشجيع الأبحاث، والرسائل العلمية التي تفضح القرآنيين، وتبين فساد أصولهم، وتدحض شبهاتهم.
3. تشجيع الأبحاث والرسائل التي تجمع الأحكام الشرعية الفرعية التي استقلت بها السنن، وبيان المذاهب الفقهية، ومدى اتباع كل مذهب للسنة الصحيحة. وهذا تقديم للسنة على المذاهب – لا العكس– حيث يقوم الباحث بذكر السنة ثم يذكر من وافقها من المذاهب.
4. تشجيع الأبحاث والرسائل العلمية التي تستنبط الحكم الشرعي من الكتاب، والسنة الصحيحة للوقائع والقضايا المعاصرة.
5. منح إجازة علمية لمتخصصين في السنة ليقوموا بجمع السنن الصحيحة في غير الصحيحين والتي أخرجها الثلاثة، أو الأربعة، أو الخمسة على غرار كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الذي وضعه الشيخ فؤاد عبد الباقي رحمه الله. ويَسهل الأمر بكُتب الشيخ الألباني في صحيح السنن الأربعة، واستخدام الحاسوب.

- **حق الأطفال في التربية الصحيحة**

عني الإسلام بحقوق النشء الصغير، وأسلوب تربيته، وتقويم سجيته، ولو أردنا أن نرسم تقويمًا، أو نعطي نظرةً، أو نجري مسحًا سريعًا لحالة الأسرة المعاصرة نجدها في غالب أحوالها مكونة من أب منهمك في العمل، يعود منه ليخلد إلى النوم والراحة، ثم يستيقظ على موعد الطعام، بعد ذلك يتفرغ لمشاهدة مسلسلات المساء، وأفلام السهرة، أو قضاء الليل في مكان عام، أو في حفلة من الحفلات، هذا إن لم يكن الأب مسافرًا خارج البلاد، ومنقطع بالكلية عن بيته وأولاده.

من ناحية ثانية نجد أن الأم التي تعلمت، وتثقفت، ترى أن من حقها ممارسة حريتها في العمل، وتعود الأم من العمل وقد أصابها التعب، والملل، والإعياء، وليس لديها من الوقت، أو الأعصاب، أو التحمل ما يسمح لها بمراقبة أولادها،

أو تصحيح سلوكياتهم، أو النصيحة لهم، والضحية في كل ذلك هم الأولاد، لأنهم يخسرون أعز الأشياء وأغلاها لديهم؛ يخسرون أنفسهم.

والشريعة الإسلامية لم تترك هذا الأمر هملًا، بدون عناية وتيقظ، بل بينت ووضحت كيف نربي أولادنا من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف أنها شرعت لهؤلاء الأبناء حقوقًا، وألزمت بهذه الحقوق كلًا من الأبوين، والمفرط منهما في هذه الحقوق آثم، وغير المحافظ عليها مذنب.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6].

وعن هشام عن الحسن قال أتينا معقل بن يسار نعوده؛ فدخل علينا عبيد الله فقال له معقل أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنّة)[1].

ومن ثم فإن من حق الولد على أبيه أن يعلمه الأدب الحسن، والقيم، والعادات الأصيلة لا العادات الدخيلة حتى يتشكل إسلاميًا. وكذلك يجب تربية الأولاد على البر، والصدق، والطاعة، والمروءة، والأمانة، والتعاون، والإخاء، والإيثار، وجميع الأخلاق الكريمة التي أوصى بها نبينا صلى الله عليه وسلم، مع العلم بأن خير التربية وأفضلها القدوة الحسنة، فالولد من عمل أبيه، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه:" إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[2]. والتربية الصالحة تثمر في الدنيا برًا بالوالدين، فيجد الوالدان في كبرهما وشيخوختهما حصاد ما زرعاه في أولادهما.

ونحن نلاحظ في عصرنا الحاضر شدة اهتمام الآباء بتعليم الأبناء، والإنفاق عليهم في المدارس الخاصة، وفي الدروس الخاصة، وإشراكهم في النوادي المختلفة، والاهتمام بملابسهم، وما إلى ذلك، وفي نفس الوقت

([1]) **صحيح البخاي**، مصدر سابق، ج6، ص2614، باب من استرعى رعية فلم ينصح،رقم الحديث 6732.

([2]) **صحيح مسلم**، ج8، ص65، باب النهي عن تمني الموت، رقم الحديث 6917.

يغفلون عن تعليمهم قواعد دينهم الحنيف، الذي يحفظهم في الدنيا والآخرة، ويعود بالنفع والخير على الوالدين. والبعض يلقى باللائمة على المجتمع، أو المدرسة، أو أصدقاء السوء، واللوم واقع على البيت بالدرجة الأولى؛ ففيه ينشأ الطفل، ويقلد أبويه، ويتلقى منهما مبادئ السلوك، والأخلاقيات: سليمة كانت او منحرفة.

ومن وسائل التربية الدينية والأخلاقية للأولاد:

1 - اهتمام الأسرة بالجانب الديني للتربية، (تربية الوازع أو الضمير).

2 - إلزام الطفل بحفظ، وتعلم، وفهم القرآن الكريم.

3 - تعليم الطفل أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فعلًا، وقولًا.

4 - التربية الأخلاقية بالقصة الهادفة، مثل قصص القرآن، وسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وسيرة الصحابة، وأمهات المؤمنين، وعظماء التاريخ وغيرهم.

5 - تربية الأولاد على حسن اختيار الرفيق (الجليس).

6 - التربية بالممارسة الفعلية المتدرجة.

7 - التربية بالقدوة الحية الواقعية.

8 - التربية بالموعظة والنصيحة المتكررة.

9 - التربية بالحوار والمناقشة.

10 - التربية بالترغيب والترهيب.

وإن مما يجب أن أوصي به هنا، أمرين:

1- عمل دورات علمية متخصصة في التربية الأخلاقية للأسر المسلمة داخل المراكز الاجتماعية والمدارس من خلال مجلس الآباء، ومجلس الأمهات.

2- تكثيف المادة الإعلامية التي تتحدث عن دور الأسرة في تربية أبناءهم، وبناتهم على الأخلاق الحميدة. وتوزيع المطويات، والكتيبات التي تخدم هذا الأمر.

- **الخروج على الحاكم**

الخروج جائز على الحاكم الذي بلغ حد الكفر البواح، أو الظالم الذي شاع ظلمه، وفساده وتأذى منه كل بيت، ووصل إلى كل نفس، ووصل إلى الدين، والعرض، والمال، والولد.

ويكون الخروج بالقوة على الحاكم الكافر ابتداءً، أما الظالم، فيكون الخروج بالسلم ابتداءً، ولا يكون الخروج على هذا، أو ذاك إلا بعد إقامة الحجة باستتابة الكافر، ومناصحة الظالم، وذلك لا يكون إلا من العلماء، والفقهاء عبر الوسائل المتاحة، وأن لا يدخروا في ذلك جهدًا. فإن أصرّ الكافر، وتمادى الظالم، فللرعية عصيان الحاكم، حسب الضوابط والأحكام، دون شطط أو شطح، ولا غلو أو انتقام، ولا إفراط أو تفريط، وبشرط أن يستقر اليقين في النفوس أن هذا الخروج لن تربو فيه المفسدة على المصلحة، بل العكس. ويكون الخروج السلمي على الحاكم الظالم مشروطًا بعدم تعطيل الأعمال، أو المرافق، أو المصالح، وإلا لا يسمى خروجًا سلميًا مع تضرر الناس في أنفسهم، ومعايشهم، فلا يتوقف طبيب عن معالجة مرضاه، ولا معلم عن تدريس طلابه، ولا صاحب طعام عن بيعه للناس...الخ، ويكون أهل الحل والعقد من العلماء، وأهل العقل، والحكمة هم القادة لهذا العصيان، وبوصلة التوجيه للعامة، فلا يخرج الناس همجًا، تضيق بهم الطرقات، ويختلط الرجال بالنساء، والشباب بالفتيات. ومتى ما رأى أهل الحل والعقد علامات الرشد من الحاكم، وعودته عن غيّه، وجهوا الناس بالجنوح إلى السلم، والدخول في الطاعة، وعلى العامة النزول على رأي العلماء الربانيين.

وأما إن كان الحاكم لم يتعد بظلمه، وجبروته درجة الانتشار، والشيوع، وتعطيل المعايش، وهتك الأعراض، ولكن تضررت منه فئة، فالأولى الصبر، والتحمل، وعدم الخروج عليه، لا بالقوة، ولا بالسلم، مراعاة لمصلحة سائر الأمة، مع رفع الشكاية للعلماء الربانيين القادرين على نصح الحاكم بالتي هي أحسن، ومثاله: تضرر التجار من فرض زيادة في ضريبة المبيعات لا تتناسب مع الواردات المالية، وتضرر المعلمين من ضعف رواتبهم، وتضرر إحدى القرى أو المدن من عدم تعبيد طرقها، ونحو ذلك.

- **المجامع الفقهية المعاصرة**

كحال أي إنتاج بشري لا يسلم من النقص والملاحظة، كذلك حال المجامع الفقهية المعنية بالتوصل للحكم الشرعي الصحيح، ومن ثم مساعدة المكلفين على التعبد لله تعالى بأحكامه الشرعية التي يظن أنها مراده من عباده.

وبعيدًا عن النقد الهدام، أو النقد لمجرد النقد، فإن ثمة عدد من الملاحظات على عمل المجامع الفقهية المعاصرة ومنهجها في التعامل مع المستجدات، يمكن تسجيلها في النقاط التالية:

1 – التعصب للمذاهب القديمة وأصولها التي قامت عليها، والتأثر بآراء المتقدمين والتسليم بها واعتبارها مطابقة للواقع تمامًا، إذا يعد البعض أن احترام رأي المتقدمين، والعمل به أولى من الاجتهاد الجديد، فالقداسة والتقدير عند البعض للبعد الزمني للقائل، دون أن يكلف نفسه عناء البحث حتى عن صحة دليل القائل، أو وجه استدلاله، ودون أدنى محاولة من قبل المجامع الفقهية للاتفاق من جديد على أصول مشتركة للعمل الاجتهادي الفقهي.

وإني لأعجب أشد العجب أن يسلم الفقهاء المعاصرون بأن باب الاجتهاد ما زال مفتوحًا في الفروع الفقهية، ويغلقون باب الاجتهاد حول الأصول التي حكمت هذه الفروع قديمًا، ولذا تأتي بعض فتاوى المجامع الفقهية مختلفة فيما بينها، مثلما هو الحال بين المجمع الفقهي بمكة، أو بجدة، والمجمع الفقهي في الهند، وسبب ذلك هو التعصب للمذهب بأصوله القديمة، فمثلًا عند الحنفية؛ لا يأخذون بأصل الاستصحاب الموجود عند الحنابلة، ومن ثم يختلفون على المسائل المتعلقة بهذا الأصل، وكان هذا الأصل سببًا في اختلاف عالمين كبيرين مثل الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني رحمهما الله تعالى حول وضع اليدين على الصدر من عدمه بعد الرفع من الركوع. فكيف نروم توحدًا اجتهاديًا فقهيًا، وكبار علماءنا لا يجلسون على مائدة حوار حول الأصول الأساسية التي يبنون عليها اجتهاداتهم في الفروع، وهل يدخل ذلك فيما يسمى بالقداسة؟! وهل المقصود بذلك تقديس الشخص أم تقديس الفكرة؟! ولا شك أن الكل مرفوض؛

لأن الأئمة أنفسهم تبرأوا من كل هذا ولم يلزموا أحدًا من بعدهم بتقليدهم؛ لا في الأصول الفقهية، ولا في الفروع الاجتهادية؛ لأن الجميع يعد حصيلةً لاجتهادات الأئمة وإن استند إلى النصوص.

والعلاج في ميثاق موحد لكل مجامع الفقه الإسلامي، والتفاهم حول آلية موحدة للمسائل الخلافية، ووضع آلية ترجيح موحدة، استشعارًا لضرورة توحد الأمة في شريعتها وأحكامها؛ فتحا لباب الأمل أن تتوحد حول قيادة مشتركة، وآمال واحدة.

2 – لعله مما يتفق عليه العقلاء ويقول به الحكماء، إن الحرية قرين الاستقلال، ومعظم المجامع الفقهية – إن لم تكن كلها – تفتقر للاستقلال في كثير من أمورها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ – قضية تعيين العلماء أو الفقهاء في المجامع الفقهية، حيث يكون التعيين من الإدارة أو القيادة السياسية للدولة، والتي غالبًا ما تنظر إلى هؤلاء العلماء على أنهم موظفون لدى الدولة وعليهم أن يتقيدوا بنظامها السياسي وتوجهها الفكري، ومراعاة الانسجام التام بين مؤسسات الدولة المختلفة، ومنها المجمع الفقهي، ومن ذلك تصريح عالم كبير في إحدى مراكز الافتاء المشهورة، أن الدولة تمنعهم من إصدار الفتاوى ابتداءً، إلا بطلب من الجهات الرسمية، وأن بعض الفتاوى تُرفع جاهزة، وتوضع أمام العلماء للتوقيع عليها أو لوضع الختم المعتمد.

ومثال آخر: عقد المؤتمر العالمي للسكان بإحدى الدول الإسلامية، وطلب رأي الشريعة الإسلامية في قضية تحديد النسل، وقضايا مشابهة من ضمنها الاستنساخ أيضاً، فرفعت الجهة الشرعية الأشبه بمجمع فقهي أو دار افتاء، طلبًا للدولة لمعرفة رأيها في القضية المطروحة لتكييف القضية فقهيًا على مراد تلك الدولة.

ب – قضية تقاضي الأجر على الاجتهاد من جهة سيادية رسمية سلطوية – من السلطة لا التسلط – هي قضية تبعث على الشك في مصداقية الاجتهادات التي يثمرها أي مجمع فقهي، وما قيل في الأمر السابق – تعيين العلماء – يقال هنا أيضًا.

والعلاج — في رأيي – يكمن في تأسيس مجمع فقهي دولي على غرار الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وتُختار إدارته وأعضاؤه بالانتخاب، ولا يخضع لأي سلطة سياسية إلا ما جرى به العرف العام، ولا بد لأن يكون من أعضاء المجمع علماء متفرغين، يجرون الحوارات، ويعطون الندوات، ويطوفون في مشارق الأرض، ومغاربها، ليوضحوا للناس الدين الصحيح، لهذا لا بد للمجمع أن يوجد لنفسه الدعم المادي المستقل، حتى لا يتأثر بجهة معينة، وأن يوجد الدعاة الذين يحملوا قراراته ويبلغونها لعامة الناس، وأن يقوم على طباعة، ونشر ما تم التوصل إليه من قرارات، وتوصيات للأمة، حتى يستطيع الجميع أن يطلع عليها.

3 — التخلف عن متابعة أهم إنجازات العصر الحديث، والتي تفرض نفسها كرؤىً، وتصورات ومفاهيم تمتلك القدرة على صياغة العقل الإنساني، وتحديد قيَمهُ وتوجهاته؛ فالتنوع الذي جسدته العلوم الحديثة والثقافة الجديدة ساهم في تغيير اهتمامات الإنسان، وقلب أولوياته؛ مما أدى إلى مضاعفة الصعوبة التي أحسها عقل المسلم المعاصر في تعامله مع هذه المعطيات المستجدة.

والعلاج في الإفادة من الخبراء، والمختصين في دراسة، ومعرفة موضوعات الأحكام وخصائصها المتعلقة بالمستجدات العلمية والاكتشافات الحديثة، بأن يعين هؤلاء ضمن آلية عمل بحثي في نطاق المجامع الفقهية ذاتها لا خارجها، وأن تكون مستقلة عن الاستقطاب لتمارس عملها بكل شفافية، وحيادية.

4 – غياب عملية التقنين في البحث الفقهي؛ فبطون الكتب الفقهية ذاخرة بالعلوم والمعارف، وبيان المقاصد والقواعد، ولكن قد يصعب الوصول إليها، أو تسهيل الاستفادة منها؛ بربطها بقواعد متخصصة.

وإن كان البعض يرى أن هذا الأمر قد عولج في قوانين الأحوال الشخصية، وقوانين الأسرة، والقوانين الجنائية، وغيرها، لكن الحقيقة أن الأمر مازال يشهد قصورًا على مستوى الاستيعاب بالنسبة للمواد القانونية من جهة، ومن جهة أخرى موضوعات، ومجالات التقنين، فضلاً عن انعدام ذلك في مجالات أخرى كالعلاقات الدولية، والسياسة الشرعية، وعلاقة الحاكم بالمحكوم...الخ.

وعملية التقنين الفقهي المنشود – في رأيي – هو التقنين للأمة الإسلامية لا لدولة بعينها، وهو ما أعتبره متفرعًا عن كيان اجتهادي واحد، وليس قبل ذلك.

5 – إغفال دور العلوم الإنسانية الحديثة، مثل علم اللغة، والاجتماع، والاقتصاد، وعلم النفس ذات الصلة بالاستنباط الفقهي، ومن ثمّ إهمال دور الرأي، والعقل في المسائل الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية؛ اعتمادًا على حرفية النص تبعًا لصحة سنده أيًا كان.

والعلوم المذكورة ليست بعيدة عن السيرة النبوية، والمغازي، والحياة الزوجية للنبي صلى الله عليه وسلم، فمن الممكن الاستفادة من هذه العلوم بإسقاطها على واقع الحياة النبوية، أو حياة أمهات المؤمنين، أو حياة الصحابة والسلف، وتأصيلها تطبيقيًا، ثم الاستفادة منها في واقعنا المعاصر جنبًا إلى جنب في تكييف النوازل.

والسؤال: لماذا الاهتمام بتكييف النوازل فقط تكييفًا فقهيًا؟! لماذا لا يصاحب ذلك تكييف اجتماعي عرفي سياسي...الخ؟!

إن ما تعانيه الأمة اليوم حتى على مستوى الأمور المتعلقة بالأحكام الفقهية المجردة، له تمدداته غير الفقهية مترامية الأطراف، فالجريمة، والقصاص، والسرقة، والزنا لها تمددات غير فقهية: من ظاهرة العنف الأسرى، وأطفال الشوارع، والحرمان من التعليم المناسب، واعتقال الكفاءات العلمية. فهل تكتفي المجامع الفقهية بإبداء الحكم الفقهي بالنظر في واقعته الملاحظة والمحسوسة؟!، عندها يكون حالهم كحال قضاة العصر يتعاملون مع أوراق رسمية، ولا مجال للحديث عن فراسة القاضي في الزمن الغابر.

ولم تكن فتوى عبد الله بن عباس بعدم قبول توبة القاتل طرحا لحكم فقهي منصوص عليه، بل معاينة لوضع نفسي قائم يقضي بأن الحكم الفقهي ليس هو دائما الجواب الصحيح إذا خالف الوضع الصحيح، والزمان والمكان الصحيحين.

ولم يكن منع الإمام أبو حنيفة للرجل أن يجلس على مقعد قامت من عليه امرأة طرحًا لحكم فقهي منصوص عليه، لكنه بفراسة العالم أيقن أن دفء المقعد قد يهيج مشاعر الرجل، وخيالاته.

ولم يكن جواب أحد مشايخنا على شاب يسأله عن حكم الاستمناء، وقوله هو والزنا سواء جوابًا فقهيًا بالمعنى الحرفي للفقه الاصطلاحي، بل مراعاة من جانبه لصغر السن، ونوازع العاطفة، وطغيان الشهوة.

والخلاصة أن الحكم الفقي لا ينبغي أن يستأسد وحده باهتمام المجامع الفقهية، وأن تراعي خلفيات هذا الحكم.

6 – ضعف الوعي بآمال الأمة وتطلعاتها، ومهامها وشؤونها، وواقعها والصعوبات التي تواجهها. فالمجامع الفقهية مشغولة عن تشخيص حال الغزو الأنجلو أمريكي صهيوني للمنطقة العربية والإسلامية ونهب مقدراتها، ولا تساهم حتى — من باب السياسة الشرعية – بتقديم المشورة الدينية للحكام المسلمين من خلال قراءاتها التأصيلية لمستقبل الإسلام في ضوء النصوص التي تتناول أخبار آخر الزمان، وعلامات الساعة، والصراع بين القوى المختلفة، ونتائجه المحتملة والمظنونة ... أقول على الاقل من باب المساهمة في إضاءة الوعي الجمعي، طالما أن مثل هذه المجامع ارتضت أو أرادت لنفسها أن تكون قبلة للأمة في العلم والفقه. وإن كان ذلك كذلك فعليها أن تصدر الفتاوى التي تتعلق بمصير الأمة، قبل الخوض في فروع الفقه التي قد تخص بعض الأفراد دون بعض، فقبل البحث في أطفال الأنابيب، وحكم زراعة الأعضاء، يجب البحث في حكم الاشتراك في الأمم المتحدة، وموالاة الكفار ومناصرتهم، والتحالف معهم ضد أهل الإسلام، وتوضيح المفهوم الصحيح للإرهاب، وأن تقف وبكل صراحة في وجه أعداء الأمة من يهود وصليبيين، ومن تحالف معهم من أبناء هذه الأمة، وأن تبين للأمة عامة، ولشباب الصحوة خاصة من هو عدو الأمة الحقيقي.

- **سنة التمييز وظن الفوات**

راعَ كل مسلم ومسلمة ما يحدث ببلاد الحرمين الشريفين(1440هـ/2019م)، من ادخال التماثيل، والمراقص، والتلاعب بمناهج التعليم، والتفريط في ثروات المسلمين، وأموالهم، وانبرى كلٌ يتعجب وينتقد، واشتد وقع السهام من الجميع على كثير من علماء البلد الحرام؛ كيف لم يثبتوا أمام هذا الابتلاء، وقد كنا نراهم القدوة الصالحة، نُصلي خلفهم، ونبكي وراءهم، ونخشع بكلامهم، ونعمل بفتاويهم، حتى آل بهم الحال إلى هذا المآل، ومِن الذين تسلطت سهام نقدهم؛ كثير من علماء البلدان الإسلامية، وحُق للجميع ان يندهش، ويتعجب، ويعترض، وينتقد، ويغضب، ويحزن، بكل مفردات اللغات الدنيوية المعبرة عن ذلك، كيف لا والأمر جَلل، وجَد خطير، ومتعلق بمصير أمة، ولكن...



والكلام هنا للعلماء قبل العامة، هل تساءلتم، لو كنا في بلاد الحرمين؛ كيف كنا سنفعل، أنثبت أم نتغير؟!، وإذا كان الجواب بالثبات، فالسؤال: فهل أنتم آمنون من وصول سُنّة الابتلاء والتمييز إلى بلادكم؟ هل هيأتم أنفسكم؟ هل أنتم مستعدون بهذا الثبات المرجو منكم؟ أم تظنون أن سنة الابتلاء تصيب غيركم وتفوتكم؟ وأنها ستمر بجواركم مرور الكرام لتُلق السلام عليكم كعابر سبيل غير ثقيل؟

وإن كان الجواب باستبعاد حصول ذلك في بلادنا، فهل قرأتم قول الله تعالى:

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذِبين﴾[العنكبوت: ٢: ٣]، إذن فهي سنة إلهية، أن يميز اللهُ الناسَ بعضهم من بعض، فماذا أنتم فاعلون إذا جاءتكم سنن التمييز من الله؟ فما أسهل أن يكون الرجل حكيمًا، ومؤمنًا، وتقيًا، وصالحًا، ومجاهدًا، وفارسًا، طالما وقف الأمر عند حد الكلام، والخطابة، والبلاغة، والصياح، والصريخ، وربما حرض الناس على الجهاد، وبذل الدماء، في سبيل الدين والوطن، ثم ما أصعب ذلك عليه إذا وجد نفسه مخاطبًا بكل ذلك بسُنّة ربانية تحل به فلا تدع له اختيارًا إلا أن يختار بين الحق والباطل، بين الشجاعة والجبن، بين الدنيا والآخرة، بين الفرار أو الفداء، بين الجنة أو المال والنفس والولد.



وعندما نطالع إرهاصات سنن الله في بلادنا لا نملك إلا أن نقول: (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).

- **أداء حق الله**

إذا أدى الانسان حق الله عليه؛ رزق الله المخلوقات تأديةَ حق عبده عليهم؛ فتؤدي حقه زوجتُه، وأولاده، وجيرانه وزملاءه...الخ، وإذا احبه الله رزق المخلوقات حبَّه.



والعكس إذا لم يؤد العبد حق الله عليه رزق الله المخلوقات إهمال حق عبده عليهم؛ فيرى الإهمال والتقصير من زوجته، وأولاده، وجيرانه، وأقاربه، وزملاءه، وإذا أبغضه الله رزق المخلوقات بُغضَ عبده، حتى يرى أنه يُبغض من الأرض، وشجرها، وريحها، حتى تزل به قدمه، ويتعثر في الأرض المنبسطة السوية، وتكرهه جوارحه؛ فلا تستقيم له، فلا يكاد يملك عقله، ولا باله، ويختنق عليه صدره، وتضيق عليه نفسه، وكل ما كان مسخرًا له يتنكر له بلون من التنكر والاعتراض، حتى من لا يعرفه لا يستظرفه ولا يتقبله. فأداء حق الله مفتاح تسخير المخلوقات للعبد، وتضييق الله على العبد في مثل ذلك فيصحو من غفلته؛ خير من أن يمد له ثم يأخذه بغتة، مثل الحال مع الكفار والذين استحبوا العمى على الهدى. و(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد* متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد). آل عمران.

- **الدين والعرف**



إنه لشيء يدعو للدهشة أن تجد من ينكر عليك مخالفتك للعرف، والتقاليد، والعادات، ولا ينكر عليك مخالفتك للدين، والقيم الربانية، والأعظم من هذين من ينكر عليك اتفاقك مع الدين، بسبب جهله به، فكأنه يجعل الجهل حجة على العلم، والعرف حجة على الشرع، والناس حجة على الله، فأي هرم مقلوب ذاك الذي نعيشه؟!

ومع انبطاح الناس تحت عجلات التقاليد المستحدثة؛ بل والمستوردة، صاروا يسفهون كثيرًا من أمور الدين، وينعتونها بأنها أمور تافهة لا تستحق أن تشغل البال، والوقت، ويفتحون صدورهم مرحبين بكل شاردة، وواردة، وشاذة، وتافهة، من عادات وتقاليد الأمم الأخرى؛ حتى الكافرة منها، فسفهوا اللحية، وتقصير الثوب إلى الكعبين، والشرب ثلاثًا، والشرب جالسًا، والتيمن في الأكل، والشراب، والملبس، وصَبغ الشيب بغير السواد...الخ، وهي أمور منصوص عليها شرعًا، ودينًا في الآداب، والسلوكيات، وتبين فيها كثير من أوجه الحكمة والفوائد. وفي المقابل فرحوا، ورحبوا، واحتفلوا، واحتفوا، بقزع الشعرِ، وتقاليع الغربِ، والملابس المقطعة، والتبرج والتخنث، والماركات، والموضات، والرقصات؛ فأي جيل، أو أجيال تلك التي تصف أمورًا من دينها بالتوافه؛ فتردها لترتمي في وحل أتفه التوافه، وأقبح القبائح. أنرد الفاضل بالمفضول؟! والأعلى بالأدنى؟! والرباني بالمهترئ الساقط؟! فإلى أي حال آل الناس؟! وكيف خاب بهم القياس؟!

- **التدين الاجتماعي**

هو مصطلح أعني به التزام الانسان بأحكام المجتمع، وتقاليده، وعاداته، لكنني هنا أقصد به خصوصية زائدة في المعنى، أن تتفق تقاليد المجتمع مع الدين السماوي، دين الإسلام، فيستقر في ذهن الشخص أنه متدين سماويًا، لا اجتماعيًا، ويراه الآخرون في سلوكه، ومظهره، على هذا النحو، ويحسبون تدينه تدينًا سماويًا، والفرق كبير، لأن التدين السماوي يصاحبك في كل مكان، ويخلق حالة من الاستقرار السلوكي المصاحبة برقابة ذاتية لا تتغير بتغير الأزمنة، والأمكنة، فإن كنت في الشرق، أو في الغرب، بين من يعينك على الالتزام، أو بين من يستبيح المحرمات، فالأمر واحد، والسلوك واحد، مع التفاوت في المجاهدة للنفس، والفكر، والهوى.

أما التدين الاجتماعي فهو مرتبط بالمجتمع؛ فإذا ما انفك الشخص عن مجتمعه، بنحو نقل، أو سفر مثلًا، تملكته رغبة جامحة، ملحة في الانسلاخ السريع من تدينه ذلك، وتعويض النفس عما فاتها؛ ذلك أن الرقيب هنا قد غاب، وفرق كبير بين رقيب يغيب، ورقيب لا يغيب. من هنا فكثير من المتدينين يصابون بانتكاسات عندما ينتقلون من مجتمعاتهم، ولا يجدون لذلك تفسيرًا، لكن تفسير ذلك من الوضوح بمكان؛ فهو إما انتكاسة في التدين السماوي لغلبة الهوى، وإما انتكاسة في التدين الاجتماعي لغياب الرقيب المتسلط، والتفسير الثاني له الغلبة في ذلك، وعليه؛ فمن المهم أن ينظر كل منا في مرآة ذاته الملتزمة، أو المتدينة، ويبحث في سلوكه، وفكره، هل هما يصدران عن تدين سماوي؟ أم تدين اجتماعي؟

ولكي يساعد نفسه على الجواب؛ يتخيل أنه وضُع في مجتمع مناقض تماما لمجتمعه الحالي؛ هل سيبقى على ذاته بما فيها كما هي دون تغير، ويتمسك، ويتشبث، ويستعصم بما كان عليه من الحق، والفطرة، والالتزام والتدين، أم سيجد هواه مشتاقًا للتحرر، والانطلاق، والسباحة مع التيار.

نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة

- **التعامل مع الأفكار**



نحتاج في التعاملات البشرية أن نتعامل مع الأفكار لا الأشخاص، هذه من الممكن أن تحل مشكلات كثيرة تتأزم بسببها علاقاتنا السوية؛ فتخيل مثلًا أن شخصًا قادم نحوك، يصيح عليك، يتملكه الغضب، متحفز للأذى والإضرار، فإما أن تقابله بردة فعل من جنس فعله، وإما أن تتعامل مع الأفكار السلبية المسيطرة عليه، وتحاول تغيير وجهتها باتجاه إيجابي وصحي، وربما كان التغيير سهلًا بابتسامة ليس أكثر، أو كلمة طيبة، أو إفهامه أن الأمور في تصوره خلاف الحقيقة، أو بكلمةٍ أو عبارة مثل: (حضرتك تؤمر، نعم، حاضرين، خذ ضيافة وإكرامًا أولًا ثم نتحدث، أنت إنسان متماسك، ومهذب، أنا طوع أمرك، منك نتعلم، فعلا أنا لم أفهم الموضوع بشكل كافي، بدأت أفهم منك بشكل أفضل)...الخ. هذه العبارات الناقلة للأفكار من السلب إلى الإيجاب.

وعلى ذلك شواهد، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – نقل أفكار الرجل الذي طلب رخصةً في الزنا إلى أفكار إيجابية بقوله: " أتحبه لأمك؟! لأختك؟! لعمتك؟! ومع كل سؤال يقول: لا. ثم قال: خرجتُ من عند رسول الله والزنا أبغض الأشياء إلي. فلنتعامل مع الأفكار، ونحول مساراتها السلبية إلى مسارات إيجابية، دون عداءٍ أو صدامٍ شخصيٍ مع أصحابها.

- **عندا يكون الباطل جنديًا من جنود الحق**

تحليلي للأحداث التي مرت بنا من إساءة إحدى الصحف الفرنسية للرسول صلى الله عليه وسلم، برسوم كاريكاتير بالغة الوقاحة، وانعدام المهنية والذوق، والمظاهرات التي عمَّت الأقطار الإسلامية، وباستقراء السنن الكونية لله تعالى، نجزم بأن كل ذلك يصب في خدمة الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم. والله

تعالى من سننه أنه إذا أراد نشر حقٍ؛ قيض له لسان باطل يخالفه. وهذه الأحداث كالرياح الذاريات، تهب على العقول الراكدة في الغرب؛ فتبعث فيها خاطرة البحث عن مَن هو محمد رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) وما هو الإسلام. وبالبحث، والقراءة يهدي الله من يشاء، ويختم على قلب من يشاء.



بعد تفجير برجي التجارة العالمية، وسقوطهما؛ دخل في الإسلام – في العام الأول – أكثر من 25000 مسلم جديد في الإسلام. حركهم الفضول لمعرفة ما يعنيه الإسلام، ومن هم المسلمون، وانتهى بهم الأمر إلى أن أصبحوا مسلمين بعد أن اكتشفوا أن كل ما يروجه الإعلام الغربي محض كذب وافتراء وتخريص، (قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون) سورة الذاريات. ولذا ما من مرة يسيئون فيها إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم؛ إلا كنت مستبشرًا بنصر جديد، ولا يجزم بهذا إلا من له شعور بسنن الله تعالى في كونه.



قالوا عن الرسول قديمًا أنه ساحر، وكاهن، ومجنون. فكان الرد من الله تعالى (إنا كفيناك المستهزئين)، وهذه الكفاية متحققة من الله تعالى لنبيه حيًا وميتًا، لكنه الباطل الذي يجنده الله تعالى لخدمة الحق؛ كما جند تعالى أبا جهل ليجمع أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ليخبرهم بالإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس. وبدا صلح الحديبية للمسلمين كهزيمة مذلة وإعطاء دنية في الدين، فنزل الوحي الكريم: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) سورة الفتح. وبدأت حادثة الإفك التي استمرت شهراً وكأنها شر يراد بالنبي، وآل بيته، ومن ثم بالإسلام وأهله، فنزل الوحي: (لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) سورة النور.

نعم هو نصر من الله، نعم هو فتح من الله. بقي أن نقاطع هؤلاء ماديًا واقتصاديًا لأن لغة المادة والمصالح هي من يفهمونها جيدا، وإذا أوجعك عدوك فمن المهم أن تعرف ما يوجعه، وترد به عليه، وإلا تضاعف وجعك وألمك مرتين، مرة لأنه أوجعك، ومرة لعجزك عن الرد، وهو في ذاته ألم ووجع يضاف إلى إيلام عدوك لك، ومع إظهار عجزك؛ يزداد إقدامًا، وصلفًا، وغرورًا، وتوحشًا، وتكبراً، وإيذًاء، وتزدادَ إحجامًا، وخوفًا، وانكماشًا، وتقوقعًا، وتصاغرًا.

- **أكثر من سبعين ألفًا**

يعتقد الكثيرون أن الذين يدخلون الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا فقط وهذا هو الشائع بينهم ويساور الكثيرين الشك حول هذا العدد لكونه يخالف المنطق والنسبة والتناسب بالمقارنة مع عدد الأمة المحمدية منذ البعثة وحتى قيام الساعة، والذي يقدر بالمليارات بإذن الله تعالى، والمشكلة ليست في النص وإنما في شيوعه بين الناس على أنه النص الوحيد في هذا الباب، ومعلوم أن النصوص تؤخذ مجتمعة في أي باب من أبواب العلم، أو أي مسألة من مسائله على قاعدة جمع وفرق: أي جمع النصوص ثم فرقها على ما يستحقها من المسائل، فإن كانت كلها صالحة الاستحقاق لمسألة واحدة بإمكان الجمع بينها تحت هذه المسألة فلا جدال في ذلك.

وهذا مثل مسألة من يدخل الجنة بغير حساب فقد اجتمعت تحتها عدة نصوص وليس هذا النص الشائع وحده، وأمكن الجمع بينها لعدم التعارض، فيعمل بمجموع النصوص كلها.

وإليك النصوص الواردة فيمن يدخلون الجنة بغير حساب:

١ – عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : (عُرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننتُ أنهم أمتي، فقيل لي هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرتُ فإذا سواد عظيم، فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل: لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله)، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: (ما الذي تخوضون فيه؟) فأخبروه فقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكّلون) ، فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال: ادع الله لي أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم) ، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (سبقك بها عكاشة) متفق عليه واللفظ للبخاري

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ. آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ".

شك الراوي هل هم سبعون أم سبعمائة.

٣- وفي (مسند أحمد) بإسناد صحيح عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عز وجل، فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً))

٤- جاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجة من حديث أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ" نسأل الله سبحانه أن يجعلنا منهم .

فإذا حسبت سبعين ألفا مع كلّ ألف من السبعين ألفا فكم يكون العدد الإجمالي لمن يدخل الجنّة دون حساب ؟؟ وكم عدد كلّ حثية من حثيات الرّب العظيم الكريم الرؤوف الرحيم؟؟

وإذا كان مع كل واحد فقط من السبعين ألفا سبعون ألفا آخرين باستزادة النبي صلى الله عليه وسلم لربه فكم يكون العدد؟؟

هذا معناه أن الأعداد المعلومة مع الحثيات غير المعلومة تعطينا عددًا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله أن يجعلنا في تلك الأعداد.

والله تعالى أعلى وأعلم.

- **النهي عن الدعاء على النفس والغير**

نهى نبينا صلى الله عليه وسلم عن الدعاء على النفس والأولاد والمال في قوله عليه الصلاة والسلام: (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ). والدعاء على الولد مستجاب فلماذا لا يكون الدعاء له بالهداية والتوفيق بدلاً من الدعاء عليه؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ).

ودعاء الزوج على زوجته هو دعاء على نفسه. وكذلك دعاء الزوجة على زوجها هو دعاء على نفسها. لأن كلاً منهما يتضرّر بضرر الآخر ويتأذّى به.

والزوج والزوجة كأنهما نفس واحدة، يقول تعالى: (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً)، فكلاهما بمثابة النفس الواحدة وفي سفينة واحدة، فلماذا يستنصر أحدهما الله على الآخر؟ لماذا لا يدعو له بالهداية والرشد والبصيرة والاهتداء للحق، فإنه إن استجيبت دعوته هذه لن يرى مكروهاً من صاحبه. وكذلك لن يرى فيه مكروهاً.



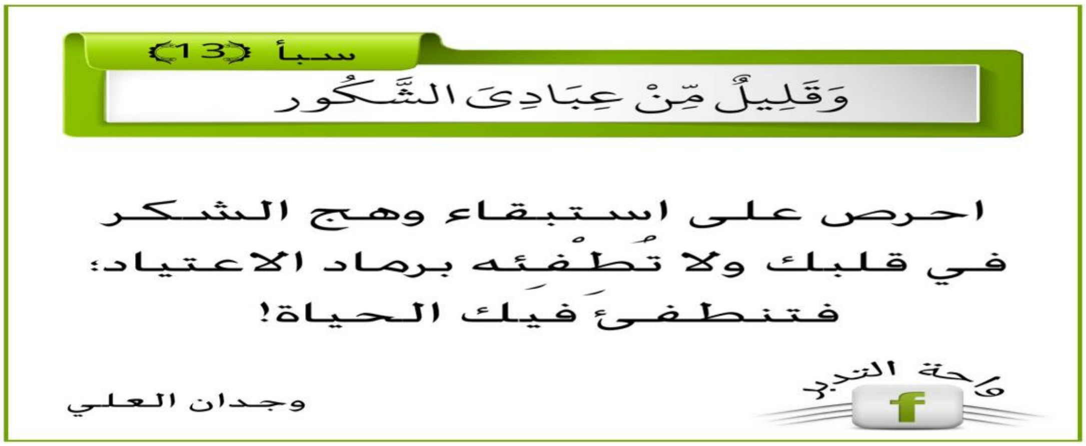
كم من دعوات استمطرت الرحمات على بيوت فكانت مصابيح النور، وكم من دعوات أصابت فقتلت، أو أمرضت، أو أهلكت، أو شردت.

اللهم اهدنا واهد أزواجنا وأولادنا وارزقهم الرشاد والبصيرة للحق، والتحلي بأحسن الأخلاق، اللهم احفظ بيوتنا وأصلح أمورنا كلها يا كريم.

- **إيلاف النعم**

الجائع يرى الطعامَ نعمةً عظيمةً، والخائف يرى الأمان نعمة جليلة، والمريض يرى الصحة نعمة كبيرة.. وهكذا كل محروم.

وأصحاب النعم الذين عايشوها دهرًا لا يشعرون بأنهم في نعم، يمسون، ويصبحون، ويتقلبون في خيرات الله، ولا يحسون، فما السبب؟



السبب هو إيلاف النّعم، حيث يتعود الناسُ النَّعمَ فلا يستشعرون أهميتها في [illegible] الإيلاف في ذاته نعمة عظيمة تستوجب وحدها الشكر، والعبادة، والإقبال على الله تعالى. لذلك مَنَّ الله تعالى على أهل قريش بإيلاف النعم، وطالبهم بموجب هذا الإيلاف لنعم الله عليهم أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا معه غيره، طالبهم بحق هذه النعم، واعتيادهم لها في غير مشقة، ولا عناء، ولا خوف، ولا مذلة، أن يمتثلوا لله تعالى بطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر. لكن قريش – إلا من رحم الله – قابلت نعمة الإيلاف بالكفر، والجحود، وعبادة غير الله تعالى، وكثير من الناس اليوم يفعلون ذلك. فما المخرج من هذا؟



ينبغي على المسلم – من وقت لآخر أن يسأل نفسه: ماذا لو كنت فقيرًا أو بلا عمل؟ أو مريضًا أو بلا بصر؟ أو مشردًا أوبلا سكن؟ أو كسيحًا أو بلا سمع؟ ويتخيل حياته كيف كانت ستسير، وتمضي مع هذه الأحوال، وكيف ستمضي لو أنه تحول إليها حال قبض الله تعالى منه النعمة بعد البسط. وأول شخص يحدثه بنعم الله؛ هو ذاته ونفسه، ويساعده على ذلك من يقابلهم من المحرومين، فيتمثل بأحوالهم، ويعلم أنّ الذي أعطاه وحرمهم؛ قادر أن يحرمه ويعطيهم، وأنّ ما فيه من النعم ليس عن مكرمة أو استحقاق، بل هو الاختبار، والابتلاء من الله، يختبر بالبسط، كما يختبر بالقبض.



وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على خطورة الغفلة عن نعم الله تعالى، وأنها قابلة للزوال، وعلى المسلم أن يستشعر نعم الله عليه ويعايشها بالشكر، والاستفادة، لا بالتضييع والاستهانة.



والتجربة الحياتية المشاهدة تقر ذلك وتؤكده، فكم من صحيحٍ قوي؛ صار مريضًا ضعيفًا، وكم من ذي جاهٍ غنيٍ أصبح مديونًا مفلسًا، وكم من آمنٍ مطمئنٍ؛ تحول إلى الخوف والسجن، وكم من ساكنٍ مستقرٍ؛ صار طريدًا مشردًا، وكم من صاحب نسبٍ وحسبٍ؛ أصبح غريبًا مستضعفًا.



- **طرد الوسواس بإسعاد الناس**

كلنا في هذه الدنيا ننشد منها شيئًا واحدًا من خلال الكد، والسعي، والحرص، إنها السعادة، تلكم العروس الغالية التي يطلبها معظمنا بالمال، أو بالعيال، أو بالصحة، والسلطان، أو بالحسب والجاه، أو بالحرب، والقتال.



وهب أنّ الله سخر لك كل ذلك، لكن سلب منك راحة البال، وتسلطت عليك الوساوس، والأفكار السلبية، والأوهام الذهنية، فهل يطيب لك عيش، أو تحلو لك حياة، أو تنعم بنعمة؟



ومن مصادر هذه الوساوس: الذنوب، الشيطان، البخل، الفراغ...الخ

ولذا كان من أحد أهم العلاجات للقلق، والأرق، والتفكير الزائد، واختناق النفس وضيق الروح، هو الخروج من البخل إلى الإحسان، ومن القتور إلى الإنفاق.

لأنك عندما تجود بالسعادة على الخلق، فإنك تستمطر السعادة من الخالق، نعم، لن يحرمك الله من السعادة، وأنت تبذلها للناس، والجزاء من جنس العمل.



وهذا الاحسان يكون بالكلمة الطيبة:(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة 83، ويكون بالفعل كذلك:(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) البقرة 195.

وقال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)} [البقرة: 177]



ويُفهم من ذلك أن الحياة ليست علاقة مع الخالق فقط بالصلاة والصوم والحج، ولكن هي علاقة مع المخلوق أيضا بالزكاة، والصدقة، والإحسان، وكفالة اليتامى، وبر الوالدين، وصلة الأرحام؛ فإن قمت بجانب دون توازن مع الجانب الآخر؛ حدث خلل في العلاقة، ومن ثم حدث خلل في توازنك الداخلي،

من فكر، وخواطر، وهواجس، وضيق أفق، وفساد ترتيب، وروح وجسد، فتشعر الروح بالاختناق لعدم توفر بيئة إيمانية متوازنة للعيش والتجوال الرحب.



وفي السنة النبوية الشريفة:



لا شك سيأتيك الشيطان ليخوفك الفقر، ويجدد فيك البخل، والشح، لكن إنْ وعدك الشيطان الفقر؛ فإن الله يعدك المغفرة والفضل والخلف المضاعف.

يقول الحق سبحانه: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268].

صعب أن تعيش السعادة الحقيقية وأنت تبخل بها على غيرك مع قدرتك على منحها لهم، فإن بذلت لهم ما يسعدهم، أخلف الله عليك ما أنفقت، وأورثك راحة البال، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس.



وقال أحد السلف: إن الله عودني الرزق فعودت عباده الصدقة، فأخاف أن أقطع عادتي عن عباده فيقطع الله عادته عني.

قال ابن زنجي:

لا تَحْقِرَنَّ مِن الإحسانِ محقرةً   أحْسِنْ، فعاقبةُ الإحسانِ حُسناه.

- **إشعار الإنسان السلبي بعكس مفهومه عن نفسه**

نتعامل في حياتنا مع شخصيات غير سوية، نتوجس منها ومن شرها، وننظر إليها كأنها تلك السباع الضارية في غابة بلا قانون، وتضطرنا الظروف أحيانًا أن نتعامل، أو نتزامل، أو نتجاور، أو نتبايع مع نماذج لهؤلاء، فيختار البعض الشدة، أو القسوة، أو عدم الاحترام، أو السخرية، أو الاعتزال، والانطواء، أو الخوف، والرهبة، أو المصانعة، والمجاراة، والاحتواء، بالنفاق والكذب. في رأيي أن أحد أهم الحلول في التعامل مع هؤلاء أن تشعر أحدهم أنك تراه إنسانًا، ومحترمًا، وتُشعره أنك ستتعامل معه من هذا المنظور، وتجعله يرى

نفسه في مرآتك أنت شخصًا له قيمة، وجدير بأن يسمع منك كلمات تشجعه على مزيد من الذوق، واللين، والأدب، والكرم. لا تجعله يشعر أنك تنافقه، بل يشعر أنك بالفعل لا تراه إلا محترمًا وكريمًا وخلوقًا، وحبه الفطري للتقدير سيجعله يجتهد في الاحتفاظ بصورته الجيدة التي رآها في مرآتك، ثم لا تلتصق به طول الوقت؛ فيغلب طبعه تطبعه.

- **التوازن في التزامن**

والمقصود بذلك؛ التزامن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، بين السعي وبين الإيمان، سعي الجوارح وإيمان القلب؛ لذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل صاحب الناقة بقوله: اعقلها. أي أَحْكِم شدّ رُكْبَةَ الناقة مع ذراعها بحبلٍ متينٍ كيلا ينفك عقالها، وتهيم على وجهها، وهو ما يُعرف بالأخذ بالأسباب أن يدفع الضرر ويجلب الخير ببذل الأسباب المعينة على ذلك مع ما يقبله العقل السليم، والمنطق، والفطرة، وفي ذات الوقت، وبالتزامن مع الأخذ فلا تعارض بينهما البتّة، ولا يصح أحدهما دون الآخر مع الإيمان المطلق أنّ قدر الله نافذٌ في الوقت المحتوم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز:".

ورغم توكل موسى عليه السلام على ربه وقوله لقومه لما طاردهم فرعون وجنوده:(كلا إن معي ربي سيهدين)، إلا أن الله تعالى أمره بالأسباب:(فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق). فما عساها العصا أن تفعل مع بحر واسع؟!، ورغم ضعف مريم عليها السلام وهي تعاني آلام المخاض إلا أن الله تعالى أمرها بالأسباب، فقال لها:(وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيًا). فما عساها أن تفعل يد امرأة ضعيفة تتألم وتتوجع مع جذع نخلة؟!، ورغم توكل الرسول صلى الله عليه وسل على ربه في هجرته إلى المدينة إلا أنه أخذ بالأسباب، فوضع خطة، وجهز ناقتين ودليلا للطريق، وتخفى عن العيون وغير ذلك.



ومسألة الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى تفيدنا في مسألتين:

الأولى – سد العجز: بمعنى أنه لو لم تكن أسبابه التي أخذ بها كافية، أكمل الله له نقص الأسباب بتوكله عليه . بينما يوكله الله لنفسه ولأسبابه إذا كان متوكلا عليها.

وأسباب النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة لم تكن كافية للنجاة، فلحق به الكفار عند الغار، ولحق به سراقة بن مالك بفرسه، لكن الله تعالى سد لنبيه العجز في أسبابه بتعميتهم عنه عند الغار، وتخلف فرس سراقة عن اللحاق به صلى الله عليه وسلم.

الثانية – الحتمية: بمعنى أن الأخذ بالأسباب لا يستلزم النتيجة المرجوة، لأن المتوكل الحقيقي يعلم أن النتائج بيد الله تعالى، وأن الله تعالى قد يرزقه بالأسباب مع التوكل نتائج أعظم بكثير من تلك التي خطط لها، وقد يمنعه النتائج لعلمه سبحانه بأنها مضرة به، وقد يؤخرها عن الوقت المخطط له لحكمة عظيمة لا يعلمها إلا هو، وقد يكون التأخير من الله لرجاء عبده سببًا في عظم النتائج بعد ذلك، وفي هذا السياق يفهم تأخير خروج يوسف عليه السلام من السجن، رغم وصيته لصاحبه أن يذكره عند الملك، فكانت النتيجة عظيمة إذ أصبح يوسف ملكا على مصر.

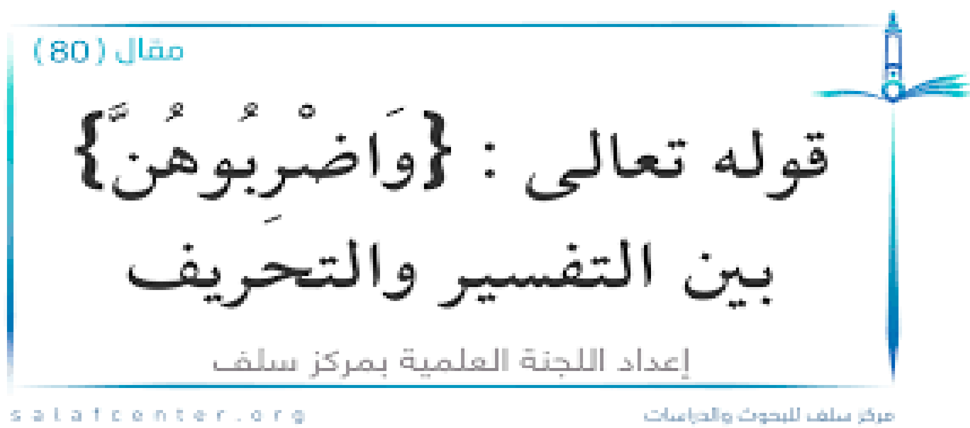
وكذلك فإن الرقية والأذكار والصلوات والصدقات تحفظ من العين، لكنها لا تلغي الحذر من العائن، وضرورة تجنبه إذا كان معروفا معينًا، والتوكل الحقيقي على الله — هنا – يمنع من الوسوسة تجاه كل الناس حتى تصبح وسوسة قهرية مرضية ملازمة لصاحبها في كل زمان ومكان.

والخلافة في الأرض لا يقوم بها مؤمن إلا بالسير في طريقين متوازيين:

طريق التوكل اليقيني على الله عز وجل.

وطريق العمل والسعي والعطاء والحذر.

- **(واضربوهن)**



صارحني صديقي بأنه معجب غاية الإعجاب، ومقتنع غاية الاقتناع، بالمعني الجديد الذي توصل إليه أحد المفسرين العصرانيين، من ركاب القنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي، للكلمة القرآنية في صورة النساء: (واضربوهن). وأعقب ذلك برسالة منقولة عن المفسر الجهبذ، يتحدث فيها عن المعاني الرائعة، المسالمة، المستنبطة من جذور اللغة المهيبة. وهذا نص الرسالة مشفوعًا بالرد عليها.

الرسالة:

ما هو المقصود بكلمة: "واضربوهن" في القرآن الكريم؟!

لا يمكن أن يُتصوَّر أن الله يأمر بضرب شريكة الحياة بمعنى الجلد، وكنتُ على يقين أن ضرب النساء المذكور في القرآن لا يمكن أن يعني الضرب بالمعنى العامّي، لأنّ دينًا بهذه الرِّفعة، والرُّقي، والعظمة، والذي لا يسمح بإيذاء قطة، لا يمكن أن يسمح بضرب وإيذاء وإهانة الأم والأخت والزوجة والابنة.

ماذا تقول الآية؟!

قال الله تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} النساء٣٤.

"من خلال المعرفة البسيطة في اللغة العربية، وتطوّرها، وتفسيرها فإن العقوبة للمرأة الناشز؛ أي المخالفة نراه في هذه الآية عقوبة تصاعدية: بالوعظ والكلام الحسن والنصح والإرشاد".

فإن لم يستجبن فبالهجر في المضاجع داخل غرفة النوم، وفي أسرّة النوم، وهي طريقة العلاج الثانية، ولها دلالتها النفسية، والتربوية على المرأة.

أما (واضربوهن) فهي ليست بالمدلول المادي للضرب باليد، أو العصا؛ لأن الضرب هنا هو المباعدة، أو الابتعاد خارج بيت الزوجية.

ولما كانت معاني ألفاظ القرآن تُستخلص من القرآن نفسه، فقد تتبعنا معاني كلمة (ضرب) في المصحف، وفي صحيح لغة العرب، نجد أنها تعني في غالبها المفارقة، والمباعدة، والانفصال، والتجاهل، خلافًا للمعنى المتداول الآن لكلمة (ضرب).

فمثلا الضرب باستعمال العصا يستخدم له لفظ (جلد)، والضرب على الوجه يستخدم له لفظ (لطم)، والضرب على القفا (صفع) والضرب بقبضة اليد (وكز)، والضرب بالقدم (ركل).

وفي المعاجم، وكتب اللغة، والنحو لو تابعنا كلمة (ضرب) سنرى معانٍ مختلفة ومتعددة.

مثلاً في قول:

(ضرب الدهر بين القوم) أي فرّق وباعد بينهم.

و(ضرب عليه الحصار) أي عزله عن محيطه.

و(ضرب عنقه) أي فصلها عن جسده.

فالضرب إذن يفيد المباعدة، والانفصال والتجاهل.

وهنالك آيات كثيرة في القرآن تتابع نفس المعنى للضرب؛ أي المباعدة:

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى} طه ٧٧. أي افرق لهم بين الماء طريقًا.

وقال تعلى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} الشعراء ٦٣. أي باعد بين جانبي الماء.

وقال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ} البقرة٢٧٣.

أي مباعدة وسفر وهجرة إلى أرض الله الواسعة.

{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ} المزمل٢٠.

أي يسافرون ويبتعدون عن ديارهم طلبًا للرزق.

{فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} الحديد ١٣.

أي فصل بينهم بسور.

ويُقال في الأمثال (ضرب به عُرض الحائط) أي أهمله وأعرض عنه.

وذلك المعنى الأخير هو المقصود في الآية.

أما الآية التي تحض على ضرب الزوجة {فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}

فالآية تحض على الوعظ، ثم الهجر في المضجع، والاعتزال في الفراش، أي لا يجمع بين الزوجين فراش واحد، وإن لم يُجْدِ ذلك ولم ينفع؛ فبالضرب بمعنى المباعدة والهجران والتجاهل، وهو أمر يأخذ به العقلاء من المسلمين، وأعتقد أنه سلاح للزوج، والزوجة معًا في تقويم النفس، والأسرة، والتخلص من بعض العادات الضارة، التي تهدد كيان الأسرة التي هي الأساس المتين لبناء المجتمع الإسلامي والإنساني.

ولدينا كلمات نمارسها أيضا ك: أضرب عن الطعام أي امتنع عنه وتركه.

والإضرابات في الجامعات: أي ترك الدراسة.

ونحو ذلك.

الرد:

قال الله تعالى: ﴿وَخُذ بِيَدِكَ ضِغثًا فَاضرِب بِهِ وَلا تَحنَث إِنّا وَجَدناهُ صابِرًا نِعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوّابٌ﴾ [ص: ٤٤]

لماذا لم يفسر الضرب في هذه الآية؟!

وقال تعالى: ﴿فَإِذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَروا فَضَربَ الرِّقابِ حَتّى إِذا أَثخَنتُموهُم فَشُدُّوا الوَثاقَ فَإِمّا مَنًّا بَعدُ وَإِمّا فِداءً حَتّى تَضَعَ الحَربُ أَوزارَها ذلِكَ وَلَو يَشاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنهُم وَلكِن لِيَبلُوَ بَعضَكُم بِبَعضٍ وَالَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعمالَهُم﴾ [محمد: ٤]

ولماذا لم يفسر الضرب في هذه الآية؟!

وقال تعالى: ﴿إِذ يوحي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنّي مَعَكُم فَثَبِّتُوا الَّذينَ آمَنوا سَأُلقي في قُلوبِ الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعبَ فَاضرِبوا فَوقَ الأَعناقِ وَاضرِبوا مِنهُم كُلَّ بَنانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]

ولماذا لم يفسر الضرب في هذه الآية؟!

- **الإنصاف من النفس**



يظن كل انسان أنه قامة عالية في العدل، والأخلاق، ولا تعتمل في نفسه، أو فكره مثل تلك الأسئلة: هل أنا ظالم؟ حاسد؟ حاقد؟ غير منصف؟ ...الخ. ومع انطباع الانسان عن نفسه أنه خلوق، ومتدين، وودود، ومحب للخير، ويريد السعادة للآخرين، يقع في اختبار مفاجئ لم يكن في حسبانه، إذ يحتاج إليه، مضطرًا، من كان له معه موقف، أو خصومه، أو اختلاف، وحينئذ يوضع الإنسان على المحك، هل يستدعي الوازع الديني؟ والحس الأخلاقي؟ ومفاهيم الواجب؟ وما ينبغي؟ والانصاف من النفس، وغيرها من المفاهيم الحاكمة للسلوك السوي حتى في لحظات الغضب والانفعال؟ أم سرعان ما تخبو هذه المفاهيم، ويتلاشى وهجها، وتتدحرج إلى قاع التفكير، وتطفو إلى السطح أفكار من هذا النوع: جاءتني الفرصة للانتقام، الآن يعرف من أنا، الآن يعرف قيمته، سأجعله يندم، لا ينبغي أن أفوت هذه الفرصة، سأكسر أنفه، سوف أذله، الآن والآن...الخ.

مهلاً، رويدًا، هل نسيت انطباعاتك عن نفسك بالتدين والحلم والعدل؟ أين هي الآن؟ هل نسيت أنك ذاك الإنسان الوديع، الخلوق، المحب للآخرين؟ إنه الاختبار، نعم، اختبار لك أمام نفسك؟ ليس العدل الحقيقي مع من تحب، بل مع من تكره. من تحبه لا يحتاج انصافك، الذي يحتاج لذلك من كان بينه وبينك

خلاف، أو اختلاف، لأن نفسك تستعديك عليه، فهل تطيع نفسك فيه، أم تطيع ربك فيه، اقرأ أمر ربك لك: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

- **الغرور بالعلم أو بالمال، وبالقوة أو بالجمال**

يعيب الفقير على الغني غروره بالمال، ويعيب العامة على أهل العلم غرورهم بالعلم، ويمشي القوي يود لو يخرق الأرض مستخفًا بالضعيف، والجميل يتَهدى مغرورًا بجماله، يتلفت كالسكارى، بحثا عن عين، أو نظرة ترضي غروره، ليواصل السير مختالًا، وربما جلس العالم ليصنف متخيلًا كيف سيتناول الناس ذكره، وربما يخطط الغني ويُقدر كيف يفاخر الأقران والخلان، لكن الأيام دول، إذ يفقد المال معناه في المرض، ويفقد الجمال معناه في الشيب والكبر، وتفقد القوة معناها لو ثمة حادث او مصاب، ويفقد العلم معناه لو ثمَّ ابتلاء مُمَحِّص، واختبار مُمَيِّز، وقليل من يؤدي شكر العلم بالتواضع، وشكر المال بالصدقة، وشكر الجمال بالحياء، وشكر القوة بالعون والإنصاف.



دخل الحسن البصري رحمه الله تعالى على رجل في مرض مات فيه، فقال الرجل للحسن: ما تقول في مائة ألف دينار، في هذه الزاوية، وأشار بيده لناحية في الغرفة، لم أصل منها رحمًا، ولم أطعم منها مسكينًا، ولم أكفل منها يتيمًا؟!!

فقال الحسن: فلمَ جمعتها إذن؟

قال: لمكاثرة القبيلة ومفاخرة الأقران.

وإذ بي أتذكر قول ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الرجل ليكون من خراسان يطوف بالبيت الحرام، يرائي بذلك أهل خراسان. ثم أتساءل: كيف يرائي أهل خراسان وهو الآن في مكة، أين مكة وأين خراسان؟!!، لكنه حب التميز في الطبيعة البشرية غير المروضة بالإخلاص، والحريصة على ثناء الناس، فتفسد النوايا بذلك، فيفسد العمل. فعلم بلا إخلاص، هو في حقيقته إفلاس، ومال بلا عطاء، هو في حقيقته جحود وجفاء، وقوة بلا عقل، كسفينة بلا ربان، وجمال بلا حياء، كزهور صناعية، بلا رائحة زكية، والأصل في كل ما سلف هو النية، فالنية إذا فسدت أثمرت الغرور، والكبر، والعجب، وملاحظة النفس، وإذا ما صلحت أثمرت التواضع، والعلم، والمعرفة، والإخلاص.

وإن مما يساعد المرء على اختبار نفسه في النّعم، هل هو من الشاكرين المتواضعين، أم من المغرورين المتكبرين، أن ينظر في نعمة جديدة يمن الله تعالى بها عليه، من علم أو مال أو جاه...الخ، فإن أحب أن يطير خبرُ ذلك بين أقرانه وجيرانه، وزملائه وخلانه، ليكون مميزًا، ومختلفًا، وسابقًا، فليعلم أن في نيته فساد، وقد أثمرت نيته الفاسدة غرورًا وهوجًا وعجلًة وخفًة وطيشًا. وإن أحب أن يُخفي ذلك، ولا يلاحظ نفسه، ويتوجس من ادخال الحزن على أقرانه بسبقه إياهم، أو بكونه تخطاهم، أو كونهم قليلي الحظ من ذلك، فليعلم أن في نيته صلاح، ونيته الصالحة أورثته رعاية الخواطر، وجبر القلوب، وتلطفًا بالنفوس، وتقديم حب الناس على حب التقدير للذات، وفي ذلك إيثار منه لمشاعر الآخرين، وتأخير لحظوظ نفسه، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فالنفس عجولة إلى حظوظها ولو بأقل القليل، ومنهم من يلهث وراء حظوظ نفسه بقول ما لم يفعل، وذكر مالم يحدث.



فالله الله في الأقران، بالتواضع لهم والإحسان، وإدخال السرور عليهم والحبور، واحذر ثم فاحذر، أن يكون حظهم منك إرضاء الغرور.

- **هوان أهل العلم في قلوب العامة**

كان للعلم شأن وهيبة ومكانة في قلوب العامة لما رأوا من زهد العلماء في الدنيا، وتكاثر طلابهم ومحبيهم، وكيف أنهم مع ضيق ذات اليد كانوا أسعد الناس بالًا وأصلحهم أحوالًا، وأشرقهم وجوهًا، وأقربهم شفاعة، وأصدرهم مجلسًا.



لكن الحال قد تبدل، والأمر قد تغير، إذا مال بكثير من أهل العلم ركب الطمع، وتزلف الأغنياء، ووقوفهم بأبواب أرباب الأموال، واحتماءهم بذوي القوة والسلطان، حتى صار لأحدهم ما لا يرجوه كثير من ولاة الأمصار، من الحرس والجرس، والحشم والخدم، وما نتج عن ذلك من تغير الأقوال، واختلاف الأحوال؛ فانطبع في قلوب العامة أن العبرة لا بالعلم بل بالمال، وأن العلم خادم والمال مخدوم، العلم طالب والمال مطلوب؛ فيا حسرةً على العباد، كيف أضاعوا هَيبة العلم بعرض زائل، وتخلوه في حماه عن ثغر باهر، وأحدثوا في حصونه ثقبًا غائرًا، فليت شعري!! من ألوم، ومن أعاتب؟!



- **حوار لا مواجهة**

عند دخول اثنين في حوار، ولو لمعالجة مشكلة قائمة بينهما؛ يتفنن الشيطان في الانحراف بقواعد الحوار إلى قواعد المواجهة، وإشعار كل طرف بضرورة إحراز انتصارٍ مناسبٍ ومُرضي، ويتسبب هذا في حالة انغلاق عقلي وذهني بينهما، ويخرج الكلامُ على خلاف أدني بديهيات المنطق، حتى لو أنه قُدِّر لمشاهد أن يلاحظ بتأني لحكم على كليهما بإرهاصات جنونٍ، أو ما يقرب.

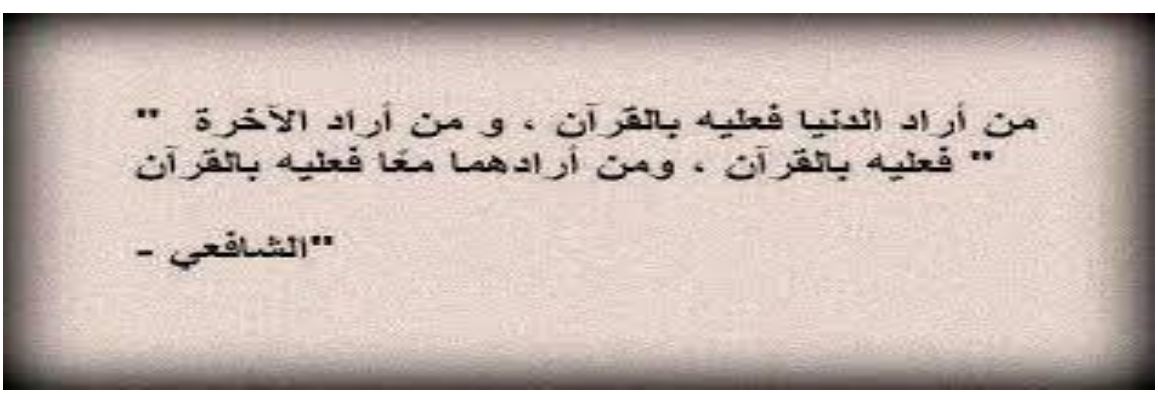
سيكون عظيما أن ينتبه أحدهما قبل فوات الأوان إلى مثل هذه الغيبوبة الفكرية، ويخرج خارج دائرة المواجهة، والانغلاق، والحماس الزائد، لكن الأعظم من هذا أن يأخذ بعقل الآخر للخروج معه من هذه الدائرة، ولو بالتوقف عن الحوار لدقيقة واحدة، مع ترطيب الأجواء بكلمات طيبة، رقيقة، مثل: أنا أحترمك جدا،

أنت لك عندي مكانة، أقدرك وأعزك، أنت عزيز وغالي، هذا موقف طارئ لا ينبغي أن يغير الأصل الذي في قلوبنا، والأصل هو المحبة، والتقدير، والاحترام، هذا حوار للنقاش، والمعالجة، وليس للمواجهة والاتهام...الخ.

غالبا سيعود الطرفان من المواجهة إلى الحوار الهادئ البناء المثمر، وسينصرفان كما كانا من قبل، مع شعور الشيطان بحسرة شديدة، أما أن نجعل الشيطان حجة لسوء أخلاقنا، فالإنسان مطالب بأن لا يستسلم، أو يتغافل عن الشيطان، وأن يفطن لعمله ومداخله، لأنه سيقيم الحجة على أتباعه بذلك، (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) سورة ابراهيم. والكلام هنا عن أصحاب النفوس السليمة، لا التي أسلمت ناصيتها للشيطان، وزكَّتْ فيه القدرة على القيادة.

- **بناء الأسرة وبناء الحجارة**

كثير من الناس يهتمون ببناء البيوت الشاهقة التي تشرفهم وترفع أسهمهم في سوق التفاخر، والخيلاء، والغرور على الخلق، وكبت الأقران، ومسابقة الخلان، لكن لا يهتمون بنفس النشاط والقوة والرغبة في بناء دين أو أخلاق أو أسرة، فلا يُعلِّم أبناءه القرآن، ولا يهتم بحفظهم له، ولا يربيهم على معاني الطاعة والبر، ولا الحشمة والستر، فيرى لنفسه عند الكبر بيتًا جميلًا، كان ذات يوم يطوف حوله سعيدًا، مسرورًا، محتفيًا، لكنه يرى الآن أسرة مفككة، أو متهافتة، أو غافلة، أخذوا من الدنيا القلب والنواة، ولا حظ لهم من الدين، والأخلاق، والمروءة، إلا القشور والبثور. استمتعوا بكده، وسعيه، وعناءه وشقاءه، بينما شقي هو بقلة دينهم، وضعف أخلاقهم، وسوء فزعتهم وتأخر نجدتهم، وشقهم عصا الطاعة، والبر على والديهم.



ليت الناس يفهمون أن الدنيا لا تأتي بالدين، ولكن الدين يأتي بالدنيا، تصاحبها السعادة، وصلاح البال، وراحة القلب، وسلامة الروح.

15 – الأسرة المتحابة لا المتحاربة

فرق كبير بين أفراد أسرة يعرفون أن لهم رسالة سامية، ونبيلة، ولأجلها يعرفون معاني التضحية، وفن التنازل، والعمل المشترك، والتعاون الدؤوب؛ لإكمال هذه الرسالة يعرفون أنهم قد ارتبطوا، وانصهروا، واندمجوا، وانسجموا في كل واحد لا ينبغي له التجزؤ، أو التفكك، أو التشرذم، يعرفون أن الصراع الحقيقي ليس بينهم بل مع الوقت، والجهد، والإنجاز، يعرفون أن طريقهم جميعًا هو طريق المسافر الذي ينبغي أن لا يتلكأ، أو يلتفت، أو يرجع القهقري، أو يعول على الراحة، والنوم، أو يركن للمترفين، والكسالى، أو تعطله خلافات الصغار، ومغامرات التافهين؛ إذ أنه يدرك أن الغاية باتت قريبة مع الإسراع، والجد، والاجتهاد، والاغتنام.



فرق كبير بين هؤلاء المتحابين داخل الأسرة الواحدة، وبين أولئك المتحاربين داخل الأسرة المشتتة عقليًا، وذهنيًا، ومزاجيًا، يصارعون فيما بينهم الأهواء والمكائد، والرغبات النرجسية في الانتصارات الوهمية، وارضاء الغرور؛ فهؤلاء على طرق المسافرين لا يصلون إلا في أذيال القوافل، ومؤخرة المواكب، إن استطاعوا للغاية وصولًا، وللهدف تحقيقا، ولم توارهم القبور المتناثرة على حواف الطرقات تنادي الفاشلين، والمقصرين، والكسالى، ومن امتلأت أنفسهم بالضغائن، وتضييع الأوقات في نزاعات لا تسمن، ولا تغني من جوع، قد ألفها لهم، وأبدع سيناريوهاتها، وأخرجها وجعل منهم الممثلين لها؛ شيطانهم الغرور، وأهواءهم المريضة،

ونفوسهم العليلة، إذ صنعوا من حياتهم الجميلة، ومواثيقهم الغليظة، وإهمالهم المرير، حلبة صراع، يُنحر فيها الأمان، والاطمئنان، والاستقرار، لأجل رسالة يحدُّها الزمان والمكان.



فهل نعي اللحظة الفارقة في حياتنا نحن الأسر المسلمة، وأنه لا وقت لتحكيم الهوى، وأن السفينة لا تسير الا بالجميع. وأخيرا...هل نعي بأن الفرصة القائمة قد لا تعوضها السنون؟!

- **إعترافات شاب خريج**

لا تتبلور الرغبة في الاعتراف إلا بعد تبلور الخطأ ووضوحه أمام صاحبه، ومن ثم يتبلور الندم الملِحُ الذي يؤرق صاحبه ويقض مضجعه؛ فلا يجد فكاكًا من هذا الأرق، وذلك الأنين إلا بالاعتراف مع النفس، والمصارحة مع الذات، ثم يتعدى ذلك إلى نقل التجربة إلى الآخرين لعدم الوقوع في نفس الأخطاء، ولا شك أن ذلك نبلٌ وشجاعةٌ ينبغي للمجتمع أن ينظر إليهما بعين التقدير، ويكون فيهما العزاء، والسلوى عن أخطاء صاحب التجربة.

يقول أحدهم: بعدما تخرجتُ من الجامعة عُرض عليّ العمل في إحدى شركات القطاع الخاص مقابل ثلاثة آلاف ريال، لكنني رفضتُ ورأيت ذلك غير ذي قيمة. وكانت النتيجة أنني مكثت عامًا كاملًا بلا عملٍ، ولا راتبٍ، ولا دخل، أتسول مصروفي من أبي، أو أمي، أو إخوتي، الذين يعملون، بالإضافة للمناخ النفسي السيىء الذي تسببتُ فيه لنفسي، ولأسرتي بجلوسي في البيت، وإحساسي بأنني غير ذي قيمة كلما حضرتُ مجلسًا أو حفلًا أو دعوة.

بعد عام؛ وصلتني دعوة للعمل في مجال الحراسة والأمن، يعنى عمل مريح مقابل 2000 ريال. وإذا بنفسي تحدثني: أنت رفضت 3000 ريال منذ عام لتوافق الآن على 2000 ريال، لا مستحيل. والنتيجة أنني عدت إلى ما كنت عليه من البطالة، والنفسية السيئة، وعدم الرغبة في الحياة. وبعد أن ضاقت على الأرض بما رحبت قررت أن أبحث عن عمل بنفسي وبأيّ راتب، لكن للأسف، هذه المرة رفضني العملُ، ورفضني أيُّ راتبٍ من أي جهة، وطال الأمر، وشق عليّ، وأحسست بالعقاب يُلازمني.

ذات يومٍ؛ جلس معي أحد زملاء الدراسة، وقد التقيته بعد غياب، وقد صار موظفًا حكوميًا، وله راتب وعلاوات، وقد تزوج وأنجب، فقصصت عليه ما كان من أمري؛ فقال أما أنا فبدأتُ حياتي العملية بعد التخرج ب 1200ريال في إحدى شركات الحراسة التي هيئت لي مجموعة من العلاقات الاجتماعية القوية، التي كان أحدها سببًا في عملي بإحدى شركات البترول، فاستطعت — بعد فترة وجيزة – أن أتزوج، وأشتري بيتًا، وكل تفكيري – حاليًا – كيف أعلم أولادي، وأربيهم تربية علمية، ودينية، وأخلاقية.



ثم يستكمل اعترافه قائلًا: إن الفارق بيني وبين زميلي هذا أنه صعد السلم درجة، درجة فوصل إلى هدفه. أما أنا فأردت أن أقفز السلم قفزة واحدة، فوقعت، وانكسرت أحلامي، وأهدافي، وأعيش الآن بين الناس عاجزًا: عن الأمل، عن الطموح، عن الرغبة في الحياة. ولا ألوم إلا نفسي.

- **القوامة الشرعية والقوامة النفسية**



في هذا المقال نتناول طغيان القوامة النفسية على القوامة الشرعية، وأسباب ذلك ومظاهره، وعلاجه:

أ – القوامة الشرعية

• القوامة الشرعية هي قوامة الرجال على النساء، والتي تأتي من مصدرين أساسيين؛ أحدهما النفقة؛ نفقة الرجال على النساء، ومتى ما شاركت النساء في النفقات والكسب والدخل؛ كان أدعى لاهتزاز قوامة الرجل، وتراجع قدرته على السيطرة، وتجرؤ المرأة على إبداء المخالفة رأيًا، وسلوكًا، ومنابذة الرجل رفع الصوت، ومبادلته الهجر بالهجر، وربما أشياء أخرى يعف القلم عن ذكرها. وعمل المرأة وكسبها وإنفاقها أمر يستغله الشيطان لتخريب حياة الأسرة، أو القضاء عليها، أو استسلام طرف وتنازله عن حقوقه المشروعة؛ كتنازل الرجل عن حقه في القوامة، أو تراجع قدرته على اتخاذ القرارات، أو تراجع إرادته في صراع الإرادات.

ب – القوامة النفسية

• ومع الوقت؛ تتولد قوامة جديدة داخل جنبات الأسرة، وهي القوامة النفسية، وهي هنا تكون للمرأة بقدر ما تبذل من النفقة وتحمل المسؤولية، بما يحصل معه تبادل في الأدوار، والمقامات، والمكانات؛ فتتغلب القوامة النفسية على القوامة الشرعية، ويتبعه تبادل في نوعية التفكير؛ فيصبح تفكير المرأة هجوميًا

اندفاعيًا مع أصغر خلاف، وربما نزغ الشيطان في كلامها فعيَّرت زوجها بالنفقة، أو أنها ليست بحاجة إليه، أو تصبح أكثر جرأة على طلب الانفصال، وذلك لعاطفية المرأة في الفرح والحزن والرضا والغضب، وهي أقل شعورًا من الرجل بخطورة العواقب والمآلات، وذلك على الغالب، لا مطلقا، وما قضايا الخلع وطلب الطلاق في المحاكم عن ذلك ببعيد، وكثير من الإحصائيات تؤكد أن أحد أهم الأسباب في ذلك تمتع المرأة بالعمل والمال الخاص.

ج – الرجل سبب في رزق المرأة

- والذي أدين به هو أن الله تعالى جعل الرجل سببًا في رزق المرأة، أبًا، زوجًا، أخًا، أوحاكمًا، فإن تركها تعمل بلا ضرورة، ولا حاجة، انتقلت السببية منه إليها، فصارت سببًا في رزق نفسها، وربما ضنت المرأة بمالها على زوجها بل وعلى نفسها وجعلت ذلك من واجبات الزوج، وهو كذلك في الظاهر؛ فخسر الرجل شرف السببية الذي شرفه الله تعالى به وجعله ركنا من أركان قوامته وتفضيله، وخسر راحته النفسية – غالبًا – مع امرأة عاملة لا تُقر في بيته، ولا تدع له ماله، وتَضنُّ عليه بمالها، أو أشركته في مالها وباء منها بالمنِّ والأذى...الخ، فالنساء يغلب عليهن العاطفةُ الشديدةُ التي قد تطغى عند كثير منهن على العقل والواقعية والمنطق؛ فإحداهن قد تُضحي بحياتها إذا أحبت، وقد تَقتل إذا كرهت، وقد تقلب بيتها رأسًا على عقب إذا خُولفتْ وتَمكنتْ، لذا لم يشرع الله تعالى للمرأة قوامةً، ولم يجعل بيدها عصمةً، ومن كانت منهنَّ بخلاف ذلك فهو تميزٌ عن عموم النساء. ولله في خلقه اصطفاءات في كل زمان ومكان؛ لذا من يفرح من الرجال بعمل النساء، وكسبهنَّ، وإنفاقهنَّ بلا ضرورة ولا حاجة؛ هو من النوع الساذج، الذي لا يدري عن مقاصد التشريع شيئًا، أو كان جاهلًا أو غافلًا أو متغافلًا، وهذه القوامة النفسية تكون لنفوس على نفوس، حتى في الحياة العادية، وبين الرجال وبعضهم، بقدر البذل، والنفقة، والعطاء، والكرم.

د – علاقة تكاملية لا تنافسية



• ومما يخل بالعلاقة بين الرجل والمرأة داخل البيت الواحد، الانحراف بتلك العلاقة من التكاملية المقصودة شرعًا ودينًا إلى النِدِّيَّةِ التنافسية المقصودة نفسيًا ومزاجيًا، فالرجل يحتاج لمن يدير له بيتَه، ويُربي له ولده، ويستقبله في عودته، ويهيئ له سبل الراحة، والسكن، والمودة، ويتزين له، ويتحبب ويتودد...الخ، وكلها مقصودات شرعية، والمرأة منوط بها أداء هذا الواجب شرعًا لا فضلًا، كذلك المرأة تحتاج من يعولها، وينفق عليها، ويحميها، ويُحقق لها الأمن في الغذاء، والدواء، والمسكن، والملبس، وتسكن إليه بروحها، ونفسها؛ آمنةً مطمئنةً، ودودة محبة، يُقبل عليها بروحه وقلبه، والرجل منوط به أداء هذا الواجب شرعًا لا فضلًا، وإذا قام كل بما يجب عليه، لن يقع العَوَزُ والاحتياج، لكن إن خرج كل منهما للعمل، أو قعد كل منهما في البيت؛ وقع العَوَزُ والاحتياج في جانب من الجوانب، ووقعت الندية، والتنافسية، والتصادمية في العلاقة، فإن قعد كلاهما في البيت حصل العوز والاحتياج في المال للنفقة، وإن خرج كل منهما للعمل حصل العوز، والاحتياج في السكينة، والمودة، والتربية، والراحة النفسية، وربما تدحرجت الأمور فأصبحت علاقة مهترئة، متوترة، وغير آمنة، تجتاحها نوبات الهجر، والعراك، والتخاصم، والخلاف، والغرور، والتكبر، والاستغناء المتبادل، لأنها ليست علاقة تكاملية، فلا المرأة ستتحمل الإنفاق، والحماية، والدفاع، ولا الرجل سيتحمل الحمل، والولادة، والرضاع، لكلٍ طبيعة مختلفة، يناط بها مسؤوليات مختلفة، وهذه المسؤوليات مقصودة دينًا وشرعًا، والرجل مهما تعبُ وكَدَّ؛ لن يمن بالنفقة، لكنه قد يمن بمساعدته لزوجته في أمور البيت، والمرأة لن تَمُنَّ بالحمل والولادة والرضاع، لكنها قد تمن بالنفقة إذا أنفقت، **وكل ما ليس بداخل في المسؤولية؛ قابل**

للمن به عند الخلاف، والأمر بالنسبة للطرفين سواء، والحل هو احترام مقاصد الشريعة، وأن لا يأخذ طرفُ ما كان داخلا في مهام الآخر.

ن – الضرورة بقدرها

- لكن يخرج من هذا الكلام ما كان داخلًا في الضرورة والاضطرار، كاضطرار المرأة للعمل، أو لفقر الرجل الشديد، ضيق ذات اليد، مرض، سجن، أو عاملة في تخصص نسائي مطلوب كطبيبة نساء، ومحفظة قران بمراكز الفتيات، ومعلمة في مدرسة بنات، ونحو ذلك، مالم يقع ضرر حقيقي على أسرتها؛ سواءً أكان ماديًا أو نفسيًا؛ لأن المسؤولية تخضع لفقه الأولويات، والأولوية هنا – غالبًا – لاستقرار الأسرة.

والمرأة تُكفل من المجتمع إن لم يكن لها زوج، ولا تُضطر للعمل إلا في حدود ضيقة، فمسؤولية الإنفاق، وكذلك الحماية، والأمن، وتحقيق الستر، تنتقل إلى أقرب الناس إليها، فإن حصل، وهذا نادر؛ أن ليس لها عائل، فعائلها إمام المسلمين، أو حاكم البلد أو الدولة، يجري لها نفقة من بيت مال المسلمين، أو وزارة المالية، أو الوقف، ولها أن تشكوه للقاضي إن امتنع، فالمرأة في الإسلام لها حق المال دون عمل، ومما يهدر حقها أن تطالب بالعمل للحصول على المال، فإن أصرت من جانبها على العمل دون حاجة فقد أضاعت حقها بيدها، فإن كانت راعية، ورعيتها ستتضرر بخروجها؛ فقد أضاعت حق رعيتها مع ضياع حقها؛ فلم يعد الأمر خاصا بها، ولا بحريتها، وإنه لجرم عظيم أن يضيع حق زوج في قوامة، أو سكينة، أو حسن تبعل، وتزين، وحق أولاد في حسن تربية، وأدب، وتعليم، وحق مجتمع يفقد الأم المربية التي تدعمه بالأجيال الفاعلة المتزنة دينًا، وأخلاقًا،

ولا يقلل من قوامة الرجل كونه فقيرًا، أو محتاجًا، أو أن زوجته غنية وتقرضه أو تتصدق على أولاده، لأن الرجل لم يتخل عن قوامته، ولم يمنحها أحدًا، بل هو في حكم المضطر، إنما يُقلل من قوامته أن يغنيه الله من فضله ثم يبذل قوامته بمال زوجته، ويطلب شراكتها في النفقة، وأن تتحمل ما ليست له بأهل، ولم يطلب منها بشرع.

و- مفهوم التعاون الحقيقي بين الزوجين

• ثم إن التعاون الذي ينشده البعض ويرونه بين الزوج وزوجته في النفقة، أمر يفهم على غير حقيقته عند كثير من العامة والخاصة؛ فالتعاون الحقيقي بينهما أن يكفيها حاجتها من الخارج، وتكفيه حاجته من الداخل؛ فيكون التعاون الحقيقي القائم على التكامل، لا التزاحم المفضي لدخول الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء بينهما، وهذا الذي أسلفناه هو الأقرب لروح الشريعة ونصوصها، قال الله تعالى: (وقرن في بيوتكن) الأحزاب، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها)، فجعل مسؤوليتها في الداخل - في بيت الزوجية - وستُسأل أمام الله عن حق زوج، وأولاد وبيت.



كذلك ذكر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن النساء عوان في بيوت الأزواج، بما يفيد بقاءها في البيت، وذكر صلى الله عليه وسلم أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطاعتها وتزينها له يعدل الجهاد في سبيل الله. والسؤال: كيف رضيت المرأة المعاصرة بالخروج للعمل بديلًا عن الجهاد، وثوابه، وعظيم فضله؟!

- **تقييم الخلافات الزوجية بحساب النسب المئوية**

يعاني الزوجان في بداية حياتهما معاناة ليست بالسهلة من أجل أن يتعرف كل منهما على طباع الآخر وما يحبه وما يكرهه، سيما لو كان كل منهما ينتمي لثقافة مختلفة وبيئة متباعدة ولكلٍ تقاليده الخاصة، وفكره المميز، ولم يحدث أن اختبر كل منهما الآخر في أخلاقه وطباعه وسلوكه وعقله، ومن هنا تنشأ

المشاكل وسوء التفاهم بين الطرفين، ومعظم ذلك بسبب التضارب بين الطباع، والتقاليد، والفكر، والثقافة، وقلما يمر وقت إلا وقد اختلفا حول شيء بعينه، فقد يمنع الزوج زوجته من مواقع التواصل، والنت، والخروج إلى الأسواق، أو التواصل مع أقاربها من غير المحارم، أو العمل واكتساب المال، او اكمال الدراسة، وقد يكون الزوج متشددًا أو عصبيًا، وقد يكون متقلب المزاج، وقد يكون على العكس مما سبق، متحررًا، قليل الغيرة، متساهلًا، باردًا، غير مسؤول...الخ.

وفي المقابل قد لا تجد الزوجة بأسًا في أن تطلب من زوجها المساعدة في أعمال البيت، أو الخروج بها كثيرًا للتنزه، أو الخروج بغير إذنه، أو أن تناطحه الكلام عند الغضب بدلًا من امتصاص غضبه، أو تفتح بيتها طوال الوقت لأقاربها، أو تستخدم الجوال في حرق الأموال بكثرة الاتصالات، أو تصر على عمل مواقع تواصل، أو تكون من النوع المتساهل، أو المندفع، وقد تكون الزوجة على عكس كل ما سبق، فتكون متشددة، سريعة الغضب، والغيرة، تحاسب على النقير، والفتيل، والقطمير، أو تتحسس من عمل زوجها في مكان ترداده النساء، وتُصر أن تصاحبهُ أو تتجسس عليه، أو تباغته بزيارات استكشافية، أو تكون صاحبة مزاج متقلب، أو عندها غرور، وكبر، وملاحظة قوية لنفسها، أو من النوع الذي يهوى الفراق كلما قل الاتفاق، دون مراعاة لاستقرار بيت أو أولاد...الخ، والأمثلة في ذلك كثيرة، وعوامل التأثير تتنوع بسبب التدين، والبيئة، والثقافة، والتربية، والعقل.

لذا كان من الأهمية بمكان أن يضع الزوجان مقياسًا لحياتهما، يسيران وفقه، ليكون بمثابة الرقيب الذاتي عليهما، إذ أن الأمور تزداد تعقيدًا إذ كانت الحياة بينهما متلاصقة لا يكاد ينفكان عن بعضهما، فإن التلاصق في الحياة الزوجية يثمر قلة المهابة، وقلة رعاية الخواطر، وهو من الاعتياد الذي يفقد الانسان – مع الوقت – الشعور بقيمة الأشياء، فلا يشعر الزوج بقيمة زوجته في حياته، ولا تشعر الزوجة بقيمة زوجها كذلك، وهو قانون مطرد يمكن أن نسميه (إيلاف النعم)، وهذا الإيلاف أحيانًا أو غالبًا يفقد الإنسان شكر النعمة، فلا يشكر أحدهما الآخر، ولا يسألان الله دوام المودة والرحمة، والسكينة، والمحبة بينهما.

لذا أقول: من المهم وضع مقياس يرجعون إليه في إدارة الخلافات الزوجيةً، والمقياس الذي أقترحه على كل زوجين حديثي عهد بزواج، أو حتى من الزيجات القديمة، أن يضعا تقييما مئويًا لحساب الخلافات بينهما، ويكون المتسبب في الخلاف هو الخاسر، ويكون المغلوط عليه هو الفائز، فيحصل على نسبة 10%، ويخصص لذلك كتابًا معينًا، وتخطط على هيئة جدول من خمس عناوين رئيسة: الزوج، النسبة المئوية، الزوجة، النسبة المئوية، ملاحظات. ويكتب في الملاحظات إن كان المتسبب في الخلاف قاصدًا أو لا؟ وهل السبب مكرر أو لأول مرة؟ وهل السبب ناتج عن سوء فهم؟ أو طبع؟ أو عادة؟ أو ثقافة؟ أو قلة تدين؟ وهل السبب قولي او فعلي؟ وهل هو في ظروف طبيعية؟ أو في إغلاق وشقاق؟ وهل كان اعتذار أو إصرار؟، وفي المقابل يوضع جدول خاص بالأعمال الطيبة المميزة، ويتبارى كل منهما في ذلك، فمن أحرز السبق، كان له الفوز بكثرة أعماله الحسنة، قولية او فعلية، ككلمة طيبة مميزة عبارة عن أبيات شعر، أو فعل عملي مميز عبارة عن هدية طيبة غير متوقعة، ومن ينجز فعلا من ذلك يحصل على نسبة 10%، ولا تدخل أفعال الحياة العادية في ذلك، ولا كل ما هو داخل في الواجبات، والمسؤوليات، بل المقصود ما هو داخل في الإحسان والذوق والأخلاق الرفيعة.



في رأيي إذا جعلنا خلافاتنا بمثابة مباراة تنافسية، يكون الفائز فيها الأقل حظًا من أسباب الخلاف والاختلاف، والخاسر فيها هو الأكثر حظًا من أسباب التنكيد والتعكير، سيتبارى الطرفان في هذا المضمار ليكون هو الفائز، باستمرارية المراقبة الذاتية على أقواله وأفعاله، سيما وأن معظم أسباب الخلاف بين

الزوجين هي أسباب قولية، لأن القول سهل، والشيطان أسهل له أن ينزغ في القول، فيحتاج الجميع لصناعة رقيب ذاتي يراقب لهم كلامهم وأقوالهم، ليتمكنوا دوما من قول الحسن والأحسن من الكلام. قال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾[الإسراء: ٥٣].

إن مثل هذه الطريقة في المحاسبة تترجم لنا معنى أن الوقاية خير من العلاج، وستكون بمثابة المعلم الذي يعلمنا بعدم تكرار الأخطاء، وستكون محفزة للنفوس التي تميل بجبلتها وطبيعتها للفوز في أي سباق سليم.

- **المُحبُّ المارق (مقامة أدبية)**

بلغني أيها الصاحب السعيد، أنه في بلد غير بعيد، اشتكت زوجةٌ زوجَها، أنه قد تأذى قلبُها، من شدةِ محبته لها، فحداها إلى القاضي حادي، وذكرتْ حبًا غير عادي؛ إذ بالغ في الحب الصادقْ، فكان في الحب كمارقْ، وسألَتْ القاضي خُلعًا سريعًا، ونالها الناسُ نَيلًا مُريعًا، وسألْتني صاحبي سؤالًا: كيف يسوءُ الحبُ حالًا؟! ويبوء بالخسران مآلًا؟! فأفتنا أيها الفيلسوف، أنَّى لأحدنا أن يَلوف، بحبيب في الهوى لا يَلوف؟! ويفر من هجر وخَوف؟! هل هذا من طبع النساء؟! أو ذلك رزقٌ في السماء؟!

الجواب:

فأجبتك صاحبي بما أعرف، ولا أحب أبدًا أن أهْرِف، فالحق واضح أبلج، والباطل زائف لجلج، والمرأة زهرة الحياة، كما أخبر عنها الإله، وهي الأم في القمة، والأخت والعمَّة، والجَدَّة الحنون، والخالة المصون، والزوجة الكريمة، والبنت الحليمة، حافظات بيوتنا، وأمينات أسرارنا، ومربيات أولادنا، وراعيات أموالنا، وينبغي معهن التوسط، بين الشدة والتبسط، ، والرجل دونهنَّ أحوج، وإن خُلقن من ضلع أعوج؛ والكلام هنا على الغالب، ولست للعيوب طالب، وإلا فمنهن

الأكثر تعقلًا، ويفُقْنَ الرجال تفضلًا، كآسيا وفرعون مصر، إذ ضحت بالمال والقصر، وزهدت في السلطة والحياة، وآثرت رضا الإله، لكن هذا وإن كان قدوة؛ خارج عن عموم النسوة، فالمرأة بطول الإحسان تغْترْ، وباليأس من الإحسان تَفِرْ، وباللين تطمع في القسوة، وهو حال أغلب النِّسْوة، وإن قسوت عليها طمعت في اللين، وذكَّرتك بالأيام والسنين، فإن يَئِسَتْ من إحسانك بغير برهان، طالبتك بالانفصال والهجران، وكفرت بالعشرة والذكريات، ونسيت الباقيات السالفات، ويكفرنَّ كلَ عشير، وهذا أمر خطير، إلا من رحم الكريم، وربي بالعباد رحيم.



ثم أجبتك صاحبي وفصَّلتْ، وفلسفتُ لك الأمور وقُلتْ:

فإن عدْتَ إلى سيرتك القديمة، وعاملتها معاملةً سليمة، عادت كبلبل كروان، يغني لك الألحان، وأنك الروحُ والحبيبْ، وضربُك كأكل الزبيبْ، تَهشُّ في وجهك وتَبشّ، وترتبُ لك العُشّ، بإخلاص ودون غش، من شدة العاطفة، والعواطف كاشفة، ولا يبقى هذا منها، حتى ينفك منها عنها، وكثير الناس على ذلك، إلا من جُبِلَ بغير ذلك. ولا تزال ترى منها العَجب العُجاب، ولا تزال في اعوجاج واغتراب، فكن مع امرأتك متوسطًا، لا شديدًا متسلطًا، ولا ضعيفًا متبسطًا، ولا تكن صلبًا فتكسر، ولا لينًا فتعصر، ولن يستقيم لك حالها، إلا بتأديبها ومداراتها، فلا تؤَمِّنها

عقابَك، ولا تُسلمها كتابك، فإن من أَمِنَ العقاب أساء، وبسوء المِطيَّة باء، كذا لا تُقنِّطُها رحمتك، ولا إحسانك ومودتك، وابتغ بين ذلك سبيلًا، ومن حياة الرسولِ دليلًا، فقد كان خيرَ الناس للنساء، وخيرهم عشرة وصفاء، لكنه خاصمهن شهرًا، وفارقهن هجرًا، وخيرهن في الاتفاق، أو التسريح والفراق، ومن كان يا صاحبي راحمًا؛ فليكن كذلك حازمًا، وليقسو أحيانًا على من يرحمْ، والحجة هنا على من يفهمْ، والعبرة بِبَيْنِ البَيْنْ، لا شديد العنف، ولا شديد الهَيْن.

فإن كان الوصل بالتلاصق، طريق الفصل والتراشق، وصعب عليك التجمل، والصبر والتحمل، فعليك بوعظ وهجر، ثم ضرب دون خُسر، فإن خفت من الشقاق، المؤدي إلى الفراق، فحكِّم أولي الألباب، كما ذُكر في الكتاب، يجعل الله مخرجا، لمن للصلاح رجا، واستخر كذلك في الوصال، واحذر تقطيع الحبال، فإن عادت إلى رشدها، ولان طبعها، فلا ترض بها بديلا، ولا عنها تحويلا، وغُض عليها النواجذ، ففيها الخير الناجز، ولا تفركها فرك المتربص، ولا تضايقها ضيق المتلصص، طالما رضيت منها دينها، وحياءها وعرفها، فالأخلاق منها المكتسب، ومنها الطباع العجب، واستخر في الابتعاد فصلًا، ليشتاق الفؤاد وصلًا. وإن زادت في عنادها، وغرورها وصلفها، ولم تنفعها المواعظ، ولا هدي كل واعظ، ولم تُمَحصها التجارب، من المشارق والمغارب، فلكل حادث حادثة، فاستخر في الثانية والثالثة.

واعذر أخي في الخلاصة، ما كان طبعا بالوراثة، حيث مشقة التعديل، لكل طبع أصيل، وتلطف وسدد وقارب، ولا تُضارَّ أو تحارب، والكيِّسُ من كان لزوجته عقلُها، في الأمور كلها، دقها وجُلها، يعالج العواصف، بملاطفة العواطف، والعاقلةُ من كانتْ قلبَ زوجِها، ومأوى حبيبها، تروضه بالحنان، وتشعره بالأمان، فهي الواحة الخضراء، والحديقة الغنَّاء، تسره بحسن الإقبال، وتُريح منه البال، وتُسعد فيه الخيال، فإن عجز كلٌ عن الزيادة، ولَّتْ عنهمُ السعادة، وربما كان فراقُ الحياة، ولا نجاة لهم إلا بالله.

- **أحلاهما مرّ**



في هذا المقال نناقش الاختيار بين أمور صعبة وكيف نراعي التوازن في الاختيارات:

- **الاختيار بحرية:**

قد يقف الإنسان على ضفاف الاختيار بين بديلين او أكثر، بلا صعوبة في الاختيار ولا عناء في الانتقاء، كالسفر لطلب الرزق، أو البقاء، والاستقرار مع الأهل، ومعه الستر، والكفاف، والعافية، فيختار الاستقرار، والقرب من الزوجة والولد، وأداء دور المربي الرقيب، والمعلم الرشيد، والواعظ الناصح، والزوج المحب، وحيث السكن والمودة والتراحم.

وقد يسهل عليه أن يضحي بالاستقرار من أجل مزيد من المال في قليل من الوقت، مع التضحية، والتحمل من الجميع، وكذلك التفاهم المشترك على وحدة الهدف، حيث الجميع يقطنون سفينةً واحدةً وإن شطت بهم الديار، وحال بينهم حُجْبٌ وأستار.

- **الاختيار بصعوبة:**

لكن المسألة تختلف لو كانت عملية الاختيار تتعرض للاختبار إزاء بدائل صعبة، واختيارات مرة، فهنا يتفاوت الناس في الإحساس بفوارق المرار، وعواقب الاختيار، وتوابع الأضرار.

فمنهم نوع يختار عشوائيًا، مستسلمًا للكآبة الناتجة عن النظر في اختيارات متشحة بالسواد في عينيه. ومنهم من يرفض الاختيار مطلقًا، ويترك الأمور تسير بقدرها، مستسلمًا في شيء من اليأس، دونما بذْلٍ لأدنى البأس. ومنهم من يقع اختياره على البديل الصعبُ، والمكلف، والمجهِد في عواقبه، وتوابعه؛ لأنه نظر مد

قدميه، ولم ينظر مد عينيه. ومنهم من يوكل الاختيار والتفكير لغيره، ويمتنع أن يقود زمام نفسه، فإما أن يوكل نفسه لصاحب رشد فينجو به، وإما أن يوكل نفسه لصاحب حماقة وسفه، فيُهلكه. ومنهم من يفند البدائل، ويصنف الاختيارات، ويُتبع كلٍ نفعه وضره، ويمعن المقارنة، والمداخلة، والمحاصصة، ويشتد نظره في عواقب كل بديل وعاقبته، ويُفرغ الجهد والوسع للوقوف على أدناها مفسدة، وأعلاها مصلحة، ويوازن بين طبيعتها المادية وطبيعتها المعنوية، ثم بعد ذلك كله يلجأ إلى ربه داعيًا، راجيا، مستجيرا، مستخيرا، ويلجأ للعقلاء من الناس متثبتًا مستنيرًا مستشيرًا، فإذا استقر في فكره أن ثمة بديل هو أحلى المرَّين، أو المرِّ جميعًا، اختاره راضيًا، قانعًا دون لوم من نفسه أو عتاب لذاته.

- **أمثلة على اختيارات صعبة وصائبة:**

*كأن يختار الإنسان التواصل مع صديقه عن بعد؛ بدلا من القرب الدائم الذي قد يؤدي الى الخصام. أو يفارق جاره مع بقاء الود؛ خير من جوار يجلب العداء والأذى. أو يضحي بدراسته او وظيفته ليلازم أمه المريضة او أباه المريض...الخ.

- **أمثلة على اختيارات صعبة وخاطئة:**

إن الذين لا يجيدون عملية الاختيار بين البدائل الصعبة قد يختارون بدائل مُهلكة، وفي أوقات فارقة:

*كمن يقتل أولاده خشية الفقر، رافضًا العمل في حرفة لا تناسب وجاهته الاجتماعية.

* أو كمن يختار طلاق زوجته وتفكيك أسرته؛ بدلًا من الابتعاد عنها ولو قليلًا.

* أو كمن يختار قتل شريكه في التجارة لخلافات بينهما بدلًا من إنهاء هذه الشراكة ولو بالخسارة، ولو بخسارة كل ماله، فهو أهون من خسارة المال كله مع التلبس بجريمة قتل.

* وكمن يستسهل السرقة، والاختلاس، وخيانة الأمانات، أو سؤال الناس أعطوه أو منعوه؛ بدلًا من العمل ولو في مهنة متواضعة لا تليق به.

* وكمن يبيع أرضه ووطنه وعرضه ببخس من عرض زائل او بلا ثمن وبلا مقابل، فقط ليرضي عدوه، ويضمن بقاء ذاته متسلطا على رقاب الأحرار، بدلا من الاحتماء في الله ثم في شعبه، مع سياسة شرعية لا يُخدع معها الحر، ولا يُلام عليها الشريف، تقوم على معرفة موازين القوى وحساب الاضرار والمكاسب، وسياسة المرحلية التناسبية، والإمكانات الظرفية.

* وكمن يقتل – حسدًا وحقدًا – بدلا من السعي في تطوير ذاته، وتطوير اهدافه.

- **الحكمة الإلهية والقدوة الحسنة:**

عندما وُضع الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية أمام بديلين أحلاهما مر، اختار – بأمر من ربه – الأدنى مفسدة والأعلى مصلحة؛ فاختار بين الأمرين (الرجوع او القتال)، فاختار الرجوع. وفي الوقت الذي فُهم فيه الأمر – من بعض الصحابة – أنه دنية واستسلام؛ كان أحلى المرَّين الذي اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم، "فتحا مبينا" من رب العالمين، فقال عنه المولى تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا).

واختار أبو بكر الصديق رضي الله عنه بين اختيارات صعبة في حرب الردة: بين ترك تحصيل الزكاة وهي ركن من أركان الدين، وبين قتال أهل الردة مع خلو المدينة من عدد كبير من الصحابة الذين أُنفذوا مع جيش أسامة بن زيد لقتال الروم؛ فاختار قتال أهل الردة، وكان اختياره صائبًا، رغم مخالفة بعض الصحابة له.

- **مراعاة التوازن في الاختيارات الصعبة:**



وإذا كان الله تعالى قد أمر رسوله – في صلح الحديبية – بتقديم أدني المفاسد، وتأخير أعلى المصالح فيما هو ظاهر للجميع، والله تعالى هو القادر على أن يَبلُغ برسوله صلى الله عليه وسلم البلد الحرام دون أن يمَسّه ضرر؛ فحري بالناس أن يراعوا مثل هذه التوازنات، والنظرة البعيدة الثاقبة في اختياراتهم الصعبة، مع الاستخارة والاستشارة، وكم من اختيارات صعبة كانت فتوحات مبينة لأصحابها، ولا عزاء للمتهورين، والمتعجلين، وقصيري النظر؛ في التعامل مع رحلة الطريق، ثم يسكبون نزيف الدمع حزنًا أن كانوا من الغافلين.

- **عدم الاهتمام بآراء الآخرين عنا**

عندما يقول شخص ما رأيه عنك بطريقة سيئة، تشعر بألم من هذا الرأي، وتجد نفسك في موضع المدافع عما تفعله، أو عما تفكر به، فتشعر بانعدام ثقتك بنفسك، وتضطر للبدء في محاولات لإقناع الناس برأيك، وتوصل لهم نظريتك عن هذا الرأي، وعند فشل تلك المحاولات يتولد عندك نوع من أنواع عدم الاهتمام واللامبالاة غير الحقيقية كنوع من الهروب، فلا تسمع لانتقاد أيًا كان مصدره؛ حتى لا تكون في موقع الدفاع عن نفسك، وقد يكون الشعور بعدم الاهتمام هو الخيار الأول لديك كنوع من إراحة العقل، والفكر من لوم النفس، أو عتاب للذات. وهذا الشعور بعدم الاهتمام قد يصل لك من خلال معاملات صديق لك، أو من والدك الذي يردد دائمًا: "ليتك مثل أخيك الأكبر"، أو عند وضعك في مقارنات لا تحب أن توضع بها، فتختار الهرب بدلاً من الشك في قدراتك، وأفعالك.



وماذا بعد؟!!

عليك أن تعترف بأن رأي الناس يهمك مهما كان الرأي جيدًا أم لا؛ لأن اهتمامك بآراء الناس شيء طبيعي خلق معك ومع تكوين مشاعرك، فقد تكون تلك الآراء كلدغة لاسعة، لكنها قد تعلمك شيئًا جديدًا؛ فلا تتظاهر أنك غير مهتم، وليس في تأثرك بآراء الآخرين عنك خجل، كن صادقًا مع نفسك أولاً قبل أن تكون صادقًا مع الآخرين، واعلم أن هذه الآراء قد تجعل حياتك أكثر وضوحًا وتساعدك في تعديل ما بك من أخطاء، وقد تساعدك في تحديد مسارك في المستقبل بتعديل ما كان يعوقك وأنت لا تشعر به.

ليس عليك أن تفعل كل ما يقوله الناس، وليس عليك أن تغير من أسلوب حياتك كما يريد الآخرون، لكن عليك أن تعرف أن ما يقوله الناس مجرد آراء تحتمل الصواب أو الخطأ، خذ منها ما يصلح وما تجده في صالحك، وصحح ما تجده بك يريد التصحيح فعلاً، فليس عليك أن تكون طوعاً لهم أو أعمى بلا رأي، ولا تلغي الاهتمام بما يقولونه وما يرونه خطأ في توجهاتك فيصيبك العناد بلا مبرر، واعرف أن آراء الناس إنما تكون من خلال تعاملاتهم معك فقط، بمعنى أنها من جهة واحدة فقط، لأنهم لم يشاهدوا جميع جوانب حياتك لكي يطلقوا الأحكام الصحيحة الكاملة المتكاملة، لذا دافع عن معتقداتك التي تراها صائبة بهدوء، وبلا عصبية؛ حتى لا يتحول الرأي إلى نزاع.

وأخيرًا: كن مصيبًا ومقنعًا، ويجب ألا تكون مغرورًا ولا متكبرًا

- **النحلة الجميلة وصاحبها الطيب**

يقولون في الأمثال: يا نحلة لا تقرصيني (تلدغيني)، ولا أريد منك عسلًا، فما معنى هذ المثل؟

النحل من الكائنات الراقية الجميلة التي تعيش على رحيق الزهور، وتمد الناس بالعسل الطبيعي الذي جعله الله تعالى شفاءً، ودواءً، فكيف يستغني الناس عن النحل، والعسل بعد صحبته، ومعرفة قيمته؟!

في تلك الأيام كان الرجل الطيب يجلب الزهور اليانعة بقطْر الندى في صباحٍ بهيجٍ لنحلته الجميلة التي لا يملك غيرها، ويلقي عليها السلام متغزلًا في جمالها وقدرتها على امداده بالعسلِ كلَ يومٍ، وإن كان قطرةَ

عسلٍ واحدةٍ، لكنها تُحلِّي مَذاقه وتُدخل البهجةَ على قلبه، ثم يستأنس بطنينِ نَحلتِه الطائرة، والنحلة سعيدة بصاحبها، يُحضر لها الزهورَ، ويُؤانِسَها بطِيب الكلام، وعبير الإحساس، وعِطْرِ الأنفاس.

ذات يومٍ رأت النحلة على مسافةٍ منها رجلًا يتشاجر مع نَحلته وهي تَلدغه، فقالت: لعلني أُجرِّبُ ذلك مع صاحبي، فلما عاد صاحبُها؛ أحست بهيبته، وحدثت نفسها: ليس كل رجل يصلح له اللدغ والقرص، لكن رغبتها الملحة في التجربة جعلتها بالفعل تجرب ذلك وتلدغ صاحبها، فكان وقع المفاجأة صادمًا على الرجل، فلم يتوقع من نحلته الجميلة، الوديعة، أن تفعل معه ذلك، لكنه صبر وامتص الصدمةَ، واعتبرها هفوةً غير مقصودة، مما جرَّأ النحلةَ أكثر وأكثر، فلدغته مرة بعد مرة، وهو يصبر، وينصح، ويعظ، ويذكِّرُها بوداعتها، وجمالها، ورقتها، وهي تَضحك في استظرافٍ، وتتجرأ في استخفافٍ، معتبرةً أنه أصبح ضعيفًا، ولم تعد تهابه أو تخافه، إلى أن لدغته ذات يوم فحذرها تحذيرًا عنيفًا، وقام بضربها ضربًا لطيفًا، وقال لها: سأستخير الله تعالى في فراقك أيتها النحلة المؤذية، ربيتك بيدي، ورعيتك بعيني، ولم أبخل عليك بنعمة، ولم أدخر جهدًا في إسعادك، ثم هذا جزائي منك؟!



لكن النحلة انهارت بالبكاء، والحزن، وتوسلتْ إليه ألا يفارقها، وواعدته بمستقبل أكثر سعادةً، وإشراقًا، تفاهمًا، حبًا، طاعةً، وجمالًا؛ ففرح الرجل بتوبة النحلة الجميلة، وعادا إلى حياتهما الطبيعية، بين المجالسة والمؤانسة، والبهجة والفرحة، يُحضر لها الزهور من جديد، وتعطيه العسل في صباح سعيد، ومضت على ذلك شهور، وعادت النحلةُ تصارع رغبتها في لدغ صاحبها، ولا تجد أحدًا غيره لتشبع فيه هذه الرغبة المجنونة، التي اكتسبتها من أترابها، أو كانت في جِبِلَّتِها، وتُخفيها عمدًا وقصدًا بحيلة من حيلها. وعاد

صاحبها ليحذرها، وأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وتزداد هي غرورًا، وترفع صوتها عاليًا، وتتنفس كبرًا، واندفاعًا، وتدعو عليه بالويل والثبور، ويزداد هو زهدًا في جمالها، ونفورًا من رحيقها، ولدغة بعد لدغة؛ قرر صاحبُ النَّحلة أن يستخير في هجرها، فتوسلت إليه كسابق عهدها، لكنه أصرَّ هذه المرة، ولم ينخدع ببكائها، وتوسلاتها،، بعدما ظهر له من حقيقة طبعها، وأنها مندفعة، وغير حكيمة، ولا تتمتع ببعد البصيرة، أو النظر في العواقب، ولا تتعلم من الأخطاء والتجارب، وسريعة النسيان والفقدان، وافتقرت إلى الأسلوب الرقيق الجميل، فاستخار ربه في الرحيل، والحياة بدون نحلته المتهورة، متذكرًا قول القائل:

خذي الحب مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ

إني رأيت الحب والأذى إن اجتمعا في قلب امرئٍ؛ لا يلبث الحبُ يذهبُ

فشرح الله صدره للابتعاد، فحمل متاعه، ووقف يودع نحلته التي كان يَستلطفها، ويُحبها، ويُستظرفها، ويُقربها، فقالت له مغرورةً، ساخرةً؛ وقد تبين لها أنه الفراق الطويل، بعد طول الصحبة، وعمق المحبةِ، ووصل الأحبةِ: ومن يعطيك عسلًا بعد اليوم أيها الراحل المسكين؟! ومن يؤانس وحدتك نهارًا وليل؟! ومن يطنطن لك باللحن الجميل؟!

فقال قولة أصبحت مثلًا، ولكل الناس معتبرًا:

(يا نحلة لا أريد منك عسلاً، ولا تقرصيني).

- **المال فتنة**

قال الله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) التغابن 15.

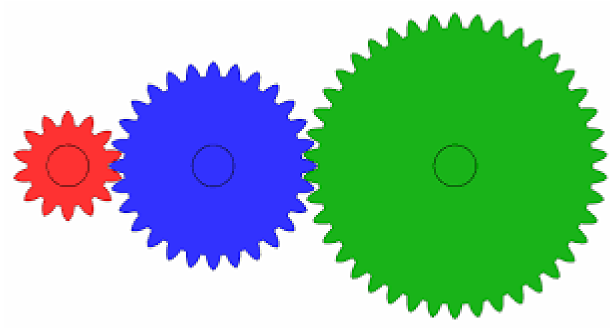


فالمال فتنة، ولذلك كان التعامل بالأموال مسبرًا لأغوار النفوس، ومميزًا لصحيحها من سقيمها، وقَل ما دخل المال بين اثنين متحابين يتبادلان الإخوة، والمودة، والاحترام، والمعاني الراقية، والرقيقة، السامية والسليمة، إلا وأخذ المال من رصيد هذه المحبة، وذاك الاحترام، وتلكم المودة، ما استطاع أن يضع يده عليه، وما قدر على حمله ولو مع المشقة.

ودخول المال بين أهل الود والأخوة، لا يزيد ولا ينقص في الرزق، إنما هو من أسباب العيش، والعون، والطلب، والدفع، لكن النفوس تحبه، وتفتتن به، ويضعف سلطانها معه، وربما افتتن به الزاهد، وتغير به العالم، وتحول به المخلص، فللمال سكرة، ولرؤيته سطوة، والشيطان يُمَنِّي، ويُؤَمِّل، ويُبَخِّلُ، ولم يشذ عن ذلك إلا قليل من قليل من الأولياء العارفين، الذين عرفوا للدنيا قدرها، فكان البذل أحب إليهم من الحرص، وكان العطاء الجزل خير من الإمساك والبخل.

ولست أنشد بتلك الكلمات مثاليةً فوقيةً أعلى من طبيعة البشر، ولكن على العاقل أن ينشد سلامة علاقاته من الخطر؛ فإن المال عون ومطلب، والعلاقات الطيبة فوز ومكسب، وإنك لن تكنز بعد الإسلام، والعافية، والستر، خيرًا من أخٍ تحبه ويحبك في الله، يُشَاطِرُك الشعور والفكر.

- **ذاكرة الممارسة**



نستخدم عقولنا في تعلم قيادة السيارات، وبعد وقت نقود السيارة بذاكرة الممارسة بمعزل عن العقل، ونتعلم القراءة والكتابة بالعقل، ثم نكتب ونقرأ بذاكرة الممارسة. فما معنى ذاكرة الممارسة؟

معناها: ذلك الفعل الآلي الذي لا يحتاج معه لفكر. فمثلًا نبحث عن الحروف بصعوبة في لوحة الكمبيوتر لنكتب سطرًا، ثم نكتب بدون نظر للوحة الحروف.

- كيف؟!
- بذاكرة الممارسة.

هذا جيد في الأمور الدنيوية؛ فماذا عن الأمور التعبدية؟

تعلمنا الصلاة في صغرنا بذاكرة العقل، وبعد زمن صرنا نصلي بذاكرة الممارسة، فلا خشوع، ولا قنوت، ولا استحضار لرهبة الموقف. والرسول - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنه لا يُحسب للمرء من صلاته إلا ما يعقل. وسيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - يجزم أن الرجل قد يقضي عمره كله وما أتم لله صلاة واحدةً.

- أليس الأمر جدَّ خطيرٍ إذن؟!
- في رأيي أن الداء يكمن في ذاكرة الممارسة لا في ذاكرة العقل والقلب.
- لكن ما الخطورة في ذلك؟!
- خطورة ذلك أن الممارسة تعزل العقل، والفكر عن الصلاة.

- وما العلاج إذن؟
- العلاج أن نقيد القلب والعقل بمعاني الألفاظ في الصلاة، ونجتهد ونكرر المحاولة لنقلل بالتدريج من سيطرة الممارسة على أفعالنا، ومن لا يدرك المعنى يتفكر في رهبة من هو واقف أمامه، الله تعالى، أو يتخيل أن الجنة عن يمينه سيدخلها ان استحضر قلبه، وعقله، وأن النار عن شماله سيدخلها ان استسلم لقوة الممارسة وسيطرتها، وأنه قد يخرج مع التسليم صفر اليدين، أو بخفي حنين. رزقنا الله الخشوع في صلاتنا، قال تعالى:(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) المؤمنون 2,1.

- **مداراة الناس**

لا تحارب الناس، ولا تعاديهم، ولا تقاطعهم بسبب طباعهم، فسوف يحاربونك، ويعادونك، ويقاطعونك، وهم كما هم لم يتغيروا، وخسرت راحة نفسك، وبالك، ولكن دارهم ما دمت في ديارهم، وجارهم ما دمت في جوارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم، دون إثم ولا ذنب، انصحهم متى قبلوا منك، وعظهم متى استمعوا لك، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]



واعلم أنك تعامل عقولًا تغالبها العواطف، ونفوسًا تغالبها الأماني، وقد تكالبت على التأثير فيها الدنيا والهوى والشيطان، فكن شفيقًا عطوفًا، رحيمًا رحومًا، فإنك لو عاينت بقلبك ما عاينوا من الهوى وحب الأمل، لأكثرت من إعذارهم، وأشفقت على كبيرهم قبل صغيرهم. وأنت واحد من الناس، لك طباع

يعتبون عليك فيها، ولك مآرب لا يميل كثيرهم إليها، وربما وددت لو عذروك، رغم أنك على الحق، وربما كنت على الحق حدك.

- **فن التنازل**

كثيرٌ منا تأتي عليه أوقات يشعر فيها بقوته الطاغية وإمكاناته العالية، وبالطبع هي قوة نسبية لا يمكنه أن يمارسها على أرض الحقيقة إلا في ظروف زمنية، أو مكانية، أو مع أعيان بذاتهم، ولأنه قبل أن يضطر للتنازل عن أي شيء فإنه – مدفوعاً بشعور العظمة والتمكن – يريد أن يحصل على كل شيء، هذه الإرادة ستستمر طالما استمر الشعور الطاغي بأنه قادر، ومتمكن، وصلب، عند لحظة ما؛ أسميها اللحظة الفارقة في الاستيعاب، سيبدأ هذا الشعور بالتمكن، والنفاذ، والسيطرة يتآكل مع ظهور مستجدات على أرض الواقع، وأمام هذه اللحظة الفارقة التي يحدث عندها التغيير بين موازين القوى ينقسم الناس إلى أقسام وأنواع: منهم من يظل متمسكًا بفكرة أنه الأقوى، ولابد أن يحصل على كل شيء، ومنهم من يفهم أن الأمور تغيرت، لكن كرامته لا تسمح بالتنازل فيكابر حتى الرمق الأخير. وهذان الصنفان غالبًا ما يخسران كل ما كانا بالقريب يطالبان به مجموعًا واحدًا صحيحًا لا يُخدش.

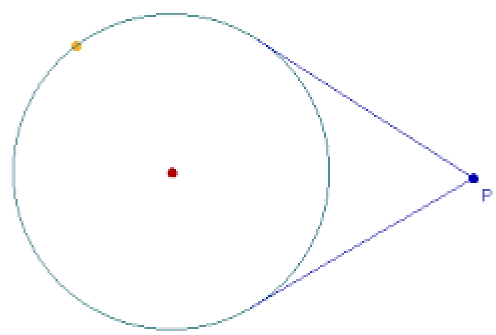


لكنّ هناك نوعًا آخر يدرك أن الخضوع عند الحاجة ذكاء، وأنه مع تغير موازين القوى لابد أن يتغير سقف الشعور بالقوة، والتمكن، ومن ثم لابد من ممارسة فن التنازل للحصول على النصيب الأكبر من المكاسب، ستجد هذا بين رئيس وشعبه، وبين مدير وعامليه، صاحب بيت وسائقه، وبين زوج وزوجته، وبين أب

وأولاده، وبين جار وجيرانه...الخ، وفي النهاية يتضح لنا الحقيقة القائلة: من يرفض التنازل عن أي شيء قد يخسر كل شيء، والكلام هنا عمن لا يريد التنازل عن أي شيء وليس داخلاً في حقه كل شيء.

- **الرؤية من خارج الدائرة**

سواء في حالة الفرح أو الحزن، التفاؤل او التشاؤم، فأنت إن كنت داخل الحدث فأنت داخل الدائرة، أنت جزء منها، إن تحرَكَتْ بالدوران فأنت ممن يدور بداخلها، وإن توقفت عن الحركة فأنت ممن يتوقف، وسيظل فهمك للأمور، وتفسيرك لها، متطابقا مع وضعيتك داخل هذه الدائرة، فأنت لن تر من خلفك، ولن تر خلف الذي أمامك، وسترى بقليل من زاوية الرؤية من على الأطراف، وفي النهاية ستبني حكمك على كل شيء، بطريقة ضيقة جزئية.



والحل أن تتخيل، ولو مجرد تخيل أنك خارج الدائرة، حاول أن تطالع المشهد من مسافة أكثر بعدًا، لتتسع زوايا الرؤية لديك، لترى أحداثا أكثر لتفهم مزيدًا من العلاقات والروابط، وتبني استنتاجات أكثر شمولية، ومن ثم أكثر حكمة وعقلانية وموضوعية.

واذ تفعل هذا في جميع أو معظم مواقف حياتك، ستعلم أن كثيرا من التفاصيل التي استغرقتك لم تكن تستحق، وأنها كانت صغيرة، وأنها أصغرتك معها لأنك دُرْتَ معها داخل الدائرة، ستعلم أن خلافك مع أخيك أو صديقك أو أهلك أو جارك أو زميلك كان خلافًا ضمن معركة نفسية تصب بالخسارة في نفوس الجميع، وأنه لم يربح منها أحد سوى المتربص بكما أو بكم الدوائر، وهو العدو القابع في الزاوية يحرك نزعات الشر كعرائس خيط، ينتظر سقوط واحد تلو واحد، ليتجرأ على الانقضاض في اللحظة المناسبة،

نعم، ستعلم يقينا أننا إذ نتناطح سويًا، ونفرح بالنقاط النفسية لصالح أحدنا ضد الآخر؛ نجر علينا جميعًا نزيف الخسارة في النقاط النفسية، والمادية، والوجودية، لصالح عدوي وعدوك.

مثل هذه النظرية، تتعدى الأفراد إلى العائلات إلى القبائل إلى الدول إلى مجموع الأمة، وعندها لن يملك أحد منا وقد خسر الآخر إلا أن يحني رأسه وظهره خضوعًا وذلًا للعدو، ويمنحه كثيرًا من الكرامة، والمال، والتذلل، ويتدحرج الأمر كثيرًا، وينفرط عقد الأمور عندما يتذلل كل منا لعدونا المشترك ليمن علينا بحماية أحدنا من الآخر، ويظهر وجه القبح، والسذاجة حينما نتنافس في إرضاء عدونا كضرائر لزوجٍ واحد يتنافسن في كسب قلبه، ولو بوشاية، أو نميمة، أو هدر كرامة.

عن الأفراد أتحدث، عن الدول، عن الأمة، ثم أقول: لأننا ندور مع الدائرة سنفرح كثيرًا عندما نكشف عورات بعضنا، عندما نُعري ذواتنا، عندما نمنح عدونا الحجة علينا، عندما نمنحه الأرض، والعرض، عن طيب خاطر منا، عندما يقتلنا واحدًا، واحدًا، طالما بقي منا واحدٌ ينتظر دوره، ولا يزال يضع رأسه كالنعامة في رمال الجبن، والخزي، ضاحكا حد النهيق أن دوره لم يأت بعد، وأن عدوه سيُفلته.

وعليه؛ فلابد من الخروج من الدائرة وتوسيع الرؤية لنتدارك أننا جميعا نلعب اللعبة الخاسرة.

- **كيف؟ لماذا؟**

سمي القلب قلبا لتقلبه، وقلوب الناس متقلبة، يقاطعك اليوم من وصلك بالأمس، وقد يفكر بإيذائك نفسيًا أو ماديًا من احتفل بفرحك بقريب عهد، وقد يشعر بالسرور لضرر لحق بك، بعدما كان يهرع ويفزع لنجدتك، وأمثال ذلك كثير، وقس عليه في المثيل والنظير، من العلاقات والسلوكيات، ولا أحد غالبا بمنأى عن التقلب، والتحول، وإن كان أقرب الناس إليك، وإن كان قلبك الذي بين جنبيك، وعندئذ يتبادر إلى الذهن سؤال يُلح إلحاحًا، ويُصر إصرارًا، وهو:

كيف يفعل معي هكذا؟

ويتبعه سيلٌ من الذكريات المليئة بتفضلك عليه، وإحسانك إليه، وهو ما يسمى بالمنِّ الخفي الذي لا يشعر به المانُّ، ولا يبلغ الممنون عليه، ثم يتبع حديث المنِّ الخفي هذا رغبةٌ قويةٌ في فعلِ انتقامي معاكس يعوض النفس معنويًا، ويحدث توازنا نفسيًا في العلاقة بين الطرفين، وربما انفرط عقد الأمور، وسُطِّرت صفحةٌ جديدةٌ من العداء المنهجي، والمستمر إلى أن يشاء الله.

والمتأمل يجد أن كل هذه التداعيات جاءت عقب السؤال بكيف؟ هذا الذي أعلاه، والذي ينطوي في أعماقه على اتهام الآخر، وكأن السؤال بكيف كان مفتاحًا للشر في هذا المقام، مغلاقًا للخير، فما الحل إذن وما العلاج؟

هل من بديل لهذا السؤال؟ هل من صيغة أخرى تفتح باب الخير وتغلق باب الشر؟!!

لعل الجواب يكون في السؤال ب لماذا؟ وليس بـ كيف؟



فيكون السؤال: لماذا يفعل معي هكذا؟! وليس كيف يفعل معي هذا؟!

إنه سؤال ينطوي على الرغبة في معرفة السبب أو الأسباب التي دفعت الآخر لهذا التصرف، ومن ثم سيدفع صاحب السؤال إلى توجيه الاتهام للذات، ومراجعة سلوكيات النفس، وهذا بدوره يتبعه سيل من الذكريات المليئة بفضل الآخر، وإحسانه، ومواقفه الطيبة، ويولد رغبة في رد فعل توافقي لا انتقامي، وسعي تصالحي لا عدائي، فيكون من ثمرته معرفة خطأ النفس، واستسهال الاعتذار وإبداء الأسف، فإن تأكد من عدم الخطأ، استسهل العتاب الحسن، وعمل بقاعدة: (عليك بالعتاب قبل غلق الأبواب)، فيُثمر ذلك إزالة

لبسٍ، وكشف وشايةٍ، ومعرفة نميمةٍ أو وقيعةٍ، أو تصحيح فهمٍ، او بيان مقصودٍ، أو معالجة حسدٍ، أو جبر خاطرٍ...الخ.

علاقات الناس تحتاج للكثير من الصبر والتأني وعدم العجلة، وإن كان الطبع غلابًا، لكن بالحكمة، والصبر، والتأني، والعقل، تُهذب الطباع، وتُروض النفوس، ومما يروضها، ويهذبها أن تسأل وقت الخلاف، أو الخصومة، أو القطيعة، أو التحول والتقلب بـ لماذا؟ لا بـ كيف؟

- **حفظ النعمة**

حفظ النعمة
HIFZ ALNAEMA

كلما دعيت الى حفل زواج رأيت كرمًا شديدًا وواسعًا من رعاة الحفل، موائد عريضة ومفتوحة، ولا شك أنها نعمة من الله تعالى تستحق الشكر، ولرعاة هذه الاحتفالات الثواب على أخلاق الكرم، والجود. لكن بالمقابل هناك كميات كبيرة من الطعام يلقيها العمال في صناديق البلدية، طعام صالح لإطعام المئات من الأفراد، أو العشرات من الأسر، ما المانع أن يأخذ صاحب الحفل المزيد من الأجر، والثواب؟! سيما لو علم أنه قد يسأل عن هذه النعمة لماذا لم يجعلها في بطون المحتاجين وجعلها حلالا لصناديق المهملات؟!

والله تعالى يقول: (ولتسألن يومئذ عن النعيم). هذا النعمة هي محل سؤال، كما أنها محل شكر، ومن الشكر أن توضع للمراد الذي خلقها الله تعالى لأجله، فالله تعالى خلقها لإقامة الحياة، ويزداد الأمر خطورة لو علمنا أن ملايين الموتى كل عام يرحلون بسبب الجوع في ربوع هذا العالم.

ولا تنتهي مسؤولية راعي الحفل بمجرد إكرام الحضور، بل بالحفاظ على النعمة المتبقية، لأنه دفع ثمنها، ولا يخاف على المال مثل صاحبه، ولكي يديم الله النعمة على بلاد المسلمين، ينبغي أن نحفظ النعمة؛ بأن نواسي بها المحتاجين من العمال، والعجزة، والمرضى وغيرهم. وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت.



- **المميزات والعيوب، احتكار أم تكامل؟**

المتأمل في أحوال الناس يجد أنّ أحدًا منهم لا يخلو من المميزات والعيوب، لكن قد تجد أمامك اثنين، كل منهما لديه مميزات بمقابل عيوب الآخر، والآخر لديه بالتالي عيوب بمقابل مميزات الأول، بالتقابل أو التضاد، فتجد الذّكي الخائن، ويقابله الساذج المخلص، وتجد المتدين المنعزل بمقابل المتحرر الاجتماعي، وتجد الثري المختلس بمقابل الفقير الورع، وتجد المرأة المخلصة الغشوم، يقابلها المرأة الخائنة لينة الجانب، وتجد الشخص القوي الفتان أو النمام، يقابله الشخص الضعيف مصلحًا اجتماعيًا.



إنها مفارقات عجيبة في عالم البشر، وكلٌ يُطالع في نفسه المميزات والكمال، ويطالع في غيره العيوب والنقص، ولو كانت القاعدة أن تكره كلًا لعيبه ما عاملت أحدًا، ولو كرهت نفسك لعيوبك ما عاملت نفسك، ولكان في هجر الناس لعيوبهم حرمان من مميزاتهم، ولأن الانسان مدني بطبعه، فيستحيل عليه هجران كل الناس، فلا تستقيم الحياة إلا بالتغافل تارة، والتغاضي تارة، والنصح تارة، والتوجيه أخرى، لأننا في عالم البشر، ولسنا في عالم الملائكة، وللنفس عورات كما للناس عورات.

وأحدنا قد لا يفهم صفات ذاته إلا إذا وضعها في مقارنة مع الآخرين؛ فيتحسر أن فلانًا واسع الحيلة مثلًا، وهو سطحي الرؤية، لكن فلانًا نفسه يمشي بالوقيعة، والفتنة، وهو لا يقبل أن يفعل ذلك دينًا وقيمًا، فهو هنا أزكى وأفضل، إذن على الإنسان ألا يطمع أن يكون مجمع مميزات أهل الارض جميعا.

- **لا تجادل أربعًا**

في الأمور الخلافية غير المتفق عليها لا تجادل أربعًا ولو كان الحق معك كالشمس في وضح النهار: متعصبًا أعماه تعصبه، وجاهلًا أعماه جهله، وصاحب هوى ينتصر لهواه، وغير المؤدب لا يحكم لسانه. قلت:

أما المتعصب فمثل الأحول؛ لا يرى إلا بعين واحدة، ولا يرى إلا ما معه، وسينافح عنه بالتأويل والتحريف، فلا فائدة من تضييع الوقت معه.

وأما الجاهل فمقلد، تابع، خانع، غير مفكر، لا يقبل جديدًا ولو من القران الكريم.

وأما صاحب الهوى فهواه مقدم عنده على كل حق.

وأما غير المؤدب فيرى الغلبة بالصوت العالي، وتوجيه الاتهام لك.

قلت اخيرا: فكيف لو كانت الأربعة في شخص واحد، ففر منه فرارك من ذي جذام. ولا يستخفنك قول الجهال عنك: خاف وجبُن.



- **الناس وأحاديث الدنيا**

أحاديث الدنيا صارت محورًا لاهتمامات الناس، وهذا يعكس أن الفكر المسيطر عليهم هو فكر أدنى، أو تفكير أفقي، دائري مغلق، وأهل التفكير الرأسي – التفكير الديني، أو العلمي، أو التأملي، أو المشتغلون بشيء منه – ينقسمون أنواعًا، وتوجهات مختلفة في التعامل مع هؤلاء:

فمنهم من يفضل العزلة الكاملة لحماية فكره وقلبه من الانجراف، أو الغفلة أو القسوة جراء التأثر السلبي بالمخالطة.

ومنهم من يخالطهم ويحاول المقاومة، إلا أنه يفشل فيستسلم ويجرفه التيار، ويقسو قلبه، ويخمد فكره، فيدور في اتجاهات أفقية مثلهم، وتصيبه الغفلة عن التفكير الرأسي الفوقي.

ومنهم من يخالطهم ويلزم الصمت، ويتحمل مرارة المخالطة الجبرية لدواعي الحراك الاجتماعي المفروض عليه فرضًا، ويجتهد في السيطرة على مدركاته العقلية، وتوجهاته الفكرية، وينجح في ذلك.

ومنهم من يخالطهم، ويصمم أن تكون له الغلبة بالتأثير لا التأثر، والتوجيه لا التوجه، والتفعيل لا التفاعل، ويفرض نفسه بالتدريج، حتى يصبح مع الوقت، مؤثرًا وملهمًا، مريحًا ومشيرًا، يجد الناس في الاستماع اليه متعة، وراحة، وبهجة، وسكينة، فكلامه يخاطب فيهم الأرواح لا الأجساد، فهم دومًا متلهفون لسماعه للخروج بالأرواح من حالة الكساد القائمة بغلبة الأجساد إلى حالة التحلي بفعل التخلي.

والطريق إلى أرواح العامة ممن أسرتهم الدنيا بزينتها، وجلبها، وجندها، ليس سهلًا، لكن يسهل على من رُزق الإخلاص، ثم الإرادة في إصلاح قلوب الناس.

- **زهد في غير موضعه**

لا أعجب من زهد الناس فيمن يهجرهم، أو يعاملهم بقلة احترام، وقلة ذوق، وقلة تقدير، لكن العجيب، والأعجب، والأكثر عجبًا، ممن يزهدون فيمن يقدرهم ويحترمهم، فيمن يعاملهم بذوق رفيع، وقلب حنون، وروح عالية، فيمن يقبل عليهم، ويكرمهم، هنا نقول إنه زهد في غير موضعه، لأنه ليس من الكرم مقابلة الخُلق الحسن بضده، ولا مقابلة الخلق الطبيعي بالمتكلف، ولا مقابلة الذوق العالي بالجفاء.

وأصحاب الأخلاق الدمثة الطيبة، والنوايا الحسنة، عندما يكتشفون أنهم – بذوقهم، واحترامهم، وتقديرهم، وكرم مشاعرهم – أصبحوا حملًا ثقيلًا، وأن جزاءهم التكلف، أو التهرب، أو التأفف؛ يتخذون قرارهم بالانسحاب، وربما انسحابًا كاملًا، ليس كعقاب للآخرين فحسب؛ بل أيضًا لأنفسهم على الإفراط في بذل مشاعرهم الطيبة لأناس لا يملكون حس الاحترام، ولا مَلكة التقدير.

هذه النوعية من الناس – من أصحاب النوايا الحسنة، ممن لا يعرفون التلون مع الأيام، من أصحاب القلوب الثابتة غير المتغيرة – جديرين بعناية وكرم فائقين، وتقدير بليغ من الآخرين، وإنها لخسارة عظيمة لأي مجتمع؛ أن يخسر مثل هؤلاء، لأنهم يمثلون صفحة بيضاء في كتاب مليء بالدخن، يمثلون معاني النقاء البشري في بحر من الأمواج العاتية كأنها تسونامي يجرف كل جميل ورفيع وراقي.

- **افعل شيئًا مشرفًا**

لا أحد ينكر أن للمجتمع سلطة معنوية تفرض أحكامها على كثير من الناس، وفي أحيان كثيرة تصطدم هذه السلطة الاجتماعية مع السلطة الدينية، بما لا يدع مجالًا ولا متسعًا لإعمال القاعدة المعروفة عند الأصوليين (العادة محكمة، أو العرف محكم، أو المعروف عرفًا؛ كالمشروط شرطًا...الخ)، على اختلاف الصيغ والقوالب.

ومن مظاهر هذه السلطة المعنوية للمجتمعات؛ سلطة الشرف؛ فيطلب منك الناس على كل أحوالك، أن تفعل شيئًا مشرفًا، لكنهم يقصدون المفهوم الاجتماعي للشرف، وليس المفهوم الديني، فما يراه المجتمع مشرفًا هو ما يطلب منك مجاراته، والتواؤم معه، وعدم مخالفته؛ فيقولون لك: لابد أن تأخذ بثأرك؛ فتعترض أنت بأن القاتل أخذ حكمًا قضائيًا وهو الآن في السجن، جزاءً وفاقًا، فيطلبون منك انقاذ الشرف المهدور، بقتل أي شخص بالمقابل من أقارب القاتل؛ فتعترض بأن هذا ظلم، وقتل لنفس بغير جريرة، ولا ذنب؛ فيقولون: لن يسكت عنا الناس الا بهذا. وعبارة (لن يسكت عنا الناس) هي الحاكية لمعنى السلطة الاجتماعية القاهرة، والنافذة في عقول أغلب البشر.

يطلبون منك أن تجعل عزاء فقيد لك مشرفًا، بإحضار قراء كبار للشرف، وخيمة عظيمة للشرف، وموائد واسعة للشرف، وإنفاق الأموال الطائلة للشرف، فإن قلت إن ذلك بدعة في الدين، ولا يقرها الشرع، قالوا بغير ذلك ينقص الشرف، وتقل المكانة، وتضيع المهابة، ويتجرأ الناس علينا، ويتخذوننا سخرية، وهزوًا.

يطلبون منك أن تجعل حفل زواجك مشرفًا، فيكون الطعام عشرة أضعاف العدد المدعو للحفل، فإن قلت: نصنع طعامًا على قدر المطلوب؛ فنوفر المال، ولا يُهدر الطعام، قالوا هذا مُخِل بالشرف، لا بأس أن يلقى بالطعام في الحاويات، المهم أن يبقى الشرف. وآخرون لا يحافظون على الشرف إلا بحفلات ماجنة، راقصة، مختلطة. وباسم الشرف الاجتماعي سُكبت كثير من الدماء، والأخلاق على جنبات شرف الدين، والشرع. (اعمل شيئًا يُشرف): عبارة، راح ضحيتها الكثير من الشرف. نسأل الله الثبات

- **الإنسان الببغاء.**

مصطلح الإنسان الببغاء، أعني به ذلك الإنسان الذي لا يميز بين سليم الكلام وسقيمه، بل يردد كل ما يسمعه سواء متفق مع ثقافته، أو مختلف، ويقع في ذلك كثير من الناس خاصة النساء، وبعضهن ممن ينتسب للعلم للأسف أو حصلوا على قسط من العلم، وإن كان هذا مقبولًا على مضض وأسف من العامة، فلا يقبل ممن ينتسب لشيء من العلم، ويصبح في حقه شيئًا قبيحًا وذميمًا، ومنفرًا جدًا، بل

وصادمًا للآخرين غالبًا، فبعض العامة قد يشتمون بالأب والأم، وهذا منبوذ وحرام، لكنه من المتعلم، أو المثقف، يكون أشد قبحًا وعيبًا وحرامًا.

وبعض العامة قد يسب الدين، لكن إذا سمعت مدرسًا في مدرسة يسب الدين فهذا شيء من أعاجيب هذه الدنيا، وعندما ترى النميمة عن عمد، وقصد من العامة فأنت تشعر باستياء، لكن لما ترى رجلًا خريج جامعة ويتعمد النميمة، والفتنة، وإيقاع الناس في بعضهم؛ فقل على الدنيا السلام، وألف سلام على التعليم (والعلام)، واللعن قبيح من العامة جدا وهزلًا، وهو أشد قبحا من المتعلمين والمثقفين. وقول العامة يا منافق، يا كافر في مزاحهم، شيء مستنكر، وهو أشد استنكارًا من طبقة أهل العلم. وإذ ترى عوام النساء يقلن ألفاظًا غير لائقة فهذا مستقبح، لكنه أشد قبحًا، وسوءًا، ونفرة، واستياء، واشمئزازًا، بكل المصطلحات المعبرة عن ذلك في اللغة العربية، من النساء المنتسبات لشيء من العلم.

عندئذ نعلم معنى الرجل الببغاء، والمرأة الببغاء، التي لا تميز، ولا تمتلك فلتر في طبعها يرد القبيح ويستقبل الحسن، بل عقلها، وفكرها مفتوح لكل الثقافات، واللغات وتستقبل كل ما يرد، وتخرجه كما هو بدون تنقيح، أو تمييز، أو نقد، أو فلترة. والعامة والخاصة يتفاوتون في ذلك على درجات...بين الشدة والوسط والرخاوة...وكلها منبوذة وليس فيها شيء مستحسن...لماذا؟ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا لم تظلموا)، والحديث وإن كان ضعيفًا سندًا، لكن صحيح متنا.

بينما تجد نوعًا من الناس يظل كما هو محتفظًا بلسانه، وكلامه، ولو خالط القوم أربعين سنة، وليس أربعين يومًا، وإن أخذ منهم أخذ منهم الحسن الجميل المستطرف، والموالح المستحسنة، والقيم المقبولة، والمتفقة دينًا، وشرعًا.

ولا يملك الانسان في كثير من هذه المواقف إلا ان يشعر بالصدمة التي تهز جوانحه، وتزلزل انطباعاته عن البعض ممن (يبغبغون) ليل نهار بلا تمييز، ويرجو من الله السلامة، والخروج من الدنيا غير مفتون.

- **الإخلاص في معاملة الناس**

قد يلزمني أن أخيّرك بين (نعم ولا) عندما أطرح عليك مثل هذا السؤال: هل تخادع الناس في تعاملك معهم؟! أو هل أنت ممن يحافظ على الإخلاص في معاملة الناس؟!، لكن لا يلزمني أن أخيّرك بين (نعم ولا) عندما أطرح عليك سؤالاً مقابلاً: هل تعاني من خداع الناس لك أو بعضهم في تعاملهم معك؟ لماذا لم أخيّرك هنا بين نعم ولا؟ لأن كلا منا بالضرورة يعاني من صور الخداع اليومية التي تتجلى وتتشكل في ألوان مختلفة ما بين كذب، وإخلاف للعهد، ونفاق صريح، وأكل مالٍ بالباطل، وبواطن تخفي خلاف ما تُظهر، وسعي بالوقيعة، والفتنة، والوشاية... إلخ، ولو خيرتك وقلت: لا. فأنت تعيش في مجتمع من الملائكة.

لكن المخلصين لهم حجتهم، وللمخادعين حجتهم كذلك، فأما المخلصون فيقولون بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لست بالخب وليس الخب يخدعني"، والخب هو المخادع. ويفرقون بين النفاق، وبين المداراة التي تهدف إلى اتقاء شر الناس مع كونك على الحق، بينما النفاق هو مخادعة الناس لأخذ الخير الذي يملكونه مع كونك على الباطل.

أما المخادعون فحجتهم قول البعض:" أنت في زمن إن لم تكن ذئباً؛ أكلتك الذئاب" وبالتالي وبالقياس على منطقهم ذلك؛ فعلى المجتمع أن يكون غابة من الذئاب ما بين هجوم، ودفاع، وطالما أن كلًا لديه حجته، وبرهانه؛ فإننا نحتاج إلى الترجيح في المسألة، ومما يرجح لنا في هذا الشأن قول ربنا سبحانه وتعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا"، وقول العامة: العطايا على قدر النوايا.

- **الجهل في الاستدلال**

فرق بين الدليل المطلق، والدليل المعلق، فإذا كان الدليل دليل جواز مثلًا، وكان مطلقًا؛ فإن الجواز يكون مطلقًا، وإذا كان الدليل معلقًا على شرط؛ دل على أن الجواز معلق على هذا الشرط، وهو ممنوع فيما سواه؛ فمثلا عندما قالت امرأة للرسول صلى الله عليه وسلم أنها نذرت أن تنشد، وتضرب الدف بين يديه،

قال لها: "إن كنت نذرت فنعم، وإلا فلا". هذا دليل في جواز غناء المرأة؛ لكنه دليل معلق على شرط، وهو النذر. فالأصل أن غناء المرأة بحضرة الأجانب ممنوع فيما سوى هذا الشرط. بمعنى أنها إن لم تكن نذرت، ما كان يجوز لها الغناء، أو الإنشاد وضرب الدف.

فإذا كان الأمر كذلك وأردنا أن نقيس غناء المرأة في زمننا المصاحب للموسيقى، والعري، والإغراء، والخضوع، وكلام الهوى، والعشق، والمجون، فهل يكون جائزا في شرع الله تعالى؟! أم يكون من حيث القياس ممنوع من باب أولى؟، والغريب أن يأتي مشايخ الغفلة في الاستدلال ليستدلوا بالحديث السابق على جواز غناء المطربات في وقتنا الحاضر. وهذا من الجهل، والفساد في الاستدلال. لك الله يادين الاسلام. مشايخ يزيدون من جهل الجاهلين. وأصحاب هوى يبطلون الحق، وهم يعلمون.

- **مراعاة الواقع في الفتوى**

الواجب أن يراعي المشايخ فقه الواقع في الفتوى، فإن غلب على الظن أن الفتوى تسهل للعامة إتيان الذنب؛ شدد عليهم في الفتوى، سيما لو قامت القرائن على ذلك من الواقع كحالات الانتحار المتعددة مع فتوى البعض بأن الانتحار ليس كفر. وفصل الفتوى بجعلها فتوى مجردة ومنفصلة عن الواقع هو من الجهل بأصول الفتوى عند العلماء، فمثلا ابن عباس – رضي الله عنهما – أفتى السائل عن القاتل، هل له توبة بأنه ليس له توبة؛ لما قامت عنده قرينة على عزم السائل على القتل. والشافعي غير مذهبه في العراق لما جاء مصر مراعاة للواقع في مصر، وصار له مذهبان قديم، وجديد.

وأصل آخر من أصول الفتوى ينبغي على المفتي العمل به قبل إصدار فتواه، أو نقل فتوى، وهي النظر في المآلات، مآل هذه الفتوى إلى مصلحة، أم إلى ضرر. والطامة الكبرى أن بعض المشايخ ممن هو غير متخصص في الفتوى، وبحسن نية، ورغبة في نشر العلم، أو الدعوة، ينقل الفتاوى دون النظر في الواقع أو

النظر في المآلات، والتوابع. بينما العامة من الناس واقعون تحت رحى الغلاء، وضيق المعيشة، والفتاوى التي لا تزيد الطين إلا بِلة.

- **نيتشة الضعيف وغرور القوة**

لأمر ما أراد الله أن يورط أمريكا وأخواتها في أفغانستان، التي يشهد تاريخها على مشاهد من الصراع مختلفة، وتتلون ساحاتها بلون الدماء، لكنهم لم يقرؤوا، لم يسمعوا، لم يشهدوا، إنها الحكمة الإلهية التي تسير الأفلاك.

صراع أبدي بين الحق والباطل، بين دعاة الآخرة، ودعاة السياسة، والديمقراطية، والقومية، والنووية، والمصالح البترولية، ها هم تجمعوا، وخططوا، ودخلوا، وظنوا أنهم مانعتهم أساطيلهم البحرية، وسفنهم الحربية، وطائراتهم الصاروخية، من كيد الله شيئًا، فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وها هم الآن يقذف في قلوبهم الرعب، والخوف، والانكماش، والشعور بالفشل، والرغبة في الخلاص، والدعوة للمفاوضات، ولكن كلا؛ لما يقض الله أمرًا كان مفعولا.



وما أشبه اليوم بالأمس؛ ففي غزوة بدر لم يكن ثمة مقارنة البتة، ولكن قذف الله تعالى بالضعف المطلق في وجه القوة الغامرة، وامتدت اليد الإلهية لنصرة الضعفاء؛ نافخة في قلوبهم قوةً تغاير قوة العدد، والعدة، والسلاح، غير قوة نيتشة الضعيف، الذي أوهم أحفاده بأن القوة هي سبيل الخلاص، وفي سبيلها تهون الوسائل، وتداس الأعراف، وتمحي ثقافات الشعوب، وتيتم الأطفال، وترمل النساء، مثلما قالها ريتشارد قلب الأسد من قبل: الطريق إلي القدس يستحق أن يشهد عشرات القتلى. وعاد خائبًا مخذولًا.

إن الموازين العسكرية تشهد معادلات جديدة، لم تكن في حسبان الشيطان، وأذنابه، وكأني بكعب بن مالك رضي الله عنه وهو يصور لنا هذه الصورة الحية عن بدر الإسلام، صورة نابضة ناطقة بقوة اليقين الذي وجه الضربة القاضية لغرور القوة الموهوم أو المزعوم، فيقول:

عجبت لأمر الله والله قـــــادر ... على ما أراد ليس لله قـــــاهر

قضي يوم بدر أن نلاقي معشراً ... بغوا، وسبيل البغي بالناس جائر

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكـــاثر

وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل فيهم عزيز وناصـــــر

فلما لقيناهم وكل مجاهـــــد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر

أمسوا وقود النار في مستقرّها ... وكل كفور في جهنم صائـــــر

لأمر أراد الله أن يهلكوا بـــه ... وليس لأمر أراده الله زاجـــــر

- **الفتوى الفيسبوكية:**

تتعلق الفتوى (الفيسبوكية) غالبًا بالعامة من الناس، فلا تعرض أخي (الفيسبوكي) أمورًا خلافية على أنها مطلقة، وإذا عرضت فاعرض الراجح لا المرجوح، وما عليه عمل الناس في البلد طالما كان باتباعٍ للعلماء، وبأدلة شرعية صحيحة، وتراعي فقه الواقع، وتراعي عرف المجتمع؛ لأن العرف محكم، والعادة محكمة، والمعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، وقاعدة سد الذرائع لئلا تفسد الناس من حيث أردت إصلاحهم، والبعد عن الفتاوى الشاذة، والتلفيق، واتباع الرخص في المذاهب.



وللفتوى والمفتي ضوابط وأصول، يجب فقهها، وتعلمها قبل الفتوى، وليس كل من صار له قسط من العلم مؤهل للفتوى، والفتاوى الخلافية قابلة للنقض، فلا ينبغي التعصب والتشدد والتقعر، ينبغي التبسط، والتيسير، وإن كان ولابد من مناقشة المسائل الخلافية ففي مجموعات خاصة مغلقة بعيدًا عن العامة، يتم اختيار أعضائها بعناية من المتخصصين، وإن كانت مسائل عصرية، والمفتي صاحب مذهب؛ فلابد أن يفقه كيفية تخريج الفروع على الأصول.

الأمر ليس بالهين، فاحذروا من الإفساد بحسن النية، فقد يكون أشد خطر من الإفساد بنية

- **الحظر (الفوسبكي)**

من أسباب الحظر (الفوسبكي) بين الأخوة عدم التزام البعض بالمعايير الدينية، والأخلاقية، فمنهم من يضع مشاهد العري الفاضحة، ومنهم من يكتب عبارات غير أخلاقية، والحقيقة أنني كنت أسارع بالحذف، والحظر، أو إلغاء الصداقة، والمتابعة، لكن ما رأيكم لو تمهلنا قليلًا واعتبرناها فرصة سانحة لنا لدعوة إنسان لا تتوفر لنا دعوته خارج هذا العالم الافتراضي، أو الصداقة الافتراضية، ونقدم له النصيحة الطيبة على الخاص أولًا قبل الحظر، أو الإلغاء، بإقامة الحجة عليه، ودعوته للعفة، والالتزام، وتوضيح خطورة ما هو عليه فربما كان جاهلًا، وبأسلوب الداعية المشفق، المحب، العطوف، الرحوم؟ ربما يخجل ويحذف كل المشاهد السيئة، ويتوب، ويكون في ميزان حسناتنا.



إن الصداقة الافتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي تمثل فرصة عظيمة وميدانًا واسعًا من ميادين الدعوة إلى الله، والدعوة من الغريب، المحايد، غير المعروف قد تلقى قبولًا بأسرع من القريب المألوف. ولست أقصد هنا السعي وراء الصداقات الافتراضية غير السوية، لمن يرى من نفسه عدم القدرة على الصبر، ولكن لو اتضح أنّ ثمة صديق افتراضي بالفعل يفعل ذلك، فلنناصحه قبلًا، ونقول له قولًا لينًا سهلًا، وندعم النصيحة والدعوة بالنصوص الموضحة لعاقبة أفعاله، وما يتبعها من سوء مآله، وأن التوبة هي سفينة نجاته وسعادته وحفظه وعياله.

- **ضرب الأمثال للتوضيح والإفهام**

بعض الناس رغم ثقافته لا تستطيع أن توصل له المعلومة الصحيحة الا بضرب الامثلة، لذا كان ضرب الأمثال للناس في القرآن لعلهم يفهمون، ويفقهون، وبعضهم لن يفهمك لا بالتصريح، ولا بالتلميح، ولا بالتمثيل، لا بالعبارة، ولا بالإشارة، وسيتهمك بأنك مغيب أو جاهل، أو رجعي، أو متشدد، أو متخلف...الخ.



تخيلوا ايها القراء الأفاضل هذا الحوار مع الأمثلة بين مغيب ويقظان.

- مغيب: ما هو عملك يا يقظان؟
- يقظان: ناقد رياضي في مجال السباحة.
- مغيب: ما حكم مشاهدة النساء بالمايوه؟
- يقظان: انا ناقد رياضي، والنقد الرياضي عمل مهني لا يعرفه المغيبون أمثالك؛ فلا حرج على من النظر للمرأة بالمايوه لأنه من صميم عملي.
- مغيب: الله تعالى يقول: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)، وأنت من المؤمنين إن شاء الله، فأنت مأمور بغض البصر، أليس كذلك؟
- يقظان: هذا يدخل في الضرورة والضرورات تبيح المحظورات لأنه عمل، والعمل حلال، وهذا لا يفهمه المغيبون أمثالك.

مغيب: فما حكم الخمر؟!

يقظان: حرام.

مغيب: ما حكم عمل (المفتش على الأغذية) المتخصص في اختبار جودة الخمور في الفنادق، وطعمها، ولونها؟

يقظان: هذا عمل والنقد الغذائي عمل مهني لا يعرفه المغيبون.

المغيب: اسمح لي اخرج من الحوار معك وأدخل في غيبوبة، أبدية، سرمدية، وهنيئا لك أنك يقظان.

- **مدارة أهل الشر**

من الناس من يعالج الآخرين بالتحبب والتودد، وبذل السلام، وإطعام الطعام، فيعالج فيهم الحسد، والغيرة، والحقد، والوشاية، والفتنة...الخ.



ومن الناس من يقاطع الآخرين، ويعتزلهم، ويتجنبهم لمثل هذه الأمراض، فيزيدوه فوقها عداوة واعتداءً، وتنمرًا، وانتقامًا، وتضييقًا، مقصودًا، فبدلًا من مكابدة أمراضهم النفسية، صار يكابد أمراضهم المادية، ولم تنفعه العزلة، ولا يخلو من ضد، ومنافس، وحاقد، وحاسد، ومتطفل، ولو حاول العزلة في رأس جبل، فشرار الناس يحتاجون للمداراة لدفع شرورهم، وموبقاتهم عن النفس، ولأن في إشغال العقل بحروبهم النفسية، والمادية، إشغال للفكر عن الدنيا والدين، وما ينفع، وما يثمر، وفيه إشغال للوقت بالتضييع، وللبدن بالأسقام. نسأل الله العافية.

- **أنواع الأفكار**



كل فكرة تحتمل وجهين للتأثير، وجهًا ايجابيًا، ووجهًا سلبيًا:

كل فكرة إيجابية تؤثر عليك بشكل إيجابي: بالشكر، والتقدم، والتزود؛ فهو توفيق من الله تعالى ثم من النفس المطمئنة.

وكل فكرة ايجابية تؤثر عليك بشكل سلبي: بالغرور، والتكبر، والتعالي؛ فهو من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء.

وكل فكرة سلبية تؤثر عليك بشكل إيجابي: بالتصحيح، والتقدم، والتعلم، فهو توفيق من الله تعالى ثم من النفس اللوامة.

كل فكرة سلبية تؤثر عليك بشكل سلبي؛ فهو من الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء.

فاجتمعت النفوس الثلاثة: المطمئنة، واللوامة، والأمَّارة بالسوء.

فكان الحظ الأكبر للنفس الأمارة بالسوء، يعينها الشيطان، أو تكون عونًا للشيطان.

فاللهم سلم.

- **إدارة الأفكار مع الآخرين**

إدارة الحوار مع الآخرين مثل حل المسائل الرياضية، بعضهم يبني اللاحق على السابق، وبعضهم يترك السابق ويضيع في اللاحق، فلا أقام برهانًا ولا وضع اثباتًا. وإذا كان من يحاورك أعلى منك في الأسلوب، واللغة، والأداء، فحاول أن تجاريه في أسلوبه الراقي، وأداءه العالي، وإن كان محاورك أقل منك في الأسلوب؛ فاحذر أن تنزل إلى أسلوبه، فلا هو سيستفيد منك، ولا تركك على منزلتك، ومكانتك.



وكثير من الناس في كلامهم وحواراتهم ومجادلاتهم على مثل النموذج التالي:

المدير: أين كنت بالأمس ولم أرك؟

الموظف: كنت في المركز الصحي، لموعد مع الطبيب.

المدير: فما سبب غيابك عن العمل؟!

الموظف: وعكة صحية منعتني من الحضور.

المدير: فلماذا افتقدناك أمس إذن؟!

الموظف: كان عندي إجازة رسمية.

المدير: لماذا قطعت الإجازة إذن، وحضرت اليوم؟

الموظف يطالع المدير متعجبًا ولا يجد ما يقوله.

- **بضاعة الشيطان**

عندما أدخل السوق؛ أشاهد كيف يسقط الناس في فخاخ الشياطين بالكذب، وتطفيف الميزان، والسرقة، وكثرة الحلف، وتحريضهم بالحسد، والمكايدة، والمنافسة، والمخاصمة، وقد يصل الأمر للسباب، والعراك، والتضارب، والتدافع...الخ؛ فأقول الحمد لله الذي نجى أهل العلم وطلابه من هذا المستنقع.

ولم ألبس طويلا حتى رأيت طالبين من طلاب العلم يتطوعان لإمامة المسجد الذي يقطنان بجواره وقد دخل الشيطان بينهما من هذه الإمامة حيث سقطا في فخ (النفسنة)، والغيرة، والأسبقية، والأقدمية، والأولوية...الخ؛ فصار كل منها يتصيد للآخر لحنًا خفيًا في القراءة، أو كلمة ينساها، وتصاعد الأمر إلى المكايدة، وتأليب الناس على بعضهما، وتصاعد الخلاف إلى التهديد، والوعيد، وسعي البعض بينهما بنقل الكلام بحق، وباطل.

فقلت في نفسي: وكأن الشيطان يعرف كيف يسوق بضاعته بين هؤلاء وبين أولئك، فصنت نفسي عن مواضع الزلل، وفخاخ إبليس، وغرور البشر، فصرت أتجول من مسجد إلى مسجد، ولا أتصدر الإمامة إلا أن ينادى علي فأعتبر ذلك تكليفًا، فإن تقدمني أحدهم فرحت، وقلت حمل عني فرض الكفاية.

اللهم أصلحنا وأصلح أمة محمد صلى الله عليه وسلم. نعوذ بالله من همزات الشياطين وأن يحضرون.

آمين.

- **الهزيمة النفسية**

كثير من الناس يُصابون بالهم والضيق والاكتئاب، ويميلون لإيجاد تفسيرات متفاوتة لذلك، فمنهم من يراه ضعفًا، حسدًا، تفكيرًا سلبيًا، أو هزيمة نفسية، وكل ذلك وارد حصوله ووقوعه، فما هي الهزيمة النفسية؟ وما أسبابها، وكيف يمكن علاجها؟



***معنى الهزيمة النفسية:**

الهزيمة النفسية، في رأيي، هي تراجع قدرة النفس على مواجهة الآخر، أو المواقف بشكل صحيح، أو في ظروف طبيعية لضعف الحجة، أو لضعف المادة.

***أنواع الهزيمة النفسية:**

١ – الهزيمة بحق لضعف الحجة، أو الوقوع في غلط، أو تقصير في الواجبات مع ضعف المهزوم أو عجزه عن معالجة الأمر، واستعادة قوته النفسية، وإحداث توازن في الميزان النفسي مجددًا مع الآخر، وإعادته لما كان عليه، وربما بزيادة في حقه بأداء ما يجب عليه مما قصر فيه سابقًا، والزيادة فيه بالإحسان، حتى إذا ما شاب الواجبات تقصير؛ شفع الإحسان لصاحبه، كالنوافل للصلاة مع الله تعالى، وله سبحانه المثل الأعلى، فكذلك الإحسان للواجبات مع الناس. وبعضهم يستطيع الاحتفاظ بتوازنه النفسي رغم تقصيره، أو غلطه، وذلك بتصنع عدم المبالاة، أو عدم التأثر؛ فيضحك أو يغير مجرى الأمور في اتجاه مختلف، أو يتمكن من مهاجمة الآخر في عيوبه بالتبادل. ومنهم من لا يبالي مطلقًا لاتصافه ببرود المزاج حقيقة لا اصطناعًا، أو قلة الخجل والحياء، وبعضهم يزداد بالتقصير عنادًا، والغلط غرورًا، ويأخذ الميزان النفسي لصالحه؛ وهذا هو المتبجح، المجاهر، المفتخر بالباطل، أو العيب، أو الخطأ.

٢ – الهزيمة النفسية بباطل لضعف القوة، قوة المادة، أو قوة العقل، أو قوة القلب، فالمهزوم صاحب حق؛ لكنه ينهزم نفسيًا لضعف قوته البدنية أمام خصمه فيضعف، أو ضعف قوته العقلية فلا يملك البداهة، أو الذكاء، أو الأسلوب المناسب في الوقت المناسب، أو ضعف قوة القلب؛ فلا يملك الشجاعة لمواجهة الأقوى منه سلطة ومكانة، والشجاعة تحتاج لشيء من المخاطرة، وليس كل المخاطرة لأنها تهور. فإن اجتمع له أن كان صاحب حق، ومعه القوة التي يحمي بها هذا الحق، ويملك الأسلوب المناسب الذي يطلب به هذا الحق، فهو أبعد من أن يدخل في دائرة مغلقة من الهزيمة النفسية.

***عوامل أخرى:**

وثمة عوامل أخرى تتحكم في مسألة الهزيمة النفسية؛ مثل أن يمتنع أحدهم عن الرد احترامًا لقدر نفسه، وتعاليه عن السفاسف؛ فيؤثر الكتمان عن البوح، والإهمال عن الاهتمام، إلا أن الكتمان يحدث فيه أثرًا قريبًا من آثار الهزيمة النفسية، فهو في صراع بين الرغبة في الانتقام لنفسه، وبين الاحتفاظ بصورته الجميلة الموقرة في نظر الآخرين. وقد يمتنع آخر عن الاعتراف بخطئه إلا متأخرًا، بعد تدحرج الأمور، وتحول ميزان القوة، وارتفاع السقف النفسي للآخر، ومستوى الجُرأة لديه، أو أن ينخدع أحدهم في قدرات نفسه، وتصوراته عن ذاته وإمكاناته، ويتضح له متأخرًا أن كل ذلك بخلاف ما كان يظن، وقد تآكلت قوته المادية، أو الناعمة خلال مرحلة الانخداع تلك.

***أمثلة على الهزيمة النفسية:**

قد ينهزم الرئيس نفسيًا لمرؤوسه لكون الأخير على حق، ويملك القوة والقانون، وقد ينهزم القوي المتغطرس نفسيًا لمهارة الضعيف في التعامل مع نقاط الضعف في الأول، أو لعلمه بقدرة الضعيف على الحاق الأذى به، بينما هو يطمح في معركة خالية من الخسائر، وقد ينهزم الظالم، القوى، المتجبر بسبب شجاعة الضعيف، وقوة صبره، وتحمله، وتمسكه بقيمه، ومبادئه، وقد ينهزم القوي، الساذج نفسيًا أمام الضعيف الذكي، فتتحول المعركة من معركة المادة إلى معركة العقل، والفكر، فتكون الغلبة للأخير مثلا. وأسوأ الجميع المتبجح المجاهر، من لا ماء في وجهه، ولا مروءة في نفسه، ولا حياء في خُلقه، فمثل هذا من الصعب هزيمته نفسيًا، إلا بالسيطرة على جميع مراكز القوة لديه وإدخاله في مرحلة الخوف والرعب، وقد ينهزم المتكبر أمام المتواضع، عندما يعيد المتواضع الكرة على المتكبر فيتكبر عليه بحق، فيكون الأول متكبرًا بباطل وهو البادئ، ويكون الثاني متكبرًا بحق؛ فينهزم الأول لعلمه بأنه المتسبب في ردة فعل الثاني.وقد ينهزم الموظف في دائرة عمله أمام مديره الظالم أو المتغطرس لأن الأول لا يملك خيارات فينزل على رغبة رئيسه –لا عن حق – بل عن انهزام نفسي في داخله، لكن الأعجب والأغرب أن يقوم هو بدوره بالانتقام لنفسه ممن هو دونه في نقلة نفسية تعويضية تُكرس للظلم، وتوسع من سلطته المستبدة، كمن يتساهل في

اعتماد منتج غير جيد لأن المقدم رئيسه، ثم هو نفسه يتشدد في اعتماد منتج آخر أكثر جودة من الأول لكون المقدم مرؤوسه.

وتتوقف خطورة الهزيمة النفسية على خطورة الموقف أو الآخر، وتداعيات ذلك وتبعات الصراع النفسي في مستقبله القريب أو البعيد.

***من علاجات الهزيمة النفسية وطرق تجنبها:**

ومن أقوى العلاجات للهزيمة النفسية؛ حرص الإنسان أن يكون على حق دائمًا، ويؤدي ما عليه من واجبات، ويجعل الإحسان حماها، ويحذر تصيدَ الآخرين للأخطاء، بل يحذر من اصطناعهم للأخطاء، وإلصاقها بالغير، ويحصن نفسه بالقوة الممكنة، كأن يبني علاقات قوية مع أطراف أقوى من أطراف الصراع المحتملة، بحيث يمكن للأطراف الأقوى تقديم القوة اللازمة له عند الحاجة؛ لكبت الظالم وردعه، وعليه أن يتحلى بقدر من الشجاعة، والحيلة، والأسلوب، فليتفطن لهذا، وتقوى الله تعالى تدخلك في معيته ورعايته وحفظه،(ومن يتق الله يجعل له مخرجًا)، والله أعلم.

- **مقترحات لسعادة الروح بعد الستين**

السعادة الحقيقية، بعد أن يتحرر الإنسان من قيود، وروتين العمل، والتخلص من أعباء الحياة الكثيرة، فيقبل على الحياة بصورة أكثر شبابًا وحيوية، فالخبراء يسمون هذه المرحلة: "ربيع العمر الحقيقي"، وهي فرصة للإنسان لالتقاط الأنفاس، فيجد الوقت والمتسع لإنجاز أحلامه، والتواصل مع الأهل، والأصدقاء، والتفرغ لهواياته، ويكتشف نفسه بعد تأمل الإمكانات الداخلية التي ضاعت في خضم المسؤوليات الكثيرة.

ومن أفضل العبادات في الإسلام، عبادة التأمل، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) البقرة.



لكن التأمل يحتاج غالبًا إلى صفاء ذهني، وإيمان قلبي، وأفضل ذلك ما يكون بعد الستين، وهذا التأمل بإمكانه أن يثمر ما يسمى ب (علم التنظير)، فيقوم بتنظير المواقف؛ أي كتابة المواقف العملية على شكل نظريات فلسفية، فيسترجع بأثر رجعي المواقف التي مرت به في حياته، ويتأملها. ويتأمل أهم الروابط التي تحكمها، ويخرج من ذلك بقوانين نظرية، تأملية، فلسفية، تترجم وجهة نظره الخاصة في الحياة، وقناعاته الذاتية في البشر، والطبيعة، والكون. وهذه من أذكى الرياضات العقلية، والفكرية التي تجلب سعادة لصاحبها لم يمر بها من قبل، وسيكون من عميم الفائدة أن يشاركها مع أصدقائه على مواقع التواصل مثل الفيس، (وتويتر)، (والواتس)، وغيرها.

ويمكن للإنسان بعد الستين أن يضع لنفسه برنامجًا متنوعًا كالآتي:

أ – حفظ ولو ربع أو نصف صفحة أو صفحة كاملة يوميًا من القرآن في وقت محدد يجلسه في المسجد أو البيت، والأفضل من بعد الفجر، إلى شروق الشمس، ثم صلاة ركعتين بعد الشروق بربع ساعة، مع أذكار الصباح؛ فيكون قد حفظ قرآنًا، وقال الأذكار، وحصل على حجة، وعمرة تامة، تامة، تامة كما في صحيح الحديث. أو بعد العصر إلى المغرب.

ب – التأليف، وكتابة الذكريات الإيجابية، في شكل دروس، وعبر للأجيال للاستفادة من الخبرات المتراكمة وتفادي الأخطاء المستجدة.

ج – تخصيص أجندة كبيرة بعنوان (رحيق الكتب والقراءات)، فيقرأ كتابًا، ويتصيد منه أهم ما فيه، أو المعلومات الجديدة، سيما كتب التفسير، وعلوم القرآن، ومختصرات الفقه، والسير، وفيها متعة عجيبة. وقد أنشد أحمد شوقي:

أنا من بدل بالكتب الصحابَ   لم أجد وافيًا مثل الكتابَ

صـــاحب إن عبته أو لم تعب   ليس بواجدٍ عليك عتابًا

وعلقها على بابه؛ ففهم الناس فكفوا عن زيارته، وتضييع أوقاته في غير فائدة.

د – العمل التطوعي الخيري، مثل إعطاء دروس، أو محاضرات، أو ندوات تطوعية، تثقيفية، ولو في مكان العمل السابق، محتسبًا الثواب من الله تعالى، ثم التواصل مع الأجيال، وتلقيح العقول، والأفكار.

ر– الاهتمام بكتب السيرة، والقصص؛ مثل قصص الأنبياء، لابن كثير، أو صحيح قصص الأنبياء، وسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والصحابة، مثل كتاب رجال حول الرسول لخالد محمد خالد، وصور من حياة الصحابة لرأفت عبد الرحمن باشا، وله كذلك صور من حياة التابعين...الخ.



ز – ممارسة مشروع حياتي ولو مادي يكون قريب من التخصص، فمثلًا لو كان معلمًا فيناسبه مكتبة، أو التعليم عن بعد، أو دروس خاصة مدعمة. ولو كان اجتماعيًا فيناسبه مكتب استشارات اجتماعية أو أسرية.

ه – الاجتهاد في تعويض ما فات من العبادات، والختمات، والتلاوات، وصلة الأرحام، والأقارب.

ن – العمل في القضاء العرفي؛ سيما لو كان الشخص خلوقًا، وله كاريزما ومحبة وقبول، فبإمكانه أن يصلح افرادًا، وجماعات، وبيوتًا، وعائلات، وهذا أثقل في الميزان عند الله من الصلاة، والصيام، والقيام.

و – الاجتهاد في استكمال أركان الإسلام الخمسة ومنها الحج، والعمرة، بقدر المستطاع؛ ليقابل الله وقد جمعها جميعا.

ي – يحرص أن يبدأ يومه بالقرآن، ويختمه بالقرآن، وتكون له ختمة على الأقل كل شهر هجري. فيختم ١٢ مرة في العام.

- **لأجل المصلحة**

يقول أحدهم (وكان مديرًا في عمله):"كنت أعيش في همٍ كبيرٍ بسبب كثرة الاتصالات علي، وعن حالي، ورسائل صباحية، ومسائية، ودعوات على الغداء والعشاء، وإزعاج من النوم، واقتحام لحياتي، وأوقاتي الخاصة، واهتمام مبالغ فيه، وبمجرد أن انتقلت من عملي إلى وزارة أخرى وهي التعليم، وما كاد الجميع يعرف بذلك؛ حتى انقطعت كل هذه الاتصالات، والرسائل، وانقطع الاهتمام والسؤال، وانقطعت الهدايا، والمجاملات، وانقطعت الزيارات، والمدح، والثناء، وكنت أغتر بذلك، وأحمله على محمل الحقيقة، والإخلاص، فانتفع بذلك أقوام، وحاذوا المصالح، والوظائف، والمقامات.

لكنني فهمت الدرس الآن، ففي الوزارة الجديدة؛ أقبل علي الموظفون بلون جديد لم أعهده من قبل، إضافة لما سبق ذكره؛ وهو القدح في المدير السابق حتى يدخلون على الفرح، والغرور، والتسليم، والتخدير، والتعمية، والتنويم، فقلت في نفسي: لعل من عملت معهم سابقًا، ومددت لهم يد الخير، والإحسان، والبر،

يقدحون في شخصي أمام مديرهم الجديد، ولما لا؟! وقد أصبحت ماضيًا غابرًا، والحاضر يؤذيه مدحي، والماضي قد مضى بذكري.



تنفست الصعداء، ومددت قدمي طويلا تحت فضاء مكتبي، وعانقت رأسي بذراعيّ، وتمددت للخلف قليلًا، وأنا أزفر: إيه... يا لها من مصالح، وكم قتلت فينا بسهم جارح، وكم لعبت بإنسانيتنا فوق المسارح، وليست تدوم لنا المطارح، إنما الحياة يوم وبارح.

ثم انتبهت لنفسي وهي تسْجع لي تلك الكلمات، وقد قررت من فوري أن تكون جميع العلاقات منتهية بمكان العمل وزمانه، وما زاد فلنفسي وخاصة أمري، وأهلي وارحامي، وألا أضيع عمري وراء الأوهام (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا).

70- ملكات الخير ونوازع الشر

قد تخاطب ملكات الخير في إنسان شرير، أو مجرم، أو منحرف عن الجادة؛ فترى منه خيرًا، وقد تخاطب نوازعَ الشر في إنسان صالح على الجادة؛ فترى منه شرًا. فخاطبوا ملكات الخير في قلوب الناس؛ صالحهم، وطالحهم، ولا تستفزوا نوازع الشر في قلوبهم، فلا تجنوا إلا شرًا، وخسارًا؛ لأن نفوس البشر نفوس عاطفية، لا تتوقع منها العدل مع الهضم، أو المخالفة، أو حتى الاختلاف، فالنفوس البشرية تحب الموافق لها، أو من

يخالفها برحمة، ولين، وود، ويحسن العزف على أوتار القلوب، فيحيي خيرًا كاد يموت، أو يوقظ خيرًا كان نائمًا، أو يستدعي نبلًا مدفونًا، أو ذوقًا غير معهود، أو له عهد به بعيد.



وستجد بعد التأمل أن مدار ذلك كله على توفيق الله تعالى لك، ومنحه الموهبة، والتحلية بحسن الأسلوب، وبهجة الطالع، وبسمة الثغر البش، ولين الخطاب، والتودد، والتحبب بالإكرام في المشاعر في مقام المعاني، وبالضيافة والإهداء في مقام الماديات، بالإضافة إلى سماحة النفس وتسامحها، وعفوها وصفحها، لترث من القلوب المحبة، وترث من النفوس الاحترام، وترث من العقول الثقة والمصداقية.

*** ابتلاء السرائر**

إذا خالف العبد بين السر والعلانية، واستطاع أن يكتم ذلك عن الناس، يأتيه ابتلاء يبلو الله به سره؛ فلا يستطيع إلا أن يكشف عن مكنون نفسه، ولا يقدر على الخروج بالمعاريض، والتأويلات، فيفتضح أمره للناس وما كان قد أخفاه عنهم، من صلاح العلانية مع قبح السر. وعليه فقد تُبلى السرائر في الدنيا قبل الآخرة، وتبلى أخبار النفوس الغائبة عن الخلق للخلق. نسأل الله جميل ستره وعظيم عفوه.



- **العلاقات الاجتماعية**

بين الايمان والعقل والعوارض النفسية

لماذا نحب الاخرين ولماذا نكرههم؟ لماذا نضحي من أجلهم ولماذا نضحي بهم؟ لماذا نقترب منهم ولماذا نبتعد عنهم؟ لماذا نعشق الحب منهم ثم نعشق كراهيتهم؟

لماذا؟!

نعم احيانا يتمتع الانسان منا بكره الناس له بقدر ما كان يتمتع بحبهم، وأحيانا يجد شيئا من الخسارة إذا تحسنت علاقاته ببعض الناس بقدر ما كان يجد مثل هذه الخسارة إذا ساءت هذه العلاقة معهم لماذا؟ لماذا يطيب للإنسان ان ينظف ذاكرته من بعض الناس بقدر ما كان يطيب له احتواء ذاكرته على امثالهم، لماذا؟ لماذا هذا التقلب في الشعور لدى الاخرين؟ وما مصدره؟ هل هو مرتبط بتقلب السلوك الانساني حتى اذا تغير السلوك تغير الشعور؟ فما الذي يحكم تغير السلوك اذن؟ هل هناك ارتباط بين السلوك وما يسبقه من مقدمات كموقف يولد تفكيرا يثير انفعالا وتفاعلا فينتج سلوكا؟ وهل معنى ذلك أن السلوك الانساني ليس فقط وليد مواقف ومؤثرات اجتماعية بل وبيولوجية ونفسية وعصبية ايضا؟ وهل المؤثرات الوراثية تتدخل في تشكيل تفكير وسلوك الانسان، فيشبه الولد أباه أو امه أو خاله أو عمه، ليس فقط في الصورة والرسم؛ بل في السلوك والفعل والتفكير والتفاعل؟

كل ما سبق من أسئلة في أنصافها الجوابات التي تفيد بأن عملية البناء والهدم في العلاقات البشرية خاضعة لمؤثرات ليست بالقليلة، وليست قابلة تماما للتحكم والسيطرة ولا للخضوع ولا للترويض التام مهما حاولنا او أبدعنا، ويبقى السؤال: أيهما اسهل واسرع: البناء ام الهدم في مجال العلاقات الاجتماعية؟

مثل العلاقة الطيبة مع الاخر كمثل ورقة بمبعد عن النار، وكلما اقتربت هذه العلاقة الطيبة من المشاكل والخلافات والنزاعات والإيلام والنوايا المتلونة وقسوة الحياة وروح العداء والانتقام والحروب النفسية والعصبية والمكر والكيد والخداع؛ كانت كاقتراب الورقة من النار حتى لا يكون ثمة مسافة فتأكل النار الورقة، وتأكل

كل هذه العوامل العلاقة الطيبة مع الاخر، وكل علاقة مهما كانت قوتها وصلابتها لها نار تتربص بها عن بعد ولا استثناء من ذلك البتة، ولو كانت علاقة بين الام وابنتها وبين الاب وابنه، وما دون ذلك اولى بالحذر، والواقع يشهد على تصدع اقوى العلاقات وأشدها متانة بين اقرب البشر وأقواهم صلة ورابطة ونسبا ودما، وأخلاقا وتدينا وزهدا، والسؤال: أين تكمن المشكلة؟ ما السبب؟ وكيف العلاج؟

لا شك ان السبب الرئيس هو الاخلال بأسس العلاقة الصحية من الطرفين أو كليهما، عن قصد او بدون قصد او بسوء فهم او هوج في الطبع، أو بسبب طرف اخر بطريق الوقيعة والنميمة والكذب وغير ذلك، مما يغذيه الشيطان وينزغ فيه ما استطاع سواء في القول أو في الفعل، ﴿وَقُل لِعِبادي يَقولُوا الَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بَينَهُم إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلإِنسانِ عَدُوًّا مُبينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. ﴿إِنَّما يُريدُ الشَّيطانُ أَن يوقِعَ بَينَكُمُ العَداوَةَ وَالبَغضاءَ﴾ [المائدة: ٩١] ﴿وَكانَ الشَّيطانُ لِلإِنسانِ خَذولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]

اذن من المهم ان نقول ان مما يساعد في بناء العلاقة تصاعديا أن تنهض على التقدير ويحكمها الاحترام المتبادل وتقوم على التجرد من المصالح والاهداف المنفعية التي ان قدر لها ان تتعارض كان في تعارضها هدم العلاقة وانهيارها وحدث عن ذلك ولا حرج.

أما الهدم في العلاقات الاجتماعية والهبوط بها تنازليا فيقوي من شوكته تضارب المصالح والاشتراك في حمل المسؤولية الواحدة وعدم اتساع الافق وغير ذلك مما سيأتي في المقال. والسؤال: على تعدد العلاقات الاجتماعية وألوانها وطبائعها واشكالها، ترى اي علاقة منها هي الأقوى تماسكا وصلابة؟

يرى البعض أن الصداقة الحميمية هي أقوى انواع العلاقات الانسانية لما تتمتع به من حب وايثار. ويرى اخرون ان الاخوة الدينية هي الأكثر صلابة وتماسكا لأن طرفي العلاقة اجتمعوا على كلمة الله وفي الله ولله بعيدا عن المصلحة الدنيوية والمنفعة المادية.

وبالمقابل: ما أكثر العلاقات البشرية وهنا وضعفا؟

يرى البعض أن علاقة الزمالة في العمل هي اضعف العلاقات لما يطرأ عليها من الغيرة والحسد والوشاية والوقيعة والنميمة والوصولية...الخ، ومما يؤكد ذلك أن بعض اطراف هذه العلاقة قد يكون على قدر من التدين والاخلاق والثقافة العلمية إلا ان تضارب المصالح يلغي هذه المقومات الطيبة والخيرة في النفوس وينعكس سلبا على العقول فتنتج تفكيرا نفسيا انتقاميا لا تهدأ رحاه بل قد تنهار قوى التفكير الطبيعي لدى هذه الاطراف حتى يصبحوا أضحوكة للآخرين، وان كان هذا عجيبا فإن الأعجب من كل هذا أن يكون هذا النمط السلوكي والعقلي مع عدم التعارض بين المصالح بل مع تلاقيها، لكن لغلبة العاطفة على العقل يفضل الجميع او بعضهم او احدهم افساد العلاقة حسدا او حقدا او غباء...الخ، فتجد جوا ملبدا بالغيوم والوشايات والتحريض والفتن؛ كأن هذه طبيعة بشرية لا يستطيع البشر الحياة بمنأى عنها.

وتدفعنا المصالح المتضاربة الى الخوف على شيئين مهمين هما:

المادة والبقاء.

فحين يسوء الدخل المادي بسبب الاخر تتجه العلاقة بينهما الى الانحلال وقد تصل الى الانهيار. وحين يهدد أحدهما في بقائه في مكانه او مكانته او وظيفته بسبب الاخر تتجه العلاقة إلى نفس المصير السابق. ولا يفهم من حديثنا عن المادة والبقاء عدم وجود عوامل اخرى لكن هذين العاملين في رأيي هما أقوى عوامل انهيار العلاقات الاجتماعية.

فما هو العلاج لمثل ذلك؟

في رأيي أن العلاقات الاجتماعية تدور بين قطبي رحى في قضية العلاج، وهذان القطبان هما:

الإيمان والعقل.

أما الايمان فيعيد الى عقول هؤلاء وأولئك بعضا من النضج الفكري الذي تهاوى وتحطم داخل عقولهم، يعيد حالة من الصفاء والوئام والحب والخير والتعاون، يحرر العلاقات من قانون الغاب وشره الكراهية.

كلمة الايمان كلمة نافذة الى القلوب تجعلك تؤمن بأن مادياتك مقسومة لك بقدر، وما أصابك إنما هو بقدر، ورزقك مكفول بقدر، وليس لك أن تعادي وتخاصم وتكره وتحقد بناء على أسباب قدرية، فقط عليك ان تأخذ بالأسباب وعينك على الاهداف. هذا بالنسبة للماديات، وبالنسبة للبقاء فعليك أن تؤمن بأن بقاءك هو بقدر الله سواء في مكانك او وظيفتك او مكانتك او وجاهتك طالما أنك اجتهدت في الأخذ بالأسباب المشروعة في الحفاظ عليه، ولم تركن إلى الكسل والخمول واللامبالاة. علينا بدلا من أن نسيء للعلاقات بيننا ثم تتضرر من ذلك النفوس والأمزجة والأعصاب والأخلاق ربما لدرجة الارهاق النفسي والعصبي والعقلي، وبدلا من ذلك يجب علينا اللجوء الى الله تعالى لنتحلى بالأخلاق والآداب والأفق الواسع والصدور الرحبة والقلوب الكبيرة والعقول المفكرة المنهجية التي تتغلب على عواصف العواطف المتخبطة.

تأمل معي كلمات معجزات في قول الحق سبحانه: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا).

وتأمل معي كلمات طيبات للرسول صلى الله عليه وسلم تساعد على تفريغ النفس من عناء التفكير في مكان وزمان وكم وكيف ولماذا ...؟! تأمل بعينيك وتدبر بعقلك واستلهم بقلبك هذا العطر الفواح في هذه الكلمات النبوية:" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفعك بشيء لن تنفعك إلا بشيء قد كتبه الله لك واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان تضرك بشيء لن تضرك الا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الاقلام وجفت الصحف".

اذن الايمان سيعالج الجزء الأكبر من التوتر في العلاقات الاجتماعية لكن السؤال الواقعي المطروح أيضا: هل يمكننا أن نزرع حبوب الايمان في قلوب البشر جميعا فتصبح نباتا ناضجا مثمرا؟!

هنا نحتاج إلى مصادر علاجية اخرى تساند الايمان ومن اقوى هذه المصادر او العناصر بعد الإيمان هو العقل، نعم! انه العقل الذي يستطيع أن يميز بين الحسن والقبيح والنافع والضار والمروءة والخسة والواجب

والتقصير، فالعقل حجة على البشر وهو ما يميزهم عن غيرهم من الكائنات الاخرى، لكن السؤال: أي حلول علاجية يمكن للعقل ان يساهم بها في انقاذ العلاقات الاجتماعية من التوتر والانهيار؟

في رأيي أن العقل يمكنه أن يساعد في بناء أو تحسين العلاقات الاجتماعية بمجموعة من الاستراتيجيات السلوكية ومنها:

استراتيجية التضحية

استراتيجية الاحتواء وتشمل الاحسان والترويض والذوق الراقي.

استراتيجية الوساطة والإصلاح

استراتيجية العفو والصفح والتسامح

استراتيجية الجمع بين اكثر من استراتيجية

وغير ذلك.

وعندما نقول بالعقل بعد الايمان فلأن الناس لا ينطلق جميعهم من منطلقات دينية ايمانية، ولكن في الامكان للكثير منهم ان ينطلق منطلقات عقلية واعية، وهذه هي المرحلة الثانية الواعية والمتزنة في التعامل مع علاقاتنا الاجتماعية قبل الانتقال الى مرحلة السيطرة العاطفية من خلال العوارض النفسية والتي عندها يبدأ العد التنازلي لعلاقاتنا في كثير من عناصرها.

أما التضحية فتنشأ من تعرضك لموقفين او ظرفين في حاجة منك لإنتاج أحدهما على حساب الآخر، وغالبا لا تجد بدائل أخرى امامك، مثلا:

أنت أمام رئيسك المتسلط الذي يأمرك بما يخالف اداب المهنة وأصولها وأمانتها وهو قادر على اقصائك ان لم تكن طوع امره، وامام ضميرك الذي يملي عليك الامانة والإخلاص وعدم الغش...الخ، فأيهما تنتج: رضا الرئيس أم رضا الضمير؟!

او أنت بين استكمال دراستك العليا والتخلي عن طموح الزواج والاسرة لأجل غير مسمى أو الزواج والتخلي عن طموح الدراسات العليا، فأيهما تنتج وبأيهما تضحي؟!

فالتضحية قانون عام طبيعي في حياة البشر يحكم ظروفه وإمكانياته فلماذا لا نحكم هذا القانون الطبيعي في علاقاتنا الاجتماعية؟

لكن السؤال المقابل: هل للتضحية تعريف اجتماعي ثابت عند الجميع أم أنها تخضع للنسبية في المواقف والزمان والمكان وطبيعة أطراف العلاقة؟!

في الحقيقة وجوابا على هذا السؤال الهام فإن الناس يختلفون في فهمهم للتضحية باختلاف العوامل الحاكمة لها، فيفهمون التضحية من القوي تجاه الضعيف على انها إحسان وإنسانية وشفقة وعطف، بينما تفهم التضحية من الضعيف على أنها جبن وخضوع وخوف.

وربما يضحي زميل عن طريق الصمت والسكوت عن سوء اخلاق زميله لأجل تصفية أجواء العمل فيفهم الآخر ذلك على انه انهزام نفسي وقلة حيلة ويشعر بمزيد من الاستقواء بدلا من الخجل والحياء من النفس، وربما ادى ذلك الى انفجار الحليم وغضبه فيتبدد الوقار والاحترام وتعم الفوضى والغوغائية اذا لم يستطع أحدهما احتواء الاخر، وهذا هو المنتج العقلي الثاني في التعامل مع العلاقات الاجتماعية وهو القدرة على الاحتواء.

وكما تكون التضحية بين بديلين قد تكون بين مجموعة من البدائل فما يسري على الفرد يسري على المجموع وهذه سمة الإنسان الحديث حيث أصبحت الطموحات معقدة ومتشابكة ومركبة، الذي أدى إلى تراجع الحكمة في الأداء الاجتماعي وارتفاع معدلات التدهور العصبي والعقلي لدى الإنسان.

أما الاحتواء فيشمل القدرة على الشدة والقدرة على اللين بما يتطلبه الموقف ليتم احتواءه بسلام، فالبعض يمكن احتواءه باللين والبعض لا يمكن احتواءه الا بالشدة، وغالبا فالانسان الكريم يأتي باللين والذوق

والأسلوب الراقي، وغالبا اللئيم لا يأتي إلا بالشدة لأنه يخاف ولا يستحيي، وعليه فليس كل الناس قادر على التضحية ويريد أن يحصل على حقه فيفعل ذلك بالاحتواء والترويض.

ومعنى الاحتواء:

أن تهتز قوة الشر أمام قوة الخير والحكمة والعقل، فتتراجع عن غيها وكراهيتها وحقدها وعماء بصيرتها بعدما ينتابها الخوف او ارسالات التوبيخ من اعماق الضمير، أو أن تهتز قوى الخير والجمال أمام قوة الشر بعد أن يفلت زمام الامور من قوى الخير، وينتابها الخوف على البقاء أو التهديد في النفس او الرزق فتلوذ بالصمت أو الجبن.

وسيكون من المحزن أن يتخلى الانسان عن الحلول الايمانية والحلول العقلية في تعامله مع علاقاته الاجتماعية ويستبدل ذلك بالعوارض النفسية العاطفية فيتأخر المنطلق الإيماني والمنطلق العقلي ويتصدر المنطلق النفسي، وهو منطلق غريزي ينزل بالإنسان لمستوى الكائنات غير العاقلة في عالم الغاب، وهو المشاهد في كثير من الوقائع الاجتماعية الحياتية حيث لا مرجعية دينية ايمانية لكثير من سلوكياتنا تجاه الاخر ولا مرجعية منطقية لغالب التصرفات الاجتماعية، ومن ثم أصبحت المنطلقات النفسية عوائق خطيرة الصحة الاجتماعية وتعوق تقديم الحلول المناسبة للمشكلات والخلافات والنزاعات لتحكيم الأهواء والأمزجة.

ويدخل في ذلك الحقد الاجتماعي والحسد والفوقية والغرور والرغبة في التميز والتفرد على حساب الاخرين والنفاق والوصولية الاجتماعية التي تبني بالهدم وأعني الهدم لحقوق الاخرين وتسلق ذلك كله للعلو المزيف والسريع.

- **تعرف على عقول الناس**

لا تنبسط مع إنسان وتفتح له قلبك، وتكون معه على سجيتك قبل أن تعرف حقيقة عقله؛ فقد يكون غشيما وقد يكون صاحب مكيدة، او مريض بكيد النسا،

وقد يكون ماديا، او أهوجا، أو بخيلا، أو نماما، أو مندفعا، أو فتانا، او كذابا،

وإذا كنت في مجلس بين رجال لا تعرفهم، أو لا تعرف بعضهم؛ فتأخر في الحديث حتى يتحدثوا، وتتعرف على مستوياتهم العقلية، وتنظر هل يفهمون عنك أم لا، وهل من الأفضل التكلم أم الصمت.

والتحدث في الأمور العلمية ولو على غير مرادهم أسلم لشخصك، وقدرك، ومروءتك؛

فإن العامة يحتقرون العالم إذا خاض في عاميتهم، وتساهل مع تساهلهم، وضحك، وألقى النكات، والطرائف، أو استمع منهم، وتجاوب بالضحك، والقهقهة.

والحديث بالعلم خير من الصمت لأن الصمت فيه تهمة الكبر، والكبر فيه مظنة الحقد، والكراهية. وتبسمك خير من عدم تجاوبك البتة معهم، وامتلاكك لدفة الحديث، والمجلس، وتوجيه الجميع لما فيه الخير للجميع؛ كسلامة الصدور، وصفاء القلوب، والاستفادة من العلم خير من كل ما سبق.

لكنك قد لا تعدم حاسدا لك على العلم؛ فيريد أن يؤخرك، أو يتصيد لك، أو يحرجك أو ...فانتبه لذلك إذا وقع، وقابله بالحلم، وتطييب الخاطر، وإظهار التواضع، وخفض الجناح.

والله وحده من يحفظك، ويسلمك من أذى الناس، والقلوب.

- **الكبت والكبت المقابل**

الإنسان الذي يكبتك متعمدا مستمتعا مغرورا فرحا متربصا قد يكون له ثأر سالف أورثه ضغينة دفينة وهذا لن يحزن عليك كما أنك كبته من قبل وربما لم تحزن عليه والبادئ أظلم ولو أنك أردت القصاص لنفسك فسيقتص لنفسه من جديد وإن كان متوجبا على احد أن يقطع هذه الدائرة من الكبت والكبت المقابل أو الإحراج والإحراج المقابل فهو الذي بدأ ذلك أول مرة وإلا فسيدور الجميع في ساقية القصاص والقصاص المقابل إلى أن ترتفع من بينهم أدنى درجات الاحترام والاحترام المقابل وقد ينفرط عقد العلاقة وما تبقى بها من ذرات طيب وذكرى ومعروف إلى اللدادة في الخصومة والعداوة لتنسحب على أطراف أخرى لم تكن في حسبان أي منهم كرحم ومصاهرة وصداقة وزمالة وعمل وإنتاج...الخ.

وهذا أيها القارئ الكريم يدخل في خطوات الشيطان الذي يجتهد وسعه في التحريش والتحريض بين بني البشر، وفي هذا يلام على المتدين قبل المتحرر وعلى صاحب العلم قبل صاحب الجهالة وعلى صاحب الأخلاق والمروءة قبل صاحب الفحش والسوء، فإن زلت بأهل المكارم أقدامهم ولكل جواد كبوة فلا أقل من الرجوع القهقري إلى مرابض العز والكرم والعقل والحشمة والتعالي عن السفاسف والتغاضي عن التوافه فإن عجزوا عن ذلك فما دونهم أعجز ولومهم أسبق وعتابهم منجز لأنهم للحلم أهل وللصفح أصحاب فلا ينبغي أن يرعوا مع الهملِ.

- **تحكم في تفكيرك الذهني**

من الضروري أن تتحكم في إدارة تفكيرك ولا تتركه على عفويته وسجيته تلقائيًا، لأن التفكير بدوره يؤثر على حالتك النفسية والجسدية؛ فإن فكرت في شيء محزن؛ تأثر عضو العين فبكى. وإن فكرت في شيء مغضب استشعرت حرارة في صدرك ورأسك وتجمدا في وجهك.

وإن فكرت في شيء مخيف تأثر قلبك فتسارعت دقاته وخفقاته.

وكل ذلك يوهن البدن ويوهن أعضائه من قلب وعضلات، ويذهب بالجمال والبهاء، ويضعف المناعة ضد الأمراض والبكتيريا القاتلة.

وينعكس على الحالة النفسية والروحية فيتعكر المزاج ويشقى البال بالسلبيات وتخور الهمة، وتضعف عن الطلب وتفقد الرغبة في الحياة، وتحب الموت، وقد تفشل في عملك، وأحدهم قد يُطلق أو ينتحر أو يقتل أو...إذن عملية التفكير الذهنية عملية لها خطورتها الشديدة على كل كيان الإنسان فكان لزاماً التحكم في اتجاهات هذا التفكير ومراقبته والاجتهاد في ضبطه وتقويمه ليظل معتدلا؛ لا بارداً حد التفريط ولا حارًا حد الإفراط.

وأول ضابط تضبط به التفكير الذهني هو الإيمان والتقوى والمرجعية الدينية والصبر، والتسليم، والتفويض لله تعالى، واحتساب الثواب، والاقتداء، بمن سلف، والعلم بأن ذلك من طبيعة الدنيا أنها جبلت على الكدر والتعب والمشقة.

والصبر نصف الايمان، والنصر مع الصبر، ومعه الفرج، والله مع الصابرين؛ فالصابر في معية الله تعالى.

ويدخل في هذا الضابط حسن الظن بالله تعالى بالانفراج والدعاء، والتقوى والصدقة، وطلب الدعاء من الصالحين وصلة الرحم، والأذكار وقيام الليل، وحفظ ومراجعة القرآن على يد شيخ أو ذاتيا...إلخ.

الضابط الثاني للتحكم في التفكير الذهني هو الضابط العقلي نفسه فتعزي نفسك أن ذلك سيمر ويأخذ وقته المكتوب له، وتحسب المكاسب والخسائر، والبدائل، والمخارج، وتتعامل مع المشكلة على أنها لشخص آخر، وجاءك يستشيرك، فماذا ستقول له؟ وتنصحه؟ وهذا ما أسميه الخروج من دائرة المشكلة والنظر إليها من الخارج بشمولية أكبر وأوسع وأعم.

الضابط الثالث: التشاغل بالمفيد من طلب علمٍ، وقراءة، وكتابة، وتأليف أو مهنة وهواية.

الضابط الرابع: الموادعة والمسالمة والمصالحة إن كان في ذلك تهدئة وعلاجًا وراحة لذهنك وبالك وعقلك؛ فتبيت مرتاح البال غير منشغل ولا شاعرًا بخطر ما من جهة ما، فيفسد ذهنك بالترصد والترقب ويفسد جسدك وروحك تبعًا لذلك.

قل لذهنك: توقف ...لا تسترسل في السلبيات، توقف عن التوهم، سحابة وستمر إن شاء الله والأمور بمقاديرها وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وربما تكون محنة تولد منحا كثيرة.

- **المفارقة بين النظرية والتطبيق**

في السلوك الاجتماعي والأخلاقي

المفارقة بين النظرية والتطبيق تعود لكون النظرية منبثقة من دائرة الايمان او العقل ولم تخالطها الافعال الناقلة لها الى دائرة العارض النفسي، فالعارض النفسي غالبا يصاحب الفعل التطبيقي ولا يصاحب الفكر النظري.

ومن هنا فإن المنظرين يشعرون بالألم والحسرة بسبب عجزهم عن تطبيق أفكارهم النظرية على أرض الواقع بسبب خضوعهم أنفسهم للعوارض النفسية التي تجردوا عنها او منها أثناء عملية التنظير، فيتراجع دور الايمان ودور العقل ويتقدم العارض النفسي للقيادة والسيطرة، وهكذا ينتقل الإنسان عبر ثلاث دوائر رئيسة في فكره وسلوكه الاجتماعيين:

دائرة الايمان

دائرة العقل

دائرة العارض النفسي

ومثال ذلك:

من يدرس كرة القدم مثلا نظريا من الكتب فإنه لا يستطيع تطبيق ذلك عند الممارسة بدون تدريبات سابقة، فلابد للمنظرين من الاحتكاك بالمجتمع والتدريب السلوكي الحقيقي على النظريات العقلية والايمانية التي ينبغي أن تحكم العلاقات البشرية.

والحكماء المعروفون تاريخيا قويت عندهم النظرية وطبقوها تطبيقات حقيقية، ومع تكرار التطبيق والممارسة صارت الحكمة منطبعة وقائدة وسهلة الاستدعاء عند المناسبات.

ويسمي البعض هذه المفارقة بالعقدة: عقدة المفكر او الفيلسوف او العالم او الداعية، وعقدة كل من يدعوا الى الخير والكمال والحق والجمال والتجرد والجهاد والموضوعية والتسامح والمثالية، ثم يعانون أنفسهم من قصور ذلك منهم عند التطبيق، لكنهم غالبا هم الأفضل لحرصهم على إلزام النفس ما أمكن بالقيم النبيلة والحسنة، فوقوع التقصير منهم استثناء من عموم أحوالهم الطيبة، بينما ولوغ غيرهم في العوارض النفسية يمثل القاعدة والعموم والغالب.

- **البحث عن الكمال في الآخر**

الكمال لله وحده، عبارة نرددها دائمًا ونؤمن بها يقينًا، وهي اعتراف من الجميع بأن النقص طبيعة بشرية، لكننا في الواقع العملي لا نقبل مثل هذا النقص في الآخر ولا يقبله هو منا، كل منا يريد من الآخر أن يكون كاملًا؛ فيكون كريمًا وواسع الأفق، وحليمًا، وعالي الذوق ومتسامحًا وقويًا وشجاعًا وصبورًا وعطوفًا ورحيمًا وملاكًا من نور لا تخالطه طين البشرية ولا عوارضها النفسية، ولأن هذا مستحيل فإن الناس يكره بعضهم بعضًا، ويتعادون ويتخاصمون بسبب عيوب بعضهم، وبسبب عدم كمال كل في نظر الآخر، فلا يتقبل أحد أخاه بعيبه، بل يريده أكمل الناس وأحسنهم، دون النظر إلى قاعدة: الحسنات يذهبن السيئات.

وقاعدة: خذ ما صفى دع ما كدر.

وقاعدة: السياق حاكم على الشقاق.

بمعنى أنه لا شقاق ولا خصومة قبل فهم السياق الذي دار فيه القول أو الفعل، فإن ما يراه الإنسان عيبًا قد يتضح له أنه ميزة طيبة إذا فهم السياق الحاكم له بشكل صحيح، فالطمع ميزة في سياق العلم، مذمة في سياق المال، والشجاعة ميزة في سياق النفع، مذمة في سياق الضرر، والصبر ميزة في سياق المصيبة، مذمة في فوات المنافع...وهكذا.

فالسياق حاكم لتفسير الأفعال والأقوال، فيحسب على من يتصدى بصدره العاري للرصاص أنه متهور غير عاقل، ويحسب على الحذر المحتاط بأنه عاقل وحكيم.

وكما أن سياق الحدث حاكم، فسياق المرض له حكمه كذلك فيقبل من المريض ما لا يقبل من الصحيح المعافى، ويقبل من المكره ما لا يقبل من القادر المخير، ويقبل من المضطر ما لا يقبل الموسع عليه، وهذا كله معمول به شرعًا، وعقلًا وعرفًا، فأكل الميتة لو رآها الناس من الموسع عليه العاقل لرموه بالجنون، ويقبلون ذلك من المضطر ويفسرونها في سياقها الصحيح فلا يرمونه بجنون ولا بخل ولا خرف.

ويرمون الفقير كثير الصدقة بالإسراف والسفه وتضييع من يعول، لكنهم يفسرون نفس الفعل بالكرم والإحسان والجود من الغني.

ويرمون المتسامح الحليم بالجبن، ويفسرونه بالشجاعة والحلم والعفو إن كان من رئيس القوم.

والشاهد أن دلالة السياق حاكمة على تفسير الأقوال والأفعال، وترك دلالة السياق وإهمالها يورث الخطأ في التفسير، ومن ثم يورث العداوة والضغائن والخصومات والحكم على الناس بالباطل، وعدم الإنصاف.

وقد اختلفت مرة مع أحد مشايخي في العلم حول حديث النعمان بن البشير رضي الله عنه لما أراد أن يهب ولدًا من أولاده هبة؛ فأراد أن يشهد على ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أكل ولدك فعلت؟ قال لا. قال فأشهد على ذلك غيري فإني لا أشهد على زور.

فقال الشيخ مفسرًا: فيه دلالة على جواز شهادة الغير على هبة الولد الواحد دون أخوته، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: أشهد على ذلك غيري.

وقلت: إن دلالة السياق تدل على عدم الجواز مطلقًا، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إني لا أشهد على زور.

وشهادة الزور لا تجوز من أي أحد على الإطلاق.

فدلالة السياق على معنى مغاير لظاهر عبارة أو قول، يؤخذ فيه بحكم السياق لا بحكم الظاهر.

كقول الحق سبحانه وتعالى للكافر في النار: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يدل في ظاهره على أن الكافر عزيز وكريم، فهل يدل السياق على ذلك؟!!

سياق العذاب والنار والألم والمهانة؟!!

بالطبع يظهر لكل ذي فهم بسيط أن السياق دال على عكس الظاهر من العبارة.

فدلالة السياق دلالة شرعية عقلية عرفية، فيجب أن تكون دلالة سلوكية اجتماعية علمية، نحكم بها على اقوال الآخرين وأفعالهم، فالسياق الذي يستحق التسامح والتغافل يختلف عن السياق الذي يستحق الحسم والحزم، وقس على ذلك في غيره.

والله أعلم.

- **راقب تفكيرك**

ليس اللسان من يحتاج للمراقبة بل التفكير، فاللسان يغرف من عقل المرء وقلبه، وربما نزغ الشيطان في تفكيره فأورثه سوء المقالة ومن ثَم الندم. ومن لا يملك القدرة على مراقبة تفكيره فعليه أن يلزم لسانه الصمت ما أمكن، لأنه لا يدري إن نطق هل ينطق بخير أم بشر؛ وهل يغرف بلسانه من تفكير طبيعي أم تفكير مخلوط فيه تلبيس.

ومما يساعده على ذلك ألا يتكلم إلا بالعلم والنصوص إن أمكنه فهذا يعصمه إن شاء الله، وكان الإمام أحمد لا يتكلم بكلام العامة فإن خاض الناس في أحاديث الدنيا أمسك، وإن تكلموا في العلم خاض وأفاض.

والمسألة تحتاج للرياضة، والدربة، والتكرار، والإلحاح على النفس، والعقل، والقلب كي يتعود الإنسان قلة المقال، وانتقاء الكلام، لأن عمل اللسان مما يدخل ويدرج في باب الطباع، والطبع موروث السنين، ولا يذهب الطبع فجأة، ولا بغتة، بل كما تربى ونشأ مع العمر فيحتاج لعمر كي يتلاشى.

وعلى الإنسان أن لا ييأس من تعديل وتهذيب طباعه غير الراضي عنها ككلام كثير وعلو صوت مطبوعين، واندفاع، وتسرع ونحو ذلك.

وليكن هدف المرء مع بداية يومه أنه لن يتكلم كثيرا إلا للضرورة والفائدة وسينشغل بذكر الله تعالى، وسيستمع أكثر وأكثر وسيلازم الصمت قدر إمكانه، ويحدد لنفسه صبيحة كل يوم طبعا من طباعه فيعالجه سائر اليوم بالتهذيب والتأديب والترويض والتحكم والمراقبة، ويقيم تجربته في نهاية اليوم ويعطي لنفسه نسبة مئوية مناسبة على ما أنجزه في ذلك.

ولله در القائل:

عود لسانك قلة اللفظ

واحفظ كلامك أيما حفظ

وقل ذلك في سائر الطباع الأخرى كمن تطبع على النظر، أو الكسل، أو حب الفخر والخيلاء، أو كثرة الأكل والنوم، أو التواكل، أو المادية والانتهازية، أو النميمة، والكذب، والفتنة...الخ، فعليه أن يخطط للخلاص من هذه العادات ويستبدلها بالأخلاق الطيبة والعادات الحسنة والطباع الجميلة، ومع المجاهدة والصبر والترويض يجد ثمرة طيبة يسعد بها ويفرح، ويصبح أكثر حبا للحياة وللنفس وللناس، لأنه استطاع أن يعيد اكتشاف ذاته ويجدد صياغتها، ولا شك أن هذا إنجاز، والإنجاز من مفاتيح السعادة.

- **احتفظ بأخلاقك**

لست مضطرًا لسوء الأدب أو النزول عن مستواك الأخلاقي لكي تكسب حربًا نفسية أنت على حق فيها، استعن بالله تعالى، وبالدعاء، وأظهر الغضب لا الخوف، والإقدام لا الإحجام، والموعظة والنصح من غير ضعف قبل الإنذار، وإقامة الحجة والبرهان بالمنطق قبل التهديد، فإن لم يجدي ذلك فاسلك القنوات المشروعة مثل طلب التحكيم والعرف، واجنح للسلم إن جنحوا، على حذر منك وفطنة، ولا تغلقن بابًا في وجه حي، فإن لم يجدي فآخر العلاج الكي.

ولا تكن صفحة مفتوحة يعرف الناس ظاهرها وباطنها، ولا تسرف في التواضع والخضوع، فيكيد لك العدو والحاسد على أنك ضعيف، فالناس يهابون القوي وإن كان طالحًا، ويهضمون الضعيف وإن كان صالحًا، وذلك لقلة الإنصاف، وقيادة الغرائز عند الخلاف، وقد قَلَّ في الناس المنصفون، وكثر فيهم المرجفون، فلا تكاد ترى حبيبًا إلا وتظهر لك من جانبه عداوة، وربما حسبت فلانًا عدوًا فظهرت لك من جانبه المودة، فلا تطيل الأمل، ولا تبني عليه العمل، ولا تيأسنّ، واحذر من سوء الظن.

ولا تقل في الرضا كلمة تذكر عليك عند الخصومة؛ فالكلام العذب في الصداقة يصبح ملحًا أُجاجًا في العداوة، واحذر أن يكون اللهب المتصاعد، أو الشر المتدحرج بسبب كلمة يقولها اللسان، بلا تعقل عاقبة، ولا تدبر مآل، ومن كان دواؤه بالإحسان، فلا تداوه بالهجران، واعرف موضع قدمك، ولا تخونك قدرتك، واعرف اللحظات الفارقة فلا يفوتنك اغتنامها قبل فواتها، فإنها إن فاتت قلما ترجع، فإن احتاج الأمر

لبعض التنازل فاستعمل عقلك، وتنازل عن بعض الشيء، ولا تنجرف وراء عاطفتك فتهلكك وتفقدك كل شيء، فإن العقل ينفع ويصلح، والعاطفة تضر وتغر.

ولا يغرنك ضعف الضعيف فإنه قد يتقوى بغيره، ولا يغرنك قوة القوي فإنه قد يخذلك، ولا تغتر بحديث الناس عنك فإن للأيام مقامًا لا يصلح له كلام الناس في قدرك، بل يصلح له علمك بمقدار نفسك، فإن الناس يمدحونك في الرضا ويتصيدون عيوبك في السخط، ولو نجا منهم أحد لكان الأنبياء منهم بنجاة، فلا تأملن منهم مالم يأمله من هو خير منك رسلا معصومين، واذكر بداياتك الأولى في الحياة وكفاحك في دروبها فخذ بيد المبتدئين، وعلم الجاهلين، واحتوِ المارقين، ولا تفارقن إلا من كان لقاؤه شرًا من فراقه، والسلامة ليست إلا باجتنابه، فإن كان الفراق ملهبة للشرور، ومنغصة للصدور، فروِّض تلك النفوس الغابية، حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، بسلم هنا أو فراق هناك.

وإنك لا تعدم بالموعظة خيرًا، والتذكير نيلًا، سيما بأسلوب يوقظ ملكات الخير في القلوب، ويقبح الشر إلى العقول، فتنزع فتيل أزمة أو غُمَّة، وتخفف من هموم مُلمَّة، فحتى الخصوم تحركهم الأفكار، والرغبة في الثأر والانتقام، فإن استقبحوا ذلك انصرفوا عنه، وما ذلك إلا كجارين اختصما حجرًا، وكلٌ يرى أن الكرامة تذهب بذهاب الحجر، فصرخ فيهم عاقل يعظهم: أيتحدث الناس أنكم تختصمون في حجر؟! فاستقبحوا ذلك من أنفسهم وتصالحوا من فورهم. فكيف رأيت الشر يخبو بكلمة طيبة؟ أو موعظة حسنة؟ ومداره على الإخلاص والتوفيق، والأسلوب الطيب الرقيق، من غير إظهار ضعف وهوان، أو كلام عريض بغير برهان.

- **طيبتك نقطة ضعفك**

ما يكون من عصبية النساء بسبب أمور صحية ونفسية تركت بصماته كحمل، ورضاع، وعمليات جراحية، وطباع متأصلة بالوراثة؛ فيجب على الأزواج استقبال ذلك بشيء من التفهم والتسامح، والمساعدة على الهدوء، والمصالحة والاسترخاء، والعودة من دائرة العوارض النفسية إلى دائرة تحكيم العقل والإيمان وامتصاص ذلك بحالة من المداعبة والطرائف واللطائف، طالما لم يكن بسوء نية من الزوجة أو سوء أخلاق، فكما أن

الليل والنهار والحمل والرضاع والخدمة والتربية تأخذ جميعها من قوة المرأة البدنية، فكذلك يأخذ من قوتها النفسية فلم تعد تلك المرأة واسعة الأفق حليمة النفس والعقل المحتفظة برزانتها ووقارها.

فالشفقة من الزوج هو ما يليق بتقدم الزوجة في العمر، واحتراما للعشرة التي دامت سنينًا، مالم يفقده شيئا من قوامته، وسلطته الأسرية، وكرامته كرجل، كرمه الله ورفع درجته، وجعل العقدة بيده، فمن حاربه في قوامته فإنما يحارب الله ورسوله، وكتابه، وشرعه.

وتكره المرأة – في الغالب لا العموم – أن يقال عن زوجها أنه طيب، وتفرح إن قيل شديد وعنيف وشراني(عنده شر) وقاسي، ظنًا منها أن هذه الصفات كفيلة بحمايتها كأنثى ضعيفة، تحتاج لرجل يدافع عنها ولو بالتهور، والاندفاع والصوت العالي، والرسم المزيف، ولو أدى ذلك إلى أن يرمي بنفسه في التهلكة فيقتل أو يسجن أو يخسر ما وراءه وما أمامه، إلا ما رحم ربي من النساء العاقلات المؤمنات الحافظات للغيب بما حفظ الله، لكنها على العكس من ذلك تريده زوجًا طيبًا داخل البيت، ورومانسيًا إلى أبعد الحدود، فإذا تحقق لها ذلك؛ اتهمت زوجها في قرارة نفسها باللين، وضعف الشخصية، وسعت لانتزاع السلطة الأسرية منه، لتكون لها القوامة بالإثم والجهل، وهو ما يشعر به الرجل في عيون زوجته، وكلامها، وتغير لهجتها معه، من الأدب، والرقة، والصوت الهادي الوديع، إلى الصوت العالي، والحدة في النظر، والاندفاع في الرد عليه، والتربص لكلامه، وعدم التسامح معه، والقصاص من كل فتيل ونقير وقطمير– وبعض ذلك راجع إلى طبع أو ظروف نفسية أو جسدية تعذر المرأة بها غالبًا – فينقلب الرجل من طيبته، ورومانسيته، ولينه، وحبه، وعطفه على زوجته، إلى رجل عصبي، غشيم، مندفع، قاسٍ، فظ، غليظ؛ لأنه لم يجد تقديرًا لصفاته الحميدة من زوجته التي أحبها، وبذل قلبه وعاطفته لها، وإن كان شرذمة من الرجال يستسلمون للنساء، فإن الغالبية منهم تأبى ذلك وترده بالقوة، أو بالقهر، أو بالهجر، أو بالبعاد، أو حتى بالانفصال.

والمرأة التي تستغل طيبة زوجها، وترى حنانه، وعطفه، نقاط ضعف في شخصيته، وتتجرأ عليه بسبب لينه ومزاحه، لا تستحق منه كل هذه الصفات الطيبة، ولا يلام إن عاملها بالشدة، والغلظة؛ فلا يوجد رجل

يقبل على نفسه أن يكون ضعيفًا أمام زوجته ولو بصفة طيبة حميدة، الرجل يحب أن يكون قويًا في بيته، لكن النساء لا شواطئ لبحورهن، ولا يفهمن أنفسهن، يحببن الطيبة من الرجال ويعتبرونها ضعفًا، ويكرهن القسوة ويعتبرنها قوة وشجاعة، ويتهمن القاسي بعدم الحب، ويتهمن الطيب بقلة الشدة، ويطلبن من القاسي الرحمة، ويطلبن من الطيب إظهار الصوت العالي، والشدة والعنف، ويرون الطيب ألعوبة أو خاتمًا يُلبس في الأصبع، أو سهل الانقياد، والسيطرة، ويرون الرجل الشديد صعبًا ولا يعرف الرومانسية، والحب والكلام الغزلي الجميل، ويكذبن على الطيب معتقدين أنه ساذج، وسيصدق كل شيء دون بحث أو نقد، أو تفتيش، ويكرهن الرجل المترصد، المتربص، المترقب، المحاسب، غير الغافل ولا المتغافل، المتيقظ لكل واردة، وشاردة، وتافهة، ويحببن الرجل المغرور ، المتكبر المعجب بنفسه، وتود لو أنه عبد خادم عند قدميها، يلبي لها كل شيء دون اعتراض، ولا تقصير، ولو في خيط إبرة، وتحتال على الطيب بالحجج، والمبررات لتصل إلى ما تريد، وتخشى الرجل الفظَّ الغليظ وتهاب أن تسأله شيئًا، وترى الطيبة المستمرة من الرجل مللًا للحياة الزوجية، وتسارع بطلب الطلاق من كلمة تعنيف أو تشديد أو خلاف عابر من خلافات الحياة.

ولا يُعجب النساء العجب العجاب، وهذا من نقصان عقلهن، وقلة تأملهن، وسوء تقديرهن للأمور.

فالرجل متهم دائمًا، إن كان حليمًا طُلب منه أن يغضب ويغار وينتقم، وإن غضب طلب منه التفاهم والحلم والتسامح، وإن كان ساكنًا عاقلًا رزينًا طلب منه أن يكون (فشارًا: أي التفاخر الكاذب) كصاحب بطولات وهمية، يتحدث بها ليغري قلوب النساء الساذجات، ممن لا يملكون حاسة التمييز بين الغث والسمين، وينخدعن بقشور الكلام، والزبد الجفاء الذي لا ينفع ولا يبقى في الأرض؛ بل رغاوى وفقاعات تزول سريعًا، لكنها فقاعات خادعة، كسراب خادع، تنخدع له القلوب الغبية، والعقول القاصرة، والنفوس غير السوية.

فكان الله في عون الرجال من أهل الطيبة، والحنان، والكرم، في زمن يعتبرهم السذج ضعفاء؛ فينقلبون مرغمين عن صفاتهم الطيبة الحميدة لرجال عصبيين، يظهرون القسوة، ويخفون الرحمة؛ لئلا يكونوا ضعفاء أو مستضعفين؛ فلله درهم وكان الله تعالى في عونهم.

والله المستعان ومنه السداد.

- **عزة النفس**

يخلف الله ما ينفقه العبد في عزة نفسه، ويتلف عليه ما كان في إتلافها: أي وما أتلف به عزة نفسه من السؤال أو البخل أو الإمساك أتلفه الله عليه، إلا أن يشاء سبحانه.

ولا يفوت العبد رزق بالعزة، ولا يأتيه رزق بالحرص أو البخل، والعزيز يحسن لغيره وغير العزيز يبخل على نفسه.

والعزة من علامات الإيمان لأن المؤمن متوكل على الله وتوكله يورثه عزة النفس.

وعزيز النفس غني وصاحب مهابه ومحبوب وهو ند للوجهاء والملوك مهما كان فقيرًا، وغير العزيز ذليل ومكروه ومحتقر من أضعف الناس ولو كان هو ملكا من الملوك.

﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسولِهِ وَلِلمُؤمِنينَ وَلكِنَّ المُنافِقينَ لا يَعلَمونَ﴾ [المنافقون: ٨]

فدل على أن عدم أو قلة العزة من علامات النفاق، فالمنافق قد يسأل الناس وهو غني، والعزيز قد لا يسأل الناس وهو فقير محصور.

﴿لِلفُقَراءِ الَّذينَ أُحصِروا في سَبيلِ اللَّهِ لا يَستَطيعونَ ضَربًا فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعرِفُهُم بِسيماهُم لا يَسأَلونَ النّاسَ إِلحافًا وَما تُنفِقوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَليمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء لتعففهم عن السؤال، ويعرفهم المطلع عليهم بعلاماتهم، من الحاجة الظاهرة على أجسامهم وثيابهم، ومن صفاتهم أنهم ليسوا كسائر الفقراء الذين يسألون الناس مُلِحّين في مسألتهم، وما تنفقوا من مال وغيره فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء.

وقالوا: الغنى غنى النفس.

وقال أحدهم لشاب: أنت لست كابني.

يقصد أن ولده غني والشاب فقير.

قال الشاب صدقت: ابنك جاهل وأنا خريج جامعة مرموقة وبتفوق.

فبهت المغرور بماله ومال ولده.

وقال الشاعر:

لا تسقني ماء الحياة بذلة

واسقني بالعز كأس الحنظل

وقال الشافعي:

لو علمت أن شربة ماء فيها حياتي تذهب بماء وجهي ما شربتها.

ولا يتنافى مع عزة النفس قبول عطاء الغير كصديق وأخ وحبيب إن أمن المن والأذى بدون سؤال ولا استشراف نفس ولا طمع، لأنه رزق ساقه الله تعالى بلا سبب منه، بل هو محض كرم الكريم، ويُشكر العاطي عليه، لأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: إن جاءك من هذا المال شيء فخذه فإنما هو رزق ساقه الله إليك، وما لا فلا تتبعه نفسك. أي لا تطمع ولا تسأل.

ولا يتنافى مع العزة طلب العون ممن فيه خير ومروءة وكرم وإيمان وجود عند وقوع الضرر المحقق كسجن ومرض مهلك ودية لمنع قصاص وكفالة طلاب العلم ووقف الأوقاف الخيرية ...الخ

ومن باب أولى الدلالة على أهل الاحتياج لأن الدال على الخير كفاعله، وهو من التعاون على البر والتقوى، وزكاة للجاه بالوساطة في الخير والمعروف، كما في قوله تعالى: (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) النساء. وكما في الحديث الشريف: اشفعوا تؤجروا.

ولأن الإسلام دين تكافل في كثير من مقاصده العظيمة، والإنسان الذي يشرف على الهلاك له حق السؤال وعلى المجتمع الإسلامي حق الجواب والعون إنقاذا له، ولنزوله منزلة الضرورة، والضرورة ترفع عن صاحبها الحرج عند النفوس المؤمنة السوية.

والله أعلم.

- **ترمومتر بيولوجي**

في الإنسان ترمومتر بيولجي أتوماتيكي يعطيه إنذارات الخطر معلنا حالة الطوارئ في العقل والجسد والنفس والروح، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ومن يفتقد هذا الترمومتر الطبيعي قد يشرف على السقوط والهلاك دون شعور بأي طارئ أو تهديد بل قد يسرع إلى مقابلة الهلاك كسرعته إلى لقاء غائب عزيز.

ولذلك قالوا من خاف سلم، لأن الخوف يدفع الإنسان إلى مدافعة الضرر أو الامتناع منه، فهذا الترمومتر البيولجي نعمة ربانية كبيرة، وكم من أناس توحلوا في المهالك بسبب قلة عناية الله بهم وعدم خوفهم وغرورهم وتكبرهم وصلفهم، فلم يستيقظوا من ذلك إلا على سقوط في واد سحيق.

قال تعالى:

﴿فَلَولا إِذ جاءَهُم بَأسُنا تَضَرَّعوا وَلكِن قَسَت قُلوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ ما كانوا يَعمَلونَ﴾

[الأنعام: ٤٣]

فلم يشعروا بالخوف عند البأس فيعالجوا ذنوبهم وتقصيرهم وغرورهم وإعراضهم فكان الهلاك والقطع والإبلاس مصيرهم في قوله تعالى: (أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) الأنعام.

عافانا الله وإياكم من سوء العواقب.

- **طريق الفلاح للعودة للحياة الطيبة**

المشاكل الحياتية كالريح بدرجاتها منها الخفيف ومنها الشديد ومنها الإعصار.

والناس كالأشجار على درجاتها منها الخفيفة الجذور ومنها المتوسطة الجذور ومنها المتجذرة في الأرض إلى الأعماق.

فالأولى كالإنسان ضعيف الايمان، والثانية كمتوسط الايمان، والثالثة كقوي الإيمان القريب من ربه.

فتأتي الريح فتقلع الاولى وتهز الثانية ولا تؤثر في الثالثة. ومن لم يمد جذوره في أوقات الرخاء اقتلعته الرياح في أوقات الشدة. وكلما كان الانسان صاحب روح قوية قريبة من الله ذاكرة له مطيعة متصدقة مصلية قائمة قانتة متطوعة صابرة متسامحة واصلة بارة صائمة صادقة؛ كان ذلك أدعى لصده القوي لكل ريح ولو عاتية تهب عليه بالصبر والتحمل والمكابدة. وكلما كان متكاسلاً مطيعا لهواه خالدًا إلى الأرض مطيعًا لغريزته وشيطانه ونفسه وشهواته غافلاً ساهيًا، كان أدعى لتهاويه وانهياره امام أية ريح ولو خفيفة.

والروح البشرية تحتاج لغذائها الطبيعي السماوي وبكثافة في أحيان كثيرة؛ لتتغلب على الروح الخبيثة سيما إن كانت المعركة داخل الجسد الواحد فكلما قويت الأولى تقهقرت الثانية والعكس بالعكس. والغافل المغبون من يغذي الروح الشريرة فتتغلب على الروح الطيبة؛ فيشقى ويهلك باختياره ذلك لنفسه أو تهاونه أو تكاسله أو هوان همته وخلوده للأرض واتباع الهوى وترك الجهاد والهروب من ألم الروح الشريرة بمنحها مطلبها؛ ليعود الألم مضاعفًا دون مطلوب جديد يقدمه؛ لأنه في الحقيقة أفلس ولم يعد أمامه إلا الخيار بين العودة للروح الطيبة ومنحها مطلبها السماوي أو الاستسلام واليأس ومن ثم الهلاك. فامنح الروح غذاءها السماوي بالتوازي مع منحك غذاء الجسد، وإن كان لا بد من الزيادة ففي غذاء الروح لأنك خلقت أصلاً للعبادة لا للطعام والشراب، فجوع الجسد لنقاء الروح لا العكس فتشقى وتهلك.

والروح مع الجسد كالسيارة على الطريق كلما كان الطريق فارغًا من الشواغل، وواسعًا كلما كانت السيارة سريعة وخفيفة، وكلما كان الطريق مزدحماً بالشواغل أو العوائق كلما كانت السيارة ثقيلة وبطيئة، فَنَقِّ الجسد من فضول الطعام والشراب والنوم والخوف والقلق والحزن والغضب والهم والخلافات والغفلة والوهم؛ تسرع روحك وتخف، وأسكت الخمس الكاوية (الحواس الخمس) يضاء موطن العلة وهو القلب.

والروح في علاقتها مع الشيطان كمصارعين في حلبة بينهما كر وفر إلا المخلصين، فخير لمن سمت روحه أن يجهز على شيطانه بقوة لا أن يتراخى فيعطى الشيطان فرصة للنهوض والمقاومة أو الهجوم ومن ثم الغلبة والتفوق.

لا تتخلى عن روحك في زمن الترف وتجعلها أسيرة جسدك وغفلتك وطول أملك، حتى لا تتخلى هي عنك في زمن البأس، زمن خوفك وقلقك، واعلم أنك في كلا الزمنين: الترف أو البأس أنت بالروح لا بالجسد؛ إنسان.

- **دارِها تعش بها**

خطأ استراتيجي يقع فيه الأزواج ويستنفدون به رصيدهم العاطفي في قلوب الزوجات وهو تحميلهن الخطأ في كل صغيرة وكبيرة دون توجيه أدنى درجات اللوم للنفس، فتبدأ الثورة الكامنة تنطلق من أعماق أعماق البركان المدفون في أعماق أعماق المشاعر الجميلة، وتظهر الردود الجافة من الزوجات في حالات كثيرة تتهدد معها هيبة الرجل وكبرياؤه.

قد يكون ذلك كله ردود افعال على سلوكياتك الفظة او العنيدة او المتكبرة. وكيف أعرف؟

افتح صفحة جديدة وأشعر زوجتك انك تغيرت، وقدم لها على اطباق الفضة والذهب الكلام الجميل والرومانسي والشاعري، وتجاوز عن هفواتها البشرية، ولا تتعمد إهانتها أو إحراجها أو الإسراف في عتابها وأوجد لها مخارج تحفظ ماء وجهها أن تقطعت بها سبل الأعذار، وأشعرها بالحب القلبي في كلامك ولو مداراة لها وهو مطلوب بنص الحديث النبوي: دارها تعش بها ..ثم...ثم...راقب بعد ذلك مؤشر تغيرها السلوكي والشعوري والروحي والقلبي والنفسي تجاهك، وخجلها من إغضابك أو حتى الرد عليك وحرصها على طيب خاطرك.

إذن أين تكمن المشكلة؟ المشكلة أن الرجل عقلي والمرأة عاطفية؛ فالمرأة تحتاج لعقل الرجل في احتوائها، والرجل يحتاج لعاطفة المرأة للسكينة والهدوء فإن عجز الرجل أن يكون عقلا لزوجته فيكمل نقصان عقلها

بعقله وان عجزت المرأة أن تكون عاطفة للرجل فتكمل نقصان عاطفته بعاطفتها وقع الخلل السلوكي في العلاقة بينهما. ثم...ثم... يؤثر هذا الخلل السلوكي من قبلهما على الرصيد الاستراتيجي من المودة والاحترام والتقدير والمحبة بينهما. فينزل هذا الرصيد الاستراتيجي من الحب إلى الاحترام ثم مع استمرار الخلل السلوكي وشدته ينزل الرصيد الاستراتيجي من الاحترام والتقدير إلى التغاضي والتحمل ثم ينزل إلى الضجر والسخط النفسي ثم ينزل الى الاعتراض القولي ثم الاعتراض الفعلي ثم الهجوم والهجوم المضاد ثم العناد النفسي ثم العناد السلوكي ثم التلذذ بالعناد ثم العداء القلبي وتغير القلوب ثم العداء الجهري السافر والتلذذ بأذى كل واحد لصاحبه ثم الحرب الشاملة.

أين أنت الآن؟

وكم تحتاج من الوقت لتعود أدراجك وتجتاز هذه الخطوات التي أوقعك فيها الشيطان وربما نفسك المغرورة وقد تكون على وشك خراب بيتك وصحتك النفسية والعقلية بسبب مهاوشات عابرة تطورت فأصبحت جبالا عالية؟

لا يزال الرجاء في العودة قائمًا؛ افتح صفحة جديدة وتنازل عن كبريائك وغرورك واختر أعلى المصالح وأدنى المفاسد ومارس فن التنازل لتبحر سفينتك من جديد بعدما تعطلت في عرض البحر وكل السفن عابرة ترمقك بالحسرة والاستهزاء والتوبيخ.

ابحر من جديد بسلام وضع يدك في يد شريك الحياة والابحار ...

قريبا بإذن الله، ترسو سفينتك ببر الأمان

فقط تذكر:

(دارها تعش بها).

- **ماذا لو فقدتهم**

إذا أردت أن تعرف قدر إنسان في قلبك تخيل أن الموت أخذه منك، تخيل هذا مع أخيك الذي قاطعته وصديقك الذي خاصمته وجارك الذي آذيته وزوجتك التي هجرتها وابنك الذي قسوت عليه وزميلك الذي عاديته...الخ.

الإنسان اجتماعي بطبعه ويلزمه أن يخالط الناس ومن مقتضيات ذلك وقوع الخلاف والاختلاف وهو عائد من حيث السبب إلى اختلاف الطبع أو العادة أو الهوى أو الحسد أو الشيطان أو المصلحة...الخ وكلها عوارض قلما يبرأ منها أحد على وجه البسيطة، والذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن يعتزل الناس اعتزالا تاما لأن الوحدة تجلب الشيطان والوسواس والأمراض النفسية.

والحق أن الخلل الواقع في العلاقات الاجتماعية لا يقع على إنسان دون آخر فالكل مشارك في صناعة هذا الخلل بدرجة ما والسبب هو حرص الجميع على تحصيل الحقوق والتهاون في تحصيل الواجبات وعلاج ذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من رواية أنس رضي الله عنه:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". وهذه درجة لا يبلغها كثير من الناس فلا أقل من أن نتحمل بعضنا ونصبر على عيوبنا إبقاء على روابط المحبة والإخاء. أما المسارعة إلى الخصام والتنازع وغلق الأبواب فإنه يقضي على ما تبقى من أواصر المودة والمحبة.

وتيسيرًا على النفس أن تتكيف مع هذا الحال يحاول الإنسان أن يتخيل لو أنه فقد هذا الشخص أو ذاك وأخذه الموت بغتة، وهما على هذه الخصومة أو ذلك الهجر، أو الغضب أو التنازع...الخ. كيف سيكون شعوره ساعتها؟! ألن يندم على عدم مسامحته له؟! ألن يشعر بأن الدنيا فانية وما كانت تستحق خصومة أو مقاطعة لفلان من الناس؟! ألن يشعر بأن القدر لو عاد إليه بوالده أو بأخيه أو جاره أو زميله أو زوجته أو...الخ، سيبالغ في إكرامه؟! ألن ينسى كل سيئة له ويتذكر فقط أمرين هامين: أولاهما: كل اللحظات الجميلة التي مرت بينهما في هذه الدنيا. وثانيهما: أنه لم يوفه حقه وهو معه وكان ينبغي أن يقدم المزيد.

اعتبر أن القدر أعاد هذا الإنسان الآن بعد فقده وبعد كل هذا السيل الجارف من المشاعر الجميلة، وابدأ في التودد من جديد والتسامح والعفو والصفح والتلطف والتقرب معه، وابن علاقتك معه من جديد على أسس المحبة والمودة وأن الدنيا زائلة ولا تستحق أن نختصم عليها؛ وكيف وهي أهون عند الله من جناح بعوضة، وما هي إل أيام معدودة وسيرحلون عنا أو نرحل عنهم، لكن ستبقى الذكرى الطيبة والخلق الحسن والسيرة العطرة.

- **الترف والتربية**

حينما نوفر لأبنائنا كل شيء ولا نحرمهم من شيء مطلقًا ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ونجعلهم يعيشون في أمن تام من المستقبل ونفرح معهم بالرفاهية الشديدة التي وفرناها لهم فإننا في الحقيقة ارتكبنا بحقهم جريمة كبيرة جدا لأن ما فعلناه سيقتل فيهم الإبداع والرغبة في إنجاز ما هو جديد، وربما أقعدناهم عن التعلم والتفوق وربما أضعنا بداخلهم غريزة الحلم والأمل وكل ما فعلناه حقيقة أمننا أنشأنا جيلا تتشابه مراحل حياته غالبا مع بعضها فهو في كل يوم آكل شارب نائم.

ومثل هذا الجيل سيقع صريعا للملل لأنه من ضمن احتياجات الانسان في هذه الحياة الحاجة للإنجاز والانجاز لا يسمى إنجازا الا إذا أثمر شيئا جديدا ومن الضروري أن يكون له قيمة معنوية، لذا كثير من أرباب الأموال يعانون من فشل أبنائهم علميا ودراسيا ومن ثم أخلاقيا وربما ود أحدهم لو با ع كل ما يملك ويرى ابنه على درجة قوية من التفوق العلمي والادبي.

وهذا ما يفسر قول أصحاب الهمم ليس بالخبز وحده يحيا الانسان فهو يحتاج للعلم لأن الجهل قد يورده المهالك، ويحتاج للأخلاق لأن سوء الأخلاق قد تورده المصارع، والتاريخ يشهد أن أصحاب التنوع والعبقرية والتفوق والبصمات المؤثرة نشأوا غالبا في بيوت متواضعة ماديا لكن عظيمة أدبيا وأخلاقيا وقيميا، بل كان فقرهم سببا في تفوقهم ليخرجوا من حالة الفقر أو لعدم انشغالهم بالترف المقعد عن الابداع، وقالوا قديما: اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم، والأيام دول، والفقر مصنع الرجال.

في كل الأحوال ستجد في نهاية مرحلة زمنية من عمر جيل أو أجيال أن هناك من عاش مترفا وخرج من الدنيا كما دخلها ولم يترك أثرا ولا ذكرا، وهناك من عاش مجتهدا وخرج من الدنيا وقد ترك شيئا مؤثرا يبني فكرا ويمهد طريقا وينير دربا.

- **لا تقاطعهم**

قد تسكن قلوب الناس وتعمرها بالحب والمودة لكن تأكد أن هذا الحب سيق عند البعض منهم عندما يرونك تتفوق وتتميز وتتقدم لكنك مطالب بالإبقاء على هؤلاء وعدم مقاطعتهم أو هجرهم بل اقترب منهم بالمودة والمحبة والهدية والإكرام أكثر وأكثر لتعوض بقربك منهم ما نقص من حبهم لك بسبب تفوقك ونجاحك، والحب مع القرب والإكرام والتودد والتلطف قابل للنماء من جديد ويصنع حواجز عالية مع الوقت تمنع تمدد جذور الحسد والحقد والبغضاء والضغينة إلى القلوب، فاحذر أن تعد هؤلاء من أعدائك فتكون قد صنعت عدوك بنفسك.

- **العاقل ونصف العاقل ومن لا عقل له**

- العاقل من يصنع المعروف للناس احتسابًا للثواب من الله وحده، ونصف العاقل من يصنع المعروف للناس ابتغاء المعرفة، والسيادة، والمدح، والشهرة، وغير العاقل من يصنع المعروف تجملًا على الناس ليمن عليهم، ويؤذيهم بلسانه بعد سابق إحسانه.
- أعقل الناس أعذرهم للناس، يعذر، ويحذر، ونصف العاقل من إذا وجد فرصةً لإحراج الناس استغلها، وغير العاقل من يُنقب عن عيوب الناس رغبة في إحراجهم.
- العاقل من له عقل يعمل به، ويعين به غيره، ونصف العاقل من له عقل لا يعمل به، لكنه يعمل بعقول غيره، وغير العاقل من له عقل لا يعمل به، ويأبى أن يعمل بعقول غيره.

- **حب التقدير والرياء**

يخلط الكثير من الناس بين حب التقدير والرياء والصحيح أن بينهما فرق فالمسلم صحيح العقيدة يوجه نيته لله تعالى ويطمع في ثوابه في الدنيا والآخرة ومع ذلك هو يحب أن يكون محترما ومعترفا به كصاحب انجاز وأن لا يهضمه المجتمع حقه من التقدير وهذا هو نصيب المؤمن من الدنيا فإن حدث وهضمه الناس حقه فإنه يعزي نفسه بثواب الله في دنياه وآخرته ويستمر في العطاء والإنجاز، أما الرياء فهو ابتداءً توجيه النية للخلق فإن هضموه حقه اغتم وحزن وأصابته الكآبة وربما أُقعده ذلك عن التقدم والإنجاز، لذا ينتبه للفرق حتى يمكن لأحدنا التمييز.

- **الاسترسال مع التفكير يولد عدم الممانعة**

لو طبقنا هذه القاعدة في الطاعات؛ يقبل الانسان على الطاعات بلا ممانعة غالبًا إذا استرسل مع التفكير فيها ومن ثم تكرار الممارسة لها، ولو طبقناها على الشهوات يقبل الانسان على اشباع الشهوات بلا ممانعة غالبًا، ولو طبقناها في مجال الإنجازات فكذلك. لذا ينبغي للمرء ألا يسترسل مع التفكير إذا كان في الشهوات، أو المعاصي، أو الوساوس، واليأس، والانهزام النفسي، وليقطع التفكير بالانشغال في ضده ليذهب عنه.

- **احذر الأهوج**

إذا ابتليت بإنسان أهوج فلا تصاحبه، ولا تعامله، ولا تُسر له بسرٍ، واكتف معه بالسلام من بعيد؛ فإن الأهوج إن جاريته ورطك، وأوحلك؛ فلا يقدر على تخليص نفسه، ولا تخليصك. وإن أخطأ في حقك فاصفح عنه؛ فإن الشيطان يستخف عقله، ولسانه؛ للإيقاع بك أنت، وقل بعد فراقه:

وسائلي كيف تفارقتمـــا ... فقلت قولا فيه إنصافُ

لم يَكُ من شكلي ففارقته ... والناس أشكـال وألّافُ

- **نظِّف طريقك ومُرَّ بسلام**

كل منا يحب أن يمر في طريقه بسلام لكنه قد تقابله بعض أشواك تعوقه عن المسير فيحتاج أن ينظف طريقه من هذه الأشواك كي يمر بسلام، قد يستغرق ذلك منه بعض الوقت.

كذلك الناس، بعضهم يمثل عائق عن السير بسلام، افعل معهم كما فعلت مع الشوك.

- **حقائق:**

- الأحرار لا يطبلون مثل العبيد؛ لأن لهم طموحات أكثر من الطعام، والشراب: طموح الكرامة.
- من هوان الدنيا أن ترى المجلود يعشق الجلادَ، والمسجون يعشق السجانَ.
- الكثيرون يفشلون؛ لأنهم قرروا أنهم لا يستطيعون، دون أدنى محاولة للنظر في الطاقات الكامنة بدواخلهم.
- لو يعلم اللئيم كيف يرزق الله صاحب القلب السليم، لتمنى أن يكون نصفه، أو ربعه، أو أقل.
- قد تخدع الناس عن نفسك الحقيقية، لكن لا تستطيع أن تخدع نفسك عنك، وإذا حدث وصدقت نفسك؛ فلن يطول.
- من اتبع هواه في الناس لا يكون قائدًا للناس.
- الوسطية: منطقة تقع بين طرفين متباعدين، لو وضعت عند إحداهما كوبًا من الزجاج قد يقع وينكسر.
- المتهور الأهوج يُخطئ ثم يعالج الخطأ بخطأ جديد، حتى يصل في أخطائه إلى مرحلة لا تقبل العودة ولا العلاج.
- المغرور يأبى أن يتنازل عن أي شيء حتى يفقد كل شيء.
- كما أن الظلم حجة على الظالمين؛ فكذلك الهجرة حجة على المستضعفين.
- الحرص والحذر خصمان: إن زاد حرصك قل حذرك.
- يفتخر الناس بمن يسبق إلى العلم، ويحقدون عليه إذا سبق إلى الدنيا.
- أكثر ما يغيظ الشيطان وجود أخ يتنازل دائما حفاظا على الوحدة.
- بعد وقوع المصيبة: سلوك الاحمق بعد سبعة ايام = سلوك العاقل اول ساعة.

- لا يجتمع الضدان في شيء أبدًا إلا في النمام يجتمع فيه الصدق والفسق؛ إذا نقل خبرًا صادقًا بنية الإفساد.
- من عاش ممثلًا على الناس بأكثر من وجه سيكون له في حياتهم حلقة أخيرة.
- الأخلاق السوية أول ضحايا المادية الانتهازية.
- محزن أن نختلف في أمور عقائدية، وحياتية أصيلة، وجوهرية، محزن أكثر أن يكون المختلفون من رحم واحدة قريبة، أو بعيدة، لكن عظيم أن تبقى الرحمُ موصولةً رغم الخلاف.
- عجيب أن نبحث عن سلبيات عيوب الناس وهم بيننا، ونتذكر لهم محاسنهم إذا رحلوا عنا؛ فنزهد فيهم وهم معنا، ويسكنون قلوبنا إذا فارقونا.
- لا عقل بلا ادب ولا أدب بلا عقل فمن كان أدبه ضعيف، وعقله خفيف، فهو في تعداد المساكين.
- ليس كل من ابتسم لك وجهه ابتسم لك قلبه، فلا تغرك المظاهر قبل أن تبدو الجواهر.
- عندما تُصدم في عقل إنسان فقل: إنا لله وانا إليه راجعون؛ لأنها مصيبة تستحق أن تسترجع فيها.
- البصر آلة الرؤية للمحسوسات والماديات، والبصيرة موهبة لدنية من الله تعالى؛ لذا قد ترى مبصرًا ليس ببصير، وقد ترى بصيرًا ليس بمبصر. قال تعالى: (فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).
- بعض الناس مثل مهرجي المسرح، يُضحكون الآخرين، وقلوبهم تنطوي على حزن دفين.

- **كثيرٌ من الناس:**

* يعملون الخطأ، وهم يعلمون أنه خطأ، ثم يفرضونه على الناس بالقوة، ويفرضون عليهم أن يؤيدوه، أو يفعلوه، أو يسكتوا عنه، ويزرعون الخوف، ويصنعون منه سفينة نجاة لأنفسهم، وهذا من جهلهم؛ أن الله أقدر عليهم من قدرتهم على الناس، وأن الله يمهل، ولا يهمل.

* يسرقون الأوقات، ويتطفلون بلا مواعيد، ويسرقون الحياة، وما الحياة الا مجموع الأوقات، تلك المبعثرة على أيديهم بلا إنجازات، ويسرقون العقول مما لا يحتاجون معه إلى قطع اليد؛ بل إلى قطع الروح.

* يصنعون صداقات من النساء بحجة أنها صداقة بين العقول لكنها في الحقيقة لن تخلو أبدًا من العاطفة التي تكون بين الذكر والأنثى، وأدناها حديث النفس، والتمني.

* يسرفون على أنفسهم في اللوم حتى يقعون في مصيدة اليأس، والله تعالى أقسم بالنفس اللوامة لا بالنفس اليائسة، ومن الطرق المؤدية لليأس أن تسرف كثيرًا في اللوم.

* متأخرون جدًا في فهم نفسيات الناس وأساليبهم ومكرهم ويسميهم العامة (طيبون)، بمعنى (**ساذجون**)، وقد يكون أحدهم ماهرًا، ناجحًا، متفوقًا، عبقريًا، موهوبًا، أديبًا، بارعًا، حصيفًا، زكيًا.

* يكذبون على أنفسهم ويصدقونها في هذا الكذب، ويجدون في ذلك متعة، ويتفاخرون بما ليس فيهم، يبتغون عزة النفس بالكذب، أو هزيمة الآخر نفسيًا، لكنهم قد يحتقرون أنفسهم امام مرآة الضمير.

* يُسيئون الظن بالناس قبل التثبت والتأكد، عن وحي من الشيطان، أو محض وهم وخيال، والله تعالى قال: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظنِّ)، ولم يقل قليلًا بل كثيرًا؛ لأن النفس تهوى سوء الظن، ومن كان عقله أميرًا على نفسه لم يندم.

* يمشون بالنميمة، والغدر، والخيانة بين الناس، وبعضهم عنده القدرة على التخدير بمعسول الكلام، وقلوبهم تخطط للخراب، والدمار، ويضحكون على الجميع، وهم سبب عداءهم لبعض. ويظنون أن الناس لن يكشفوهم، ويعرفوهم، وهم يسعون في تخريب علاقات البشر، والطبع يغلب صاحبه، ويرميه في أرض الخطر، وربما دخل التاريخ من مزبلة البشر.

* يزرعون ويهملون الرعاية، ويلدون ويهملون التربية، ويجمعون المال ويفقدون الدين، ويكسبون الوجاهة ويفقدون المروءة، ويبنون قصورًا ويهدمون أمصارًا، ويبنون حجرًا ولا يبنون بشرًا، ويحرزون سلطة، ولا يحرزون فكرًا، ومنهجًا.

- **نصائح:**

- الأشجار تموت واقفة؛ فكن قويًا؛ فالحياة لا تقبل الضعفاء، وقل لمن أراد موتك: لا تُهيِّء كفني، فلم يزل بي أمل في الحياة، ولا يملك الروح والنفس إلا الله.

- لا تجعل الدعاء كالدواء، لا تستعمله إلا عند المرض والمصيبة فقط، بل اجعل الدعاء كالهواء، وادع ربك في كل وقت؛ في السراء والضراء.

- إذا حاول الشيطان استدراجك إلى الشهوة بتخيلك صورًا شهوانية، فحاول أن ترد عليه بتخيل الصور الباعثة على الخوف، والرهبة، ونظر العاقبة.

- إذا لديك شمعة صافية؛ فاحفظها من رياح الهبوب، بوضعها في زجاجة تحفظها، والنعمة كالشمعة، وعيون الحاسدين هي رياح الهبوب، والتكتم على هذا النعمة هو الزجاجة التي تحفظ لك شمعتك فتضيء لك حياتك.

- الشاب العاقل الذي لا يبحث عن أجمل فتاة، ولكن يبحث عن فتاة تجعل حياته أجمل.

- عيب كبير أن تجهل، وعيبان عظيمان جهلك أنك تجهل، وهذا هو الجهل المركب.

- إذا خفت من كريمٍ شرًا فاسبق إليه بالإحسان، وإذا خفت من لئيمٍ شرًا فاسبق منه بالإحصان فإن الإحسان يملك الكريم، والحذر والتحصين يحميك من اللئيم.

إذا أكرمت الكريم ملكته وإذا أكرمت اللئيم تمردا

- قد يُقدر للعبارات أن تلتقي مع الأحداث والوقائع، فقدم حسن الظن على توجيه التهم، والسعي إلى الانتقام، دون سند إلا من خيالٍ وأوهام.